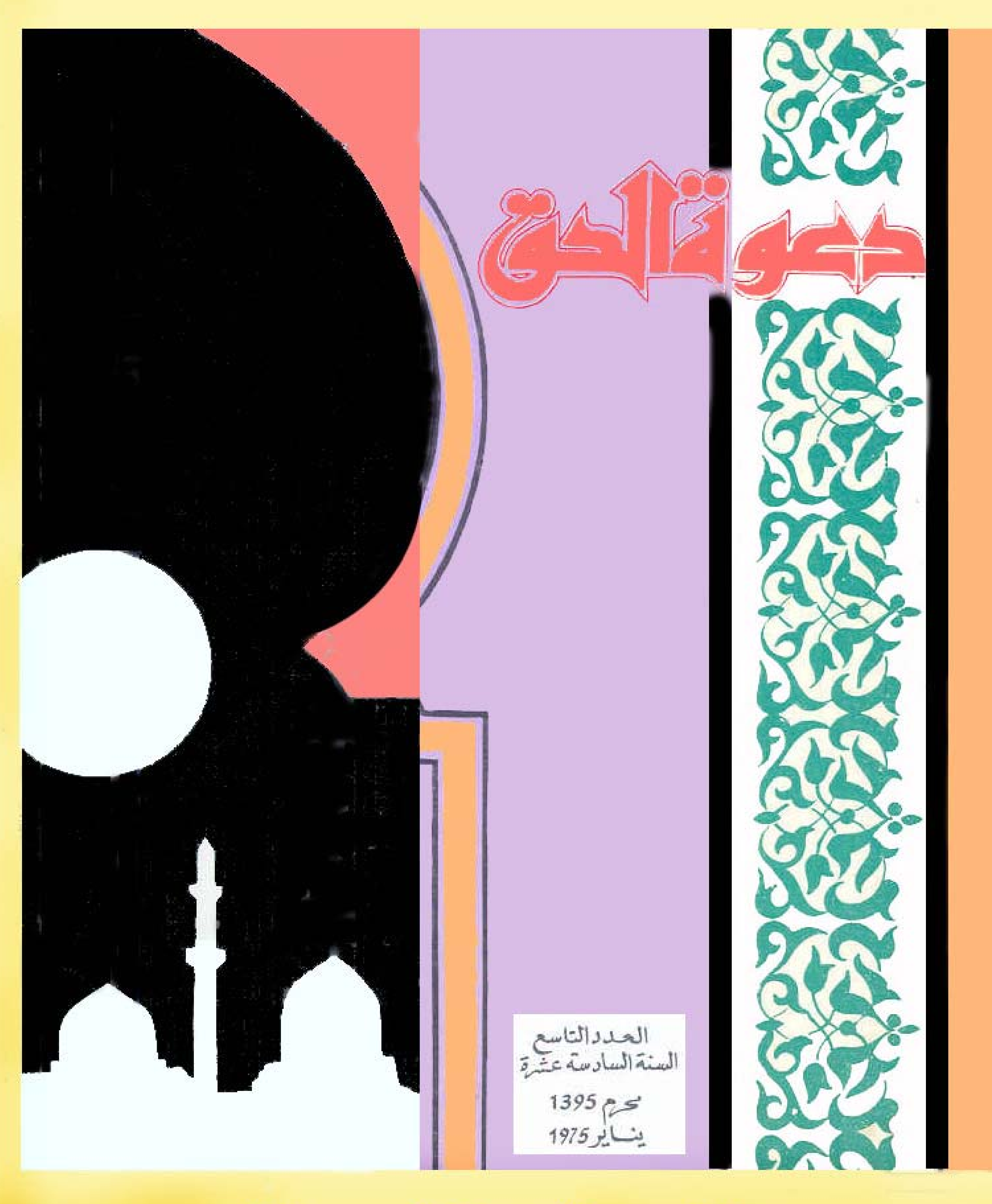


خاص بالهجرة المحمدية

مجلة تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

العدد التاسع
السنة السادسة عشرة
محرم 1395
يناير 1975
ثمن العدد: درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .الرباط ـ المغرب .الهاتف 10-308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية . الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ الرباط تليفون 10.308 ـ 03.327

مطبعة فضالة



النبأ السار ، الذى تلقته الامة ، بنجــاح العملية الجراحية التى اجريــت لصاحب الجلالة الملك المفدى ، الحسن الثانى ، دام له العز والتمكين ، كان لــه من الوقع فى النفــوس ما افعمهــا غبطــة وسرورا ، ومن طيــب الاثــر فى القلوب ، ما اشرقت به القلوب استبشارا وانشراحا .

لقد تقاطر على الديوان الملكى ــ فى غير حــد ولا حصر ــ سيــل البرقيات الصادرة عن مختلف قطاعات الشعب وفئاته ، فى المــدن والقــرى ، فى الجبــال والسهول ، فى كل شبر من ارض الوطن ، كــل يفصــح عن خوالــج قلبــه ويحاول بما وسعه من قدرة على التعبير ، ابراز الاحاسيس التي لابست فكــره ووجدانه ، وهو يتلقى خبر النجاح الذى كللت بــه العمليــة ، ومــا صاحبها من رعاية الله وعنايته .

انها صورة اخرى من صور الالتحام الشامل ، الالتحام المتــين المكين ، بين العرش والشعب ، هذا الالتحام الذى رسخ جذوره الكفاح المشترك فى سبيــل الحفاظ على سيادة الوطن وحريتــه وكرامته ووحدتــه ، وتضافرت عواملــه ، وتواترت آياته ، عبر الدهر الطويل فى مسيرة هذه البــلاد على جــادة التقــدم والتطور ، والبناء والانماء .

انها صورة من تلاحم عريق اصيل ، قد وسع معناه كل ما يتسع له المعنى الطيب ، المعنى العامر ، من مميزات اشراق وخصوبة ووفــرة عطــاء ، وتجلت آياته فى هذا الموقف ، كما تتجلى دوما واستمرارا فى كل لحظة من لحظات الحياة بهذا البلد الامين ، السائر قدما ــ بــارادة العرش والشعب ، وبتوجيه الملــك القائد ، نحو تحقيق ارفع المقاصد ، وانجاز اسمى المرامى والاهداف .



تهنئة بالعام الجديد

استقبل المغرب والعالم الاسلامي، طلعة العام الهجري الجديد، واشراقة ذكرى الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها افضل الصلاة والسلام، استقبالا تحدوه الثقة الراسخة، ويحفزه العزم الصادق، وتنير أفقه تألقات البشر والامل.

وتغتنم "دعوة الحق" هذه المناسبة الكريمة، لترفع - بكل اجلال واكبار - الى مقام مولانا أمير المؤمنين **الحسن الثاني** نصره الله وأعز أمره،

آيات التهاني والتبريك

ضارعة إلى العلي القدير، أن يبقي سيدنا الامام لهذه الأمة منارا هاديا يضيء طريقها، ويوجه خطاها، وحصنا حصينا لامجادها ومفاخرها ونبع الهام لها فيما تسلكه من سبل التقدم والتطور، وان يقر عينه بسمو ولي العهد المحبوب **الأمير سيدي محمد** وصنوه **مولاي رشيد** وكافة الاميرات الجليلات.

كما نتوجه - بهذه المناسبة - الى الشعب المغربي، مباركة له عامه الجديد هذا، داعية الله ان يجعله عاما حافلا بالعمل المثمر، والانجاز الطيب، والازدهار لهذا الوطن الحبيب والتوفيق الشامل في النضال الذي يخوضه تحت لواء الملك الهمام جلالة الحسن الثاني - من أجل استرجاع الصحراء المغتصبة واستكمال وحدة التراب.

وتهتبل المجلة هذه الفرصة أيضا، لتعرب عن تهنئتها لجميع العرب والمسلمين في مشارق الارض ومغاربها، وأطيب المتمنيات لهم، والرجاء من الله أن يعجل بتحرير الاماكن المقدسة، وسائر الاراضي العربية المحتلة، إنه سميع مجيب.

فشكرا لله ، الشكر الذى لا يحده لسان ، ولا يحيط بـه جنان ، على مـا أولاه عز وجل من جزيل آلائه ، وجميل عوارفه ، وما من به مـن فضل عميم ، وخير وفير .

وتهنئة ، صادرة من اعماق القلب ، ومكنون الضمير ، الى سيدنا المنصور بالله ، على ما توجت به العملية الجراحية من توفيـق ونجاح ، ومـا اعقبهـا ـ ولله الحمد ـ من عاجل الابلال وشامل الصحة والعافية .

وتهنئة للشعب المغربى ـ وخلجات قلوب أبنائه تنبض سرورا بشفاء قائد المسيرة ، والدائب عن حياض الوطن ـ على ما حبانا الله به من هذه النعمة ، وما اغدق من لطفه وكرمه سائلين الباري عز وجل ان يطيل بقاء العاهل المفدى ويمده بحفظه ورعايته ، ويحقه بشامل عنايته وحياطته ، وييـسر اسباب الخير على يده ، ويحفظه فى ولى العهـد المحبوب سيـدى محمـد ، وصنوه مولاى رشيد ، وكافة افراد الاسرة الملكية الشريفة ، انه سميع الدعاء .

اللــه عـــودك الالــطـــاف

قد أبرأ الله ما فى الجســم من ألــــم	والله عــودك الالطــاف يسـديهـــا
فى روضة المصطفى فى الحجر فى حرم	توجهــت اعبــد تدعــو لباريهـــا
فأنزل الغيث واهتزت بــه وربـــت	بلادنـــا فقـــدت طيبـــا مغانيهـــا
اما ترى امـــة الاســـلام شاكـــرة	لله بـــراك ، والامطـــار تحييهـــا

عبد الرحمن الدكالي



دعوة الحق

فاتح محرم ، ان كان فاصلا زمنيا بين عام هجرى ينصرم ، وآخر يقبـل ، فهو — فى مدلول اعظم — فاصل بين تاريخ وتاريخ ، فى عهـد انطلاقـة الدعوة الاسلامية ومعلمة اساسية على الطريق ، بين مرحلة الجماعة الاسلامية الاولى فى مكة ، وبين الافق الاوسع اللامحدود ، الذى انتشر فيه الاسلام خلال شبـه الجزيرة العربية كلها ، ومنها خلال العالم كله ، الى يوم الناس هذا .

ان نقطة الحسم هذه ، التى يذكر بها مستهل السنـة الهجريـة ، لتجسم انفتاح المسار الذى سلكه الاسلام فى اشعاعه على العالم ليضـع من مجتمعنـا — كما صنع من مختلف المجتمعات الاسلامية — كيانـا مفعما بعوامل الحيـوية الفكرية والحضارية ، ومؤهلا للتاثير فى مجرى التاريـخ الانسـانى ، واغنـاء مضمـونـه

لقد كانت نقطة الحسم تلك ، عاملا حاسما فى تحديد وجهة تاريخنا كأمـة اسلامية وصياغة طبيعة فكرنا ومشربنا فى الحيـاة وبلورة الملامـح الرئيسيـة لشخصيتنا بين الامم ، وتحديد الابعاد التى يستقيم عليها مصيرنا الى الابد .

ومن ثم . فان هذه المناسبة ، لابد ان تثير فى نفوسنا من شعور الاعتـزاز بها ، قدر ما تثيـره من احساس بقيمة مدلولها الروحى والتاريخى والحضارى .

وهو اعتزاز جدير بامة تعى عمل ارتباطها بمثالياتها الروحية ، وتقيم قاعدة حياتها على هدى من هذه المثل ، وتبنى لليوم والغد فى حرص دائب على مالها من تراث ، وعناية موصولة بتعهده ورعايته .

❋ ❋ ❋

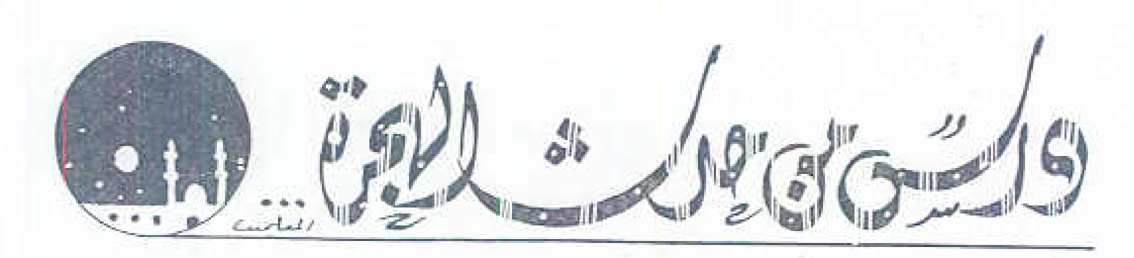
على جادة البنـاء والانماء ، الذى يستقطب اهتمامات الامـة الاسلامية فى
شرقها وغربها وفى ساحة النضال الذى يخوضه المسلمون من اجل اثبات وجودهم
فى عالم اليوم ، وشق الطريق نحـو التعاون مـع غيرهم على اقامـة مجتمـع
انسانى متفتح ومتطور ، قوامه الخير ، وسداه ولحمته : المحبة والصفاء

على هذه الجادة ، وفى هذه الساحة ، تتراءى معانى الهجرة مشرقة هادية ،
تلهم امة الاسلام مزيدا من صادق الايمان ، ومزيدا من راسخ العزم ، تنفتح فيها
روح الصمود أمام المصاعب ، وطاقة اقتحام وتذليل المثبطات . تتجـه بهـا على
الخط القويم ، الخط الايجابى الحـق ، نحو انتـزاع الحقـوق التى اغتصبهـا
الغاصبون ، واقرار المبادىء التى لا يستقيم بدونها للانسانية سيـر ، واكتساب
المقدرة على حفظ الكيان ، الذى لا يتأتى بدون الحفاظ عليه ، امل أو عمل .

معانى الهجرة : اقباس مشعة على طريق الامـة الاسلامية ، وهى تعبـر
ـ بكل الثقة التى تستلهمها من قيمها الدينية ، وتراثهـا الحضارى ـ حاجـز
التخلف والتبعية ، الى الافق الرحيب حيث التطور والسيادة والعزة .

وبديهى ، ان تشبع الامة الاسلامية بملهمـات هذه المعـانى ، وتوطينهـا
النفس على احتذاء نهجها ، لكفيل بان يجعل سعيها لتحصيل المناعـة الذاتيـة
وخطوها على درب العمل والانجاز ، اقوم اتجاها ، واقوى رسوخا ، واخصب
مضمـونـا .

دعوة الحق



للسيد وزير الشؤون الاسلامية والأوقاف
الاستاذ الداي ولد سيدي بابا

عندما اختار سيدنا الخليفة عمر بن الخطاب امير المومنين رضي الله عنه العام الذى وقعت فيه هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسنه كبداية لحساب التاريخ الاسلامى ، كان فى هذا القرار الحكيم انعكاس لعمق شعور المسلمين بقيمة حدث الهجرة فى تاريخ الاسلام ، وماكانوا ينيطون به من اهمية فى مضمون هذا التقدير ، باعتبار ان ذلك الحدث شكل نقطة الحسم فى جهاد النبي صلى الله عليه وسلم ضد الشرك والطاغوت ، وفتح امام الدعوة المحمدية عهدا جديدا ، كان منه منطلقها الى العالم كله .

نعم ، لقد كان لحدث هجرة نبينا المصطفى عليه افضل الصلاة وازكى التسليم ابعد الاثر فى ترسيخ قدم الدعوة المحمدية وتركيزها في يثرب ، وهى المدينة التي كان فيها الجو ملائما لنشر عقيدة التوحيد اكثر مما كانت عليه مكة التي جعلت قريش منها ، فى عهد الجاهلية ، معقلا للوثنية والربا والطغيان ، وتمادى جل سادتها فى العناد واظهار العداء الشديد لجماعة المسلمين والبطش والتنكيل بالمستضعفين منهم .

ان كل من حلل ابعاد الهجرة النبوية من النواحي السياسية والنفسية والجغرافية ليجد انها تمثل عملا رائعا بما صاحبه من توفيق ، وما اسفر عنه من نتائج ، يتمثل ذلك فى طبيعة المراحل التى تلته وسير الاحداث التي تعاقبت بعده ، وخصوصا عندما دخلت قبائل الاوس والخزرج فى دين الله افواجا ، مستنجدة بدين الاسلام فى نزاعها التقليدي مع القبائل اليهودية المتساكنة معها فى احياء المدينة .

وعندما صارت يثرب قلعة منيعة للمومنين ، واصبحت دار هجرة للمسلمين المضطهدين فى مكة ليلتفوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم بجموعهم المتصاعدة ، احس اهل العناد من قريش بالخطر الذى يهدد مصالحهم الحيوية ، المتصلة بتجارتهم مع الشام ، ونفوذهم السياسي والمالي المتسلط على قبائل الجزيرة العربية ، فلم يبق لاهل العناد من قريش ، والحالة هذه الا ان يعلنوا الحرب على المسلمين ، ويجعلوا من يهود يثرب وخيبر حلفاء لهم ضد المهاجرين والانصار ، محاولين بكل وسائل الكيد والاذى والخديعة للقضاء على هذه القلعة الاولى ، قلعة الايمان والتوحيد والمجتمع الفاضل المتعاطف ، التي اسسها رسول الهداية فى مدينة يثرب بما خصه الله به من حكمة وتدبير .

ومرت على هذه الحالة سنوات كانت كلها حافلة بالاحداث والتطورات ، واظهر المسلمون خلال مواقف رائعة من التضامن ، والوانا نادرة من الصمود والتضحية ، وصورا خارقة من البطولات . وهكذا انتصر الحق فى نهاية المطاف ، على باطل قريش وحلفائهم ، وجاء نصر الله والفتح ، فعاد الرسول الى مكة ، مسقط راسه ، فدخلها نهارا بعد ان خرج منها ليلا ، مكة التي نزل بها الوحي لاول مرة ، والتى

كانت تحيه ويحبها ، عاد اليهم محمد مظفرا يقود الوية النصر ومعه صحابته رضوان الله عليهم مكبرا حامدا ربه عز وجل الذى انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده .

وتم تحطيم الاصنام وطرد الشرك ، وتطهرت جنبات الكعبة المشرفة غداة ذلك الفتح المبين وحلت الرأفة والرحمة محل الطيش ، والظلم والفساد : « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

ستظل الهجرة النبوية بالنسبة لنا نحن المسلمين حدثا عظيما ورمزا خالدا ومظهرا من مظاهر الاعتزاز ، وستذكرنا دائما كذلك بما قاساه سيد الوجود سنين طوالا من محن واضطهاد ، وما تحقق له من المعجزات الكبرى التى اراد الله لها الا تتم الا باتباع الحق ولتحلي بالصبر والثبات والتواضع والحكمة الخارقة والايمان الصادق ، وما هذه الصفات الا بعض من اخلاق الرسول الاكرم الذى خاطبه الله عز وجل : « وانك لعلى خلق عظيم » .

اننا ونحن نودع سنة ونستقبل اخرى لا يسعنا الا ان نخلد عامنا الهجرى الجديد ، وذكرياتنا متصلة اقوى ما يكون الاتصال بالظروف القاسية التي جاءت فيها الهجرة والانتصارات والفتوحات الباهرة التى اعقبتها والتي فتحت للانسانية عهدا مشرقا جديدا سيبقى خالدا ابد الدهر .

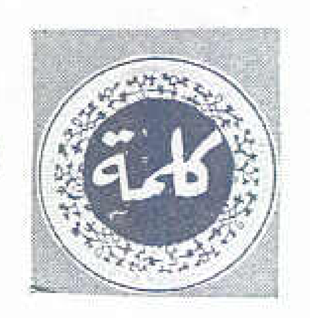
ولا غروان ان هذه المعاني والعبر ستبقى معالم نور تضيء للامة الاسلامية الطريق فى جهادها الشاق الطويل ، وسط عالم تسلط فيه طغيان الماديات واعمته الاطماع والمساومات ، وشابت فكره شوائب الالحاد ، بما تحمله من تحد للمبادىء والمثل السامية . ان هذا المدد الروحى القيم الذى نستمده من الهجرة ليذكرنا ايضا بان قوة خصمنا المستعمر الدخيل وعناده لا تقدر ان تجابه قوة الحق الذى بجانبنا ، والحجج الدامغة المتوفرة لدينا ، كما لا تستطيع ان تتحدى ارادة شعبنا الملتف وراء زعيم هذه الامة وقائد مسيرتها جلالة الحسن الثاني امير المومنين الذى يقود البلاد بحسن تدبره وقوة ايمانه وحصافة رايه من نصر الى نصر فى مختلف القضايا الوطنية وفى مقدمتها قضية اراضينا المغتصبة متخلقا فى اعماله ومواقفه واختياراته باخلاق جده المصطفى ، ومستنيرا فى طريقه بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ان تحقيق الظفر العاجل فى قضيتنا الوطنية بالصحراء ، ليشكل هدفا اساسيا من اهدافنا الكبرى التي تكتمل بتحقيقها عزتنا الاسلامية وتترسخ مقومات سيادتنا التي كانت — على مر الدهر — سند الاسلام والمسلمين ، ودرعهم الواقي وحصنهم الحصين .

وان للوطن فى الجهاد الذى يخوضه — لتحقيق هذه الاهداف — تحت لواء الملك الهمام الظافر جلالة الحسن الثانى نصره الله — المثل الاعلى فى صمود المسلمين الاول ، ومصابرتهم واستماتتهم ، حتى تم لهم النصر المؤزر — كما سيتم لنا بحول الله وكانت لهم العقبى الحسنة لقاء ما تحلوا به من جلد فى الجهاد ، ومثابرة على النضال — وصدق الله العظيم الذى قال : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » وقال عز من قائل : « وكان حقا علينا نصر المومنين) .

انها ملاحم مجيدة متسلسلة عبر القرون من ملاحم الجهاد الاسلامى ، رفعا لكلمة الحق ، وازهاقا للباطل .

واذ تخوض بلادنا بقيادة ملكها الهمام العظيم ، هذه المعركة المقدسة من اجل تحرير الاراضي المغتصبة ، فانها تستمد طاقتها على الصمود من هذا التراث الجهادى المشرق الذى احل امة الاسلام اعلى مكانة واعزها بين الامم ، وتستلهم من حدث الهجرة سبيلها الى النصر الكامل ، وتحقيق رفيع الاهداف فى العزة والكرامة والوحدة .

الرباط : الداي ولد سيدي بابا



معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

في حفل جامع السنة بمناسبة طلعة العام الهجري الجديد

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبيء المصطفى الامين ، وعلى آله وصحابته اجمعين

ايها السادة :

لكل امة مواعيد تلتقي فيها مع ايام مجيدة من ايامها ، ومناسبات في سجل تاريخها ، تتيح لها سبيل التأمل والاستذكار ، والنظر والاعتبار .

ان ايام التاريخ المشهودة ، واحداثه الخالدة ، هي بمثابة نوافذ مفتوحة على الماضي المجيد ، تتيح للاجيال الحاضرة ان تطل من خلالها على ما خلفه الذاهبون الاولون من اسلافها الطاهرين في سجل الحضارة والتاريخ من مآثر ومفاخر وعبر ، وعلى ماقدموه من عطاءات ، واسهموا به من مجهودات في بناء المدنيات ، وماكان لهم من دور في سبيل دفع عجلة التطور الانساني ، ووضع الاسس الصحيحة الثابتة لقواعد العلم والمعرفة .

وليس يخاف ما يحدثه ذلك من انعكاسات بعيدة المدى ، ويتركه من آثار على حياة الاجيال المتعاقبة ، التي من فيض هذا الماضي تستوحي ، ومن نوره تقتبس ، ومن وراء خطوه تسير .

وامتنا الاسلامية اذ تخلد احداثها ، وتمجد امجادها الوطنية والدينية ، فانها تؤكد بذلك تعلقها بقيمها العريقة ، وتمسكها بمقدساتها الراسخة ، التي بها قوام شخصيتها ، ومدلول كيانها ، والتعريف بحضارتها بين الامم .

وهذه ذكرى الهجرة النبوية الشريفة تحل بيننا اليوم ، لترينا أي جهاد عظيم خاضه نبينا المصطفى وصحبه الكرام في سبيل تركيز قواعد هذه المثل والقيم ، واية تضحيات تحملوها ، واعباء تجشموها ، في سبيل اعلاء كلمة الحق ، وترسيخ دعائم الايمان ، ونشر الوية الفضيلة والرحمة والخير ، واضاءة السبيل امام الانسان الحائر ، وضمان اسباب المساواة بين افراد البشر ، واحلال العدل والسعادة والطمأنينة في حاضر الانسانية ومستقبلها .

لقد كانت الهجرة تتويجا لمرحلة من الصراع الحاد في مكة ، في سبيل نصرة دين الهدى وقيمه المثلى ، التي دعا الله اليها عباده بواسطة خير خلقه ، وخاتم رسله ولازاحة العقبات التي اعترضت محجته البيضاء ، وفل الصعوبات الجسام التي حفت طريقه نحو غايته السامية النبيلة ، وهي اعلان اعظم ثورة واعمقها عرفتها الانسانية على مجتمع فاسد ، استحكمت فيه عبادة الاوثان ، وطغى الشرك والحقد والعناد .

كان الصراع صراعا بين الهدى والضلال : بين العقل والجهالة ، بين الايمان والجحود ، استعمل فيه المشركون وسائل شتى من الاضطهاد ، وقد غلف

تلوبهم حجاب المادة ، وغشي بصائرهم ، وطوح بهم في متاهات ، ضلوا بها كل سبيل نحو الخلاص والرشـــاد .

وكان لا بد ان تفضي تلك المرحلة من الصراع الى نهايتها ، بعد ان شق دين الحق في مكة طريقه ، واثبت كلمته ، ونشر معالم اشراقاته ، وصار الحال داعيا لانفساح مجال جديد امامه ، تتضاعف به جموع الآخذين بنصرته ، وتتيسر الاسباب لزيادة طاقتـــه ، وتصاعـــد قوته .

لقـــد كانت الهجرة — بحكم جذرية التحول الذى احدثته — منعطفا حاسما في خط سيـــر الهدايـــــة الاسلامية ، واصبح المسلمون في مهجرهـــم ، وبيـــن اخوانهم من الانصار في يثرب ، يؤلفـــون مجتمعـــا مهتديا وهاديا ، لم يزل يطرد نموه ، حتى تبلـــور في امـــة ارست قواعد التعاون على البر والتقوى ، ودرء الاثم والعدوان ، وفي دولة قوامها الايمان ، وركيزتها الاخـــاء والمحبة والصفاء .

وهكذا انتقلت الهجرة بالمسلمين مـــن موقـــف الضعف والمقاومة النفسية المعتمـــدة علـــى الصبـــر والتحمل ، الى مركز القـــوة المستوفيـــة لجميـــع عناصرها ، واصبح في وسع المسلمين ان يكونـــوا قوة معززة الجانب ، قوية السلطان ، وان يردوا على العدوان ، عملا بقوله تعالى : (فمن اعتدى عليكـــم فاعتـــدوا عليـــه بمثـــل ما اعتدى عليكم) صدق الله العظيـــــم .

ومـــا هـــي الا اعـــوام يسيرة مرت على حدث الهجرة ، حتـــى استطاعت قوة الايمان ان تقضي على عناصـــر الشرك في مكة ، لا لتنتقم منها ، كما يفعل المنتصرون عادة بالمهزومين ، ولكن لتطهـــر البيـــت الحرام من دنس الكفر ، ورجس الاوثان ، ولينتصـــر الحق ويبطل الباطل ، ويلقن المشركون اروع درس في الخلق الكريم ، والصفح الجميل ، والحلم الذى لـــم يسبق له مثيـــل .

وصدق رب العزة اذ قال : (الا تنصروه فقـــد نصره الله ، اذ اخرجه الذين كفروا ، ثاني اثنين ، اذ همـــا في الغـــار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه ، وايده بجنـــــود لـــم تروهـــا ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلـــى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم) .

فهنيئا للمسلمين بعامهم الخامس والتسعين بعد ثلاثمائة والف من هجرة نبينا عليه افضـــل الصـــلاة وازكى التسليم ، ضارعين الى الله سبحانه وتعالـــى ان يحفظ مغربنا المسلم في رائده الاول ، علـــى درب البعث الاسلامي ، مولانا امير المومنين الحســـن الثاني ، وان يكتـــب التوفيق والنصر للجهاد المقـــدس الـــذى يخوضه ، ومن ورائه الامة المغربية ، من اجل تحرير اراضينا السليبة ، وان يقر عينه بسمو ولي عهـــده الاميـــر ، سيـــدى محمـــد ، وصنوه الامير مولاى رشيـــد ، وباقـــي افراد الاســـرة المالكة الشريفـــة ، انه سميع الدعـــاء .

كما نسأله عز وجل ، ان يجعل هذا العـــام عام عز ونصر للامة الاسلامية ، وان يعجل بتحرير قدسنا الشريف ، وكافة الاراضي العربية المحتلة ، وان يقرنه باوفر عوامل التقدم والخير والازدهار للمسلمين فـــي مشارق الارض ومغاربهـــا .

وكل عام وانتم طيبون ، والسلام عليكم ورحمـــة الله تعالـــى وبركاته .

أما ترى أمة الإسلام شاكرة لله برءك...

للشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن بن أبي شعيب الدكالي

يا نفحة من رياض القدس امليها ... رقت جوانبها دقت معانيها

ان قلت مدحا فأين المدح من كلمي ... هيهات ان يلمس الجوزاء رائيها

اذا تحلت لك الدنيا بحليتها ... رات محاسنها الدنيا مساويها

اذا مساعي أمير المؤمنين بدت ... للواصفين فلا وصف يدانيها

بحسبها أنها وافت مقبلة يديك ... (يا حسن الدنيا وما فيها)

قد ابرأ الله ما في الجسم من الم ... والله عودك الالطاف يبديها

في روضة المصطفى في الحجر في حرم ... توجهت اعبد تدعو لباريها

فأنزل الغيث واهتزت به وربت ... بلادنا فغدت طيبا مغانيها

اما ترى أمة الاسلام شاكرة ... لله برءك ، والامطار تحييها

من كان لله للاسلام ينصره ... وللشعوب شعوب الضاد يبنيها

لا يقرب اليأس في البأساء همته ... وحسب همته ما كان يرضيها

سلوا الشعوب سلوا الدنيا : أهل عرفت ... مثل المحرر في احقاب ماضيها

يا قائد الشعب يا ابن الشعب يا ملكا ... هانت عليه من الدنيا عواديها

يا ابن الرسول الذي أحييت شرعته ... وعشت ناصرها دوما تزكيها

لا غرو ، أن يقف التاريخ في عجب ... يحكي البطولة في اسمى معانيها

انت الوصي على ابناء امته ... ما زلت للخير والانماء تهديها

انت الذي مارس الاحداث مقتحما ... هول الخطوب شجي النفس عانيها

انت الذي كنت في المنفى اخا وابا ... لاسرة الملك ترعاها وتحميها

ما كدت تملك حتى صرت ممتلكا ... قلوب حاضرها ، قلوب باديها

انت الجدير بعهد الله تكلاه ... امانة عند ذي عهد يؤديها

الله اكبر نور الله مقتبس ... من سيرة المصطفى من خير ما فيها

دين وعلم وتقوى كلها دفعت ... خليفة الله للاوطان يبنيها

ان الخصال التي تسمو الملوك بها ... جبلة كل شيء فيك يبديها

هذي المساجد ذكر الله يملأها ... في كل ناحية للدين تنشيها

للعلم عندك فوق الكل منزلة ... تحيي بها السنة الغرا وترضيها

اسست دار حديث للمصطفى فغدت ... أعلى المعاهد تثقيفا وتفقيها

ان صانها سيدي في رفع منهجها ... يزيدها الله تعظيما وتنزيها

هذي المدارس كم ضمت وكم جمعت ... من خير ناشئة امست مبانيها

— * —

احييت غرس المنى في كل ما بلد ... ولن تزال بحول الله تحييها

عبأت شعبك للصحرا يحررها ... واقسم الشعب بالارواح يفديها

ان اسخط الجور في الصحراء امتنا ... فعن قريب بعدل الله يرضيها

الم تقل لملوك الارض قاطبة ... رسالة الحق تعليها وتغليها

ان الملوك اذا دلت شعوبهم ... وهم يسوسونها ليسوا باهليها

الم تقل لشعوب العرب قاطبة ... ارض العروبة بالارواح نحميها

لولا الامانة روحي كنت ابدلها ... وكنت في غارة الاسلام ارضيها

صنت البلاد وكنت الدرع يؤمنها ... من كل عادية او من يعاديها

اذا اشتكى الشعب داء في خلائقه ... عالجت ما يشتكي داء وتشويها

تريده رغم انف الدهر مرتقيا ... اوج العلا وعصور الجهل يطويها

تريده امة في الراي واحدة ... يرمي الضغائن ان تارت دواعيها

اجلـت خلائـك العليـا مصائبـه ... واكسبتـه العـلا عـزا وتنويهـا
ما زلت تدعـوه للعليـا وترفعـه ... والنفس راغبـة فى خيـر داعيهـا
انت الذي تجعـل الاهـواء واحـدة ... والشمل مجتمعـا والـروح تعليهـا

— * —

عنايـة الله يا مـولاي قد سبقـت ... فسـر على عهـده فالله ينميهـا
وهو الكفيـل بأن يرعـى محمدنـا ... ومريمـا فهـو هاديـه وهاديهـا
اسمـا وحسنـا ومـا تشالهمـا ... رفاهـة العيش زاد اللـه ترفيهـا
وللرشيـد ومـا ادراك منزلـة ... ما ذروة المجـد الا مـن روابيهـا
ولايـة العهـد غرس اللـه تكـلاه ... والشعـب يحرسها واللـه راعيهـا
اداميـك اللـه يا مـولاي تنشئهـم ... كما نشأت كبيـر النفس عاليهـا
مولاي ان رحاب القـول فى سعـة ... يضيق عنها نطاق الشعـر يحصيهـا
لكن معركـة التحريـر سجلهـا ... (ديوان شعري) وللاجيـال يرويهـا

الرباط : عبد الرحمن الدكالي

وحـي الهجـرة فى نفسـي

بدأ الاسلام فى رجل وامرأة وغلام ،ثم زاد حرا وعبدا اليست هـذه الخمس هي كل اطوار البشرية فى وجودها ولبث النبي (ص) ثلاث عشرة سنة لا يبقيه قومه الا شرا على انه دائب يطلب ثم لا يجد ، ويعرض ثم لا يقبل منه ، ويجهد ثم لا يتخونه الملل ويستمر ماضيا لا يتحرف ، ومعتزما لا يتحول ، اليست هذه هي أسمى معاني التربية الانسانية أظهرها اللهكلها فى نبيه ، فعمل بها وثبت عليها.

وكانت ثلاث عشرة سنة فى هذا المعنى كعمر طفل ولد ونشأ واحكم تهذيبه بالحوادث حتى تسلمه الرجولة الكاملة بمعانيهـا ؟

افليس فى هذا فصلا فلسفيا دقيقا يعلم المسلمين كيف يجب ان ينشأ المسلم : غناه فى قلبه ، وقوته فى ايمانه وموضعه فى الحياة موضع النافع قبل المنتفع ، والمصلح قبل المقلد ، وفى نفسه من قوة الحياة ما يموت به فى هذا النفس ما فى الارض والناس من شهوات ومطامـع .

ـ مصطفى صادق الرافعي ـ



لفضيلة الاستاذ عبدالله كنون

من اوضح الدليل على ان الهجرة حدث عظيم فى حياة الاسلام ان الصحابة رضى الله عنهم جعلوها مبدأ التاريخ فلم يؤرخوا بمولده صلى الله عليه وسلم ولا بمبعثه ولا بغزوة بدر التى سجلت أول انتصار للاسلام على الشرك ولا بفتح مكة الذي طهر البيت الحرام من عبادة الأصنام ورفع راية التوحيد على جزيرة العرب فأصبحت منارا يهتدى به العالم فى ظلمات الجهل والالحاد .

ان كل هذه الاحداث تصلح لأن تكون مبدأ التاريخ الاسلامى لو لا ما يقترن بكل منها من معنى لا يتلقى مع هدف الرسالة الخالدة او يضؤل امام ما ادت اليه الهجرة من نتائج لأنتشار الدعوة لاتطال .

فالميلاد وان كان هو مبدأ انبثاق النور المحمدى الا انه ربما صرف الناس الى الاهتمام بذات الشخص ، والاسلام اتى حربا على هذا الاهتمام فانه قاد النصارى الى تأليه المسيح ، وقاد بعض المسلمين بعد ذلك الى نوع من الشرك فى حق بعض الأولياء والصالحين .. ومن ثم لم يكن المسلمون الأولون يحتفلون بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم وانما حدث ذلك بعد القرون الأولى .

والبعثة هى فى الحقيقة اول مظهر تجلت فيه عناية الله بهداية الخلق من جديد ، بعد ان انحرفوا عن الصراط المستقيم وما اتتهم به الرسل السابقون من شرع ودين .. ولكن اثرها لم يظهر ظهورا بينا ولم يتحقق المراد منها الا بعد الهجرة ، وقد ذاق المسلمون فى اعقابها الامرين ، وهاجروا فرارا بدينهم الى الحبشة ، وكانت الأعوام التى تلتها فترة امتحان شديد لهم وللنبى نفسه عليه السلام .

كذلك وقعة بدر وفتح مكة ، فانهما معركتان هامتان ادال الله بهما للمسلمين من عدوهم وأعقبهم نصرا وتمكينا ، انما اذا نظرنا الى الامر بعين الواقع ، نجد انهما من ثمرة الهجرة وخيرها وبركتها .

فالهجرة اذن هى المنطلق العملى والموقف الحاسم فى تاريخ الاسلام وكل ما تحقق بعدها من منجزات وتتابع من نجاحات فهو محسوب عليها وراجع اليها ، ولذلك لما تداول عمر مع الصحابة فى امر التاريخ فقال بعضهم ارخ لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال هو لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مهاجره فرق بين الحق والباطل ، كما جاء فى تاريخ الطبرى وغيره .

ولاشك ان الهجرة كانت تضحية كبيرة من المسلمين الأولين ، فقد فارقوا ارضهم وتركوا اموالهم وديارهم فى سبيل المحافظة على عقيدتهم والممارسة لدينهم وحريتهم ، ومنهم من فارق اهله وذويه واحب الناس اليه من اب وام وزوجة وولد ، صدعا بامر ربهم وايثارا لطاعته وطاعة رسوله على اهواء انفسهم كما قال تعالى فى حقهم .

« للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون »

وقد قوبلت هذه التضحية من مسلمى المدينة ، وهم الانصار ، بما تقتضيه الأخوة فى الدين من تعاون وتضامن ، فخلطوهم بأنفسهم وتقاسموا معهم أموالهم وديارهم ، وءاثروهم على الحاجة بما عندهم كما قال عز وجل فيهم « والذين

تبوأو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجـر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون علـى انفسهم ولو كان بهم خصاصة . »

وكانت اعظم نتائج هذه الحركة هـى تجمـع المسلمين فـى موطن واحد يمكنهم من الدفاع عـن انفسهم والدعوة الـى دينهم والتجاهر بما لم يكونوا يستطيعون التجاهر به من العمل على ارساء قواعـد المجتمع الاسلامـى واقامة حكومة شرعيـة تناهض الفساد والظلم والاستبداد ، وهكذا ماكادت تمر سنة علـى حادث الهجرة حتـى وجد المشركون انفسهـم امام قوة اسلامية تقاتلهم على كلمة اللـه ومقاومـة التجبر والطاغوت وتنتصف منهم وهى قلـة قليلة وينهزمون مثخنين وهم كثرة كاثرة .

انها قوة التجمع والتكتـل تساندها العقيـدة الصادقة والايمان الراسخ تفتعل الاعاجيب وتصنـع المعجزات ولو بقى المسلمون متفرقين موزعين ما بين مكة والمدينة لما استطاعوا ان يفعلوا شيئا ، وان كان الله قادرا على نصرة نبيه واعلاء كلمته ، ولكنه عـز وجل لم يشرع الشرائع وينزل الأديان بما يخالـف سننـه فـى الكـون واحكامه فى الخلق من تعاطى الأسباب واتخاذ الوسائل ، ولذلك قاتل النبى صلى الله عليه وسلم واعـد العدد وحفر الخندق وبعـث السرايا وخرج فى غزوات عديدة بنفسه يريد جهـة ويورى بغيرها لأن الحرب خدعة ، واستطلع اخبار العدو واقام الحراس واخذ بالاحتياط فـى شـؤون التموين وغيره وعالج المرضى والمجروحين ولم يتـرك الأمر فوضى ويقل ان على الله ان يكفينا ويصلـح احوالنا بدون سعى ولا عمل .

واستفاد اصحابه من هذا الدرس فقال لــه المقداد يوم بدر : لا نقول لك كما قال بنو اسرائيـل لنبيهم : اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ، بل نقول : اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون » ولما قال ابو عبيدة لعمر وقد عدل عن دخول الشـام حين علم ان الطاعون اصابها : (افرارا من قدر الله ياعمر ؟ اجابه عمر : نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ! لو غيرك قالها يا ابا عبيدة !) يعنى لأدبته .

ان الحركية التـى دبت فى المسلميـن بسبـب الهجرة والنتائج الملموسة التى ترتبت عليها ، هـى التـى دفعت بهم بعد ذلك الى فتح البلاد واخضاعها لحكم الاسـلام ، فلم تمر على قيام الدعوة الاسلاميـة ثلاثة عقود حتـى دخلت فى طاعتها جميع الاقطـار التـى تكون امبراطوريتى فارس والروم ، ولم يكتمل القرن الأول حتـى شمل نفوذها ما بيـن الصيـن شرقـا واسبانيا غربا .

لقـد كانت الهجرة هى المنطـق لهذا العمـل الجبار ، وذلك لأن المهاجرين لم يكن وكدهم هو الايواء الى مكان امين يطمئنون فيه على نفسهم ودينهـم ، كما يفهم الهجرة بعض الناس ، ولكنهم كانوا يطلبـون الامن والاطمئنان ، وللتخطيط لمستقبل الاسلام ونشر الدعوة واعلان كلمة الحق ومنع الظلم والتحكم فـى رقاب العباد لانهم فهموا ان هذا هو مرمى الرسالـة المحمديـة والغاية من بعثة النبـى العربـى عليـه السلام وانزال القرءان واعداد الأمة العربية للمهمـة العظمـى التـى حملها اياها هذا الكتـاب العزيـز المنزل بلغتها الضادية المبينة ، فقاموا على قدم وسـاق وبذلوا النفس والنفيس لتحقيق هذا الهدف وكانـوا خيـر امة اخرجت للناس .

بهذا كانت الهجرة ابرز حدث فى نظر عمـر رضى الله عنه حين وضع تاريخ الاسـلام فاصبـح يقابل تاريخ الميلاد فى جميع تواريخ العالم وبهذا المفهوم تصورها سلفنا الصالح حتى كان التجـار منهـم اذا نزلوا بلدا نائيا لم يبلغه الاسلام ولم تصله دعوتـه ، نصبوا انفسهم دعاة لله ومبشرين به فاسلـم العلم والرم من سكان البلاد الأفريقية والأسيوية بدون ان يجلب عليهم احـد بخيل ولا ركاب .

ثم نشأ بعد ذلك جيل فهم الهجرة فهما محدودا ، فكـان اذا رأى بدعة او منكرا او حدث تسلط مـن العدو على بعض بلاد الاسلام شد الرحلة الـى بلد يعتقد انه بمأمن من سيطرة العدو ، او ان شعائـر الاسلام فيه بمنجى من التحدى والتطاول ، وهو يرى انه هاجر الى الله ورسوله اقتداء به صلى الله عليـه وسلم وبصحابته الكرام .. وزاد فى الطين بلة ان كثيرا من الفقهاء صاروا يفتون بتحريـم الاقامـة فى ارض العدو او ارض لا تقام فيها شعائر الاسلام ، ناسيـن او متناسين هجرة الصحابة الاولى الى الحبشـة ، وهـى لم تكن ارض اسلام ، وما طوق الله بـه المسلمين من تبليغ الدعوة الى دينه لكل من لم تبلغه ، وان ذلك لا يتأتى وهم قابعون فى عقر دراهم ولا باهمال واجب الأمر بالمعروف والنهى عـن المنكر كلما ظهـر موجبه ، والانتقال الى بلد يظن المنتقل اليـه انـه قائم على امر الله لا مخالفة فيه لاحكام الشريعـة وبعد ذلك هجرة ، فان صاحب الشرع عليه السلام

قابل الهجرة بما يعادلها من العمل لنصرة الاسلام حين قــال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فيصدق ذلك بالقيام بواجب الامر والنهي وواجــب التبليــغ ــ طبعا ــ في دار الكفر والالحاد والوثنية ، وهــذا لا يتأتى الا بالسفــر اليهــا والاقامة فيها .

وقــد اخذ بهذا النظر مخالفونا في العقيــــدة وبخاصة المسيحيون ، فكانوا منذ العصور الوسطــى التــي شاعت فيها تلك الفتوى بيننا ، يقصدون بلادنا للاقامة صناعا وتجارا ومتجولين ، ومنهم من كان يقوم بالدعوة الى دينه ، ومن يتجسس علينا لصالح امته ، وعظمت هذه الحركة واتسعت حتى نشأت عنها مأمورية التبشير والمبشرين وحركة الاستشــراق والمخابرات وكثرت الجاليات الأجنبية في بلادنا واكتسبت حقوقا صارت تعرف بالامتيازات ، وربما عقدت بيننا وبيــن بعض دولهم معاهدات تعطينا نفس حقوق في بلادهم لكنا لا نستعملها ولا نستغلها ، نرى الكنائس والمحلات التجارية والمنشآت الاجتماعية التي تخصهم قائمة في كل مكان من بلادنا ، لا نرى مسجدا واحدا في بلدهــم ولا جالية اسلامية ولا حق اقامة ولا غير ذلك .

وبقدرما استفادوا هم من الهجرة الــى بلادنا خسرنا نحن اعظم الخسارة فلم نبشر بدين ولم ننشر دعوة ولا روجنا تجارة ولا مارسنا حقوقا اكتسبناها بالمقابل بل لم نفتح اعيننا على حضارة جدت وصناعة تطورت ، وعلم وفنون ومعرفة تقدمت وازدهرت وغاب عنا الكثير منها .

وها نحن اليوم بعد ان اضطرتنا الظروف القاهرة الى كــر ذلــك المفهــوم الخاطىء عن الهجــرة ، واقبلنا على البلاد الاجنبية زرافات ووحدانا ، طالبين للمعاش بصفة عمال او تجار صغار او طلبة او ما الــى ذلك ، ماهي اعمالنا بشأن رفع راية الاســلام والدفاع عن كرامة بلادنا والدعاية لقضايانا ولا سيما قضية فلسطين والعدوان الاسرائلي علــى بــــلاد العــــرب .؟

اخشى ان اقول لاشيء ولكني اذا قارنتها بعمل اليهود في تلك البلاد اقول جازما ، لاشيء وقد كانت الحفنــة القليلة من المسلمين الأولين الذين هاجــروا الــى الحبشة ، اكثر نشاطا منا وايمانا برسالتهــم ، فلم يفتأوا ان اثروا في النجاشي نفســه وادخلوه فــي ديــن الاسلام وصار هو ايضا مــن الدعاة الــى الدين الحنيف واسلم على يده صحابي جليــل هــــو عمرو بن العاص وبه يلغز فيقال ما صحابي اسلــم علــى يد تابعي ؟.. هذا ومهاجرونا الى اوروبا واميركا يعدون بمآت الآلاف ، فلناخذ هذا الدرس من الهجرة ، ولنحتفل بها على هــــذا الاساس ، اساس التبليــغ والدعوة الى الاسلام .

عبـد الله كنـون





لما كانت الدعوة الى المبادىء القويمة لا يتحقق لها النصر الا باعداد قوة تحميها ، ولا تتوافر لها هذه القوة الا اذا آمن بها مجتمع ايمانا عميقا ، واخلص فى الدفاع عنها ، وتفانى فى السمل على نشرها ، لذلك حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على ان يحقق لدعوته هذه الدعامة ، وقد شاء الله تعالى ان يحققها له فى المدينة واهلها من قبيلتى الاوس والخزرج ، فامر المسلمين من اهل مكة بالهجرة اليها ، ثم هاجر هو اليها مع صاحبه ابى بكر الصديق ، واتخذ من هذا البلد ومن اهله درعا قويا لرسالته ، ونقطة ارتكاز يزحف منها الاسلام الى مختلف بقاع العالم .

ولكن الدعوة الجديدة قد وجدت امامها ، بعد هجرة الرسول ثلاثة قوى تتربص بها الدوائر ، وتعمل جاهدة على القضاء عليها فى مهدها : احداها فتمثل فى مشركي العرب من سكان مكة وغيرها ، وثانيتها تتمثل فى اليهود من سكان المدينة وضواحيها ، وثالثتها تتمثل فى نصارى الغساسنة والروم ؛ وقد قضت تعاليم الاسلام وشاءت سماحته ان يكون الاصل فى العلاقات بين المسلمين وهذه القوى ان تكون علاقات سليمة يسودها حسن الجوار وعدم الاعتداء ، وانه لا يجوز للمسلمين ان يقفوا موقفا عدائيا حيال قوة منها الا اذا بدأ اهلها بالاعتداء على المسلمين ، أو نكثوا ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود وظهرت منهم بوادر الخيانة والغدر ، او أحدثوا ما من شأنه ان يثير الفتنة او يعوق الدعوة الاسلامية او يهدد سلامة الدولة . فهذه ثلاث حالات لا يجيز الاسلام الحرب فيما عداها ، وهي تدل فى جملتها على ان الاسلام لا يجيز للمسلمين ان يحاربوا غير المسلمين الا اذا اضطرهم هؤلاء الى الحرب اضطرارا ، وساقوهم اليها سوقا ، وفرضوها عليهم فرضا . وقد حافظ الرسول عليه السلام ايما محافظة على هذه المبادىء بعد هجرته الى المدينة ، فلم تتجاوز حروبه مع غير المسلمين هذه الحالات الثلاث :

(الحالة الاولى) اذا بدأ غير المسلمين بالاعتداء على المسلمين ، فوضعوا المسلمين فى حالة دفاع مشروع عن انفسهم وبلادهم . وفى هذا يقول الله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (1) ، ويقول : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين » (2) ويقول : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » (3) ، ويقول : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل

(1) آية 190 من سورة البقرة .
(2) آية 194 من سورة البقرة .
(3) آية 90 من سورة النساء .

علـى الله ، انه هو السميع العليم » (4) ، ويقول : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولـم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهـم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عـن الذيـن قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركـم وظاهـروا علـى اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (5) .

(والحالة الثانية) اذا نكث غير المسلمين مـا كان بينهم وبين المسلمين من عهود ، وظهـرت منهـم بوادر الخيانـة . وفـى هـذا يقول الله تعالـى : « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فـى دينكم ، فقاتلوا ائمة الكفر ، انهم لا ايمان لهم لعلهـم ينتهون » (6) ، ويقول : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سـواء ، ان الله لا يحب الخائنيـن » (7) ، اي ان ظهرت بوادر الخيانة من قوم بينكم وبينهم ميثاق فارم اليهم عهدهم علـى طريقة مستويـة ، وذلك بأن تخبرهم بالنقـض ، وتـدع لهم فرصـة للاستعداد ، ولا تناجزهم بالحرب بغتة ، حتى لا تتهم بالخيانة ، والله لا يحب الخائنين .

(والحالة الثالثة) اذا حدث من غير المسلمين ما مـن شأنه ان يثير الفتنة ، او يعوق الدعـوة الاسلامية او يتهدد سلامة الدولة . وفى هذا يقـول الله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكـون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » (8) . ويقول فى آية اخرى : « وقاتلوهـم حتـى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهـوا فـان الله بما يعملون بصير » (9) .

وقـد حافظ الرسول عليه السلام على هـذه المبادىء ايما محافظة بعد هجرته الى المدينة ، فلـم تتجاوز حروبه هذه الحالات الثـلاث ، سواء فـى ذلك حروبه مع مشركي العرب وحروبه مع اليهـود وحروبه مع نصارى الغساسنة والروم .

اما فيما يتعلق بمشركي العرب فانهم هم الذين بدؤا بالاعتداء علـى الاسلام والمسلمين ، وامعنـوا فى ايذاء المسلمين وايـذاء الرسول عليـه الصـلاة والسلام نفسه ، حتى لقد هموا بقتله قبل ان يهاجـر الـى المدينة ، واستمروا بعد هجرته فى ايذاء مـن بقي من المسلمين فى مكة ، واستمروا فى محاولة فتنتهم عـن دينهم ، واخذوا يتربصون الدوائـر بالاسـلام والمسلمين المقيمين فى المدينة من المهاجرين والانصار .

فكان هناك اذن بدء بالاعتداء ، ولم يكـن ثـم مفر من ان يبيح الله تعالى للمسلميـن ان يقاتلوا المشركين دفاعا عن انفسهم وعن عقيدتهم وعـن المسلمين المضطهدين فـى مكة . وفى هذا يقول اللـه تعالى : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله علـى نصرهم لقدير » (10) ، اي اذن الله تعالـى للمسلمين الذين يقاتلهم المشركون ، والذين قد بـدأ المشركون بالاعتداء عليهم ، اذن الله تعالى لهم بأن يدافعوا عن انفسهم ، لأنهـم قـد تعرضوا للظلـم والاضطهاد ، وان الله على نصرهم لقدير . ويقول فى آية اخرى : « وما لكم لا تقاتلون فـي سبيل اللـه والمستضعفين من الرجال والنسـاء والولدان الذيـن يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلهـا واجعل لنا مـن لدنك وليا واجعل لنا مـن لدنـك نصيرا » (11) ، اى انه يجب عليكم ان تقاتلـوا فى سبيل الله وفى سبيل نصرة هؤلاء الضعفاء من الرجال والنسـاء والولدان الذيـن يتعرضـون للأذى مـن المشركين فى مكة ، والذين اشتد بهم العذاب حتى انهم ليضرعون الى الله تعالى ان يخرجهم من هذه القريـة الظالم اهلها وان يجعل لهم من لدنه وليا ويجعـل لهم من لدنه نصيـرا .

وكان الاذن للمسلمين فى المبدا بقتـال قريـش وحدها ، لأنهـا هى التى بدأت بالاعتـداء . ولكـن بعد ان ألبت قريش معظم قبائل العرب على المسلمين

(4) آية 61 من سورة الأنفال .
(5) آيتي 8 ، 9 من سورة الممتحنة .
(6) آية 12 من سورة التوبة .
(7) آية 58 من سورة الأنفـال .
(8) آية 193 من سورة البقرة .
(9) آية 39 من سورة الأنفال .
(10) آية 39 من سورة الحج .
(11) آية 75 من سورة النساء .

فـي غزوة الأحزاب ، اصبح معظم قبائل العرب عدوا للمسلمين واصبح معظم قبائل العرب بادئين بالاعتداء علـى المسلمين ــ ولذلك وسع الله تعالـى الاذن فسمح للمسلمين ان يقاتلوا جميع قبائل العرب التـي البتها قريش عليهم فى غزوة الاحزاب ، فقال تعالى : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » (12) .

هذا فيما يتعلق بحروب الرسول عليه السـلام بعد هجرته مـع مشركي العـرب ، وقد راينـا ان السبب الذي دعا اليها يرجع الى المبرر الأول مـن المبررات التي ذكرناها ، وهو حالة الدفاع المشروع .

واما فيما يتعلق بقتاله مع اليهود ، فان الرسـول عليه السلام بعد ان هاجر الى المدينة عقد معاهـدة حسـن جوار وعدم اعتداء مع اليهود ، سواء فـي ذلك اليهود الذين كانوا مقيمين فى المدينـة نفسهـا كبنى قينقاع واليهود الذين كانوا فى ضواحيها وعلى مقربة منها كبني النضير وبني قريظة ويهود خيبـر وفدك وتيماء . وظل الرسول عليه السـلام وظـل المسلمون محافظين على عهدهم حتـى نكث اليهود بهـذا العهـد ، وتكرر نكثهـم ، وتكررت خياناتهم ، وتآمروا مع اعداء الاسلام ، وهذا هو دين اليـهود فـي جميع عصورهم ، فلم يجد حينئـذ الرسـول عليه السلام بدا من ان يدافع عن الاسلام والمسلمين ويرد على هذه الخيانة التي بداها اليهود .

فبعد غزوة بدر تحدى يهود بنى قينقاع النبـي والمسلمين ، وكشفوا عن غدرهم ونكثهم للعهد ، فبرز اليهم الرسـول عليه السلام واكتفى باجلائهم عـن ديارهـم .

وبعـد غزوة احد التي انتصر فيها المشركون ، لمخالفة فريق من جيش المسلمين لتعليمات الرسول ، نكث يهود بنى النضير بعهدهم ، وكان زعيمهم كعب بن الأشرف قـد خرج قبل ذلك مع اربعيـن فارسـا الـى مكة للانضمام الى قريش ، وحينئذ لم تبد منهم بوادر الخيانة فحسب ، بل بدت منهم الخيانة نفسها سافرة . فحاصرهم الرسول عليه السلام ، واكتفـى فـي عقوبتهم باجلائهم عن ديارهم ، حتى لا يكونوا فى هـذه البـلاد راس حربة موجهة الـى الاسـلام والمسلمين . وفـي هذا يقول الله تعالى : « هـو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهـم لأول الحشر ، ما ظننتم ان يخرجوا ، وظنوا انهـم ما نعتهم حصـونهم مـن الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعـب ، يخربـون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنيـن ، فاعتبروا ياولـي الأبصار . ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فـي الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب النار ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله فـان اللـه شديـد العقـاب » (13) . فهـم كما ذكـر الله ، قد بدءوا بالمشاقة والاعتداء والخيانـة .

وبعـد ان البت قريش معظم قبائل العـرب علـى الاسلام والمسلمين فى غزوة الاحزاب ، وكان المسلمون فى احرج المواقف ، لا يحميهم من عدوهـم الـذي كان يزيد عنهم اضعاف مضاعفة فى العـدة والعدد الا خندق صغير حفره الرسـول والمسلمـون حـول المدينة ، وكان العدو على وشـك اجتيازه ، حينئذ انتهز يهود بني قريظة هذا الموقـف الحـرج ، ونكثوا بعهدهم ، وكونوا ما يسمى فى الوقت الحاضر « طابورا خامسا » يساكـن المسلميـن فى ديارهـم ويضربهم من الخلف ويظاهر عليهم المشركين ، فبعـد ان انتهت غزوة الأحزاب برجوع المشركين الـى ديارهم ، وبعد ان ردهم الله بغيظهم لـم ينالـوا خيرا ، وكفى المؤمنين القتال ، حاصر الرسـول عليه السلام بنى قريظة الخونة وتخلص منهم وخلص الاسلام مـن شرهم . وفى هذا يقول الله تعالـى : وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فـي قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » (14) اي انزل يهود بنى قريظـة الذيـن ساعدوا المشركين فى غزوة الأحزاب ناكثين بعهودهـم مع المسلمين من حصونهم وقذف فى قلوبهم الرعـب فتخلص منهم المسلمون .

وبعد صلح الحديبية وظهور بوادر الغدر مـن يهود خيبر وفدك وتيماء غزاهم الرسول عليه السلام وانتصر عليهم ، ولكنه ابقاهم على ارضهم يزرعونهـا ويأخذون نصف ثمارها علـى ان تكون ملكيتها للدولة الاسلاميـة ، وبعد ان اذعنوا لجميع ما املاه عليهم من شروط كانت فى صالح الاسلام والمسلمين .

---

(12) آية 36 من سورة التوبة .
(13) آيات 2 ــ 4 من سورة الحشر .
(14) آية 25 من سورة الأحزاب .

فمن هذا يتبين ان حروب الرسول عليه الصلاة والسلام مع اليهود كان الباعث عليها المبرر الثاني من المبررات الثلاثة التي ذكرناها ، وهو نكث العهد وظهور بوادر الخيانة والغدر والكيد للاسلام والمسلمين .

واما فيما يتعلق بحروب الرسول عليه السلام مع نصارى الغساسنة والروم ، فانه عليه السلام لم يبدأ بقتالهم ، ولم يبعث اليهم جيوشه فى غزوة مؤتة الا بعد ان قتل عامل الروم المبعوث الذى بعثه الرسول عليه السلام الى بصرى ، وبعد ان قتل الغساسنة والروم عددا كبيرا ممن اسلم فى ديارهم ، وبعد ان اخذوا يتربصون بالمسلمين الدوائر ، ويحرضون حلفاءهم ومن كان تحت حمايتهم من امراء العرب على غزو المدينة للقضاء على الدولة الاسلامية فى مهدها ، ويتحرشون بالمسلمين ويظاهرون اعداءهم عليهم .

فحروب الرسول عليه السلام مع نصارى الغساسنة والروم كان الباعث عليها اذن هو المبرر الثالث من المبررات التي ذكرناها ، وهو القضاء على الفتنة ، وتأمين الدعوة ، والحفاظ على سلامة الدولة .

وهنا نقف وقفة استطرادية يسيرة لنعرض ما سجله التاريخ لاصحاب الرسول عليه السلام فى غزوة مؤتة من صفحات رائعة فى مواقف البطولة والفدائية والاخلاص وحسن التدبير الحربى . فقد اوصى الرسول عليه السلام ان يحمل الراية فى هذه الغزوة زيد بن حارثة ، فان قتل فجعفر بن ابى طالب ، فان قتل فعبد الله ابن رواحة ، فان قتل فليحملها من يختاره الجيش من بين المسلمين .

فحملها زيد بن حارثة وقاتل فى مقدمة جيشه حتى قتل ، ثم حملها جعفر بن ابى طالب واخذ يقاتل كذلك فى مقدمة جيشه حتى قطعت يده اليمنى ، فحمل اللواء بيده اليسرى وظل يقاتل حتى قطعت يده اليسرى كذلك ، فضم اللواء الى صدره وظل يقاتل حتى قتل . روى البخارى عن عبد الله بن عمر قال : « كنت فيهم فى تلك الغزوة ، فالتمسنا جعفر بن ابي طالب فوجدناه فى القتلى ، ووجدنا فى جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية ليس فيها شيء فى ظهره » اي لم يحاول مطلقا ان يولي الادبار . ثم حملها عبد الله بن رواحة ، وظل كذلك يقاتل فى مقدمة جيشه حتى قتل ، فاختار القوم خالد بن الوليد ، فرأى انه لا قبل له بجيوش اعدائه ، وان استمراره فى القتال سينتهي الى ابادة جيشه وما يجره ذلك على سمعة جيوش المسلمين الذين تذف الله الرعب منهم فى قلوب اعدائهم ، فدبر وسيلة حكيمة للتقهقر ، فقام بتغيير مواقع الجيش ، وكلف كتيبة من كتائبه بأن تقف خلفه وتثير الغبار ، لتلقى فى روع الأعداء ان مددا جديدا قد وصل الى جيش المسلمين ، ووقف هو فى كتيبة اخرى يقاتل العدو ليحمي انسحاب الجيش الاسلامي الى المدينة ، حتى لا يتقهقر بدون نظام ، وحتى لا يتعقبه جيش العدو . وفى هذه المعركة ، على ما يروي الامام البخارى فى صحيحه ، تكسرت فى يد خالد وهو يقاتل القوم تسعة سيوف ، وكان آخر ماثبت فى يده سيف يماني ظل يقاتل به حتى تم انسحاب جيشه .

الرباط : دكتور علي عبد الواحد وافي

ملك أحبته البلاد

للشاعر محمد عبد الكبير العلوي

لله ماقد هاج من ادواء … بعد الظهيرة موجز الانباء

اودعت قلبي وجده وغرامه … وطويت احشائي على رمضاء

ضاقت بي الارض الفسيحة وانطوت … عني السماء وضاق رحب فضائي

فاذا بلاغات الشفاء تهزني … وتطير بي فرحا الى الجوزاء

واذا البشائر والهناء يحفني … بصباحه المتلألىء الوضاء

واذا بارضي فرحة ومسرة … واذا السماء كما عهدت سمائي

واذا الفضاء بيمنه وسعوده … متبلج الاصباح والامساء

واذا حشود الشعب يغمرها الهنا … والمبتغى فى ملتقى السراء

وافت تهنىء من صميم قلوبها … حسن البلاد بصحة وشفاء

شبوا على شغف به ومحبة … وسقوا باخلاص له ووفاء

شغفت به الاوطان فهو حبيبها … تفديه بالاباء والابناء

لم لا وقد سعدت به وبعهده … فغدت بذلك امة السعداء

وافاك شعبك بالتهانىء معربا … لك عن وفاء خالص وولاء

اثنوا على المولى بما هو اهله … وتوجهوا بتبتل ودعاء

ان يكلأ الحسن العظيم بحفظه … ويحوطه بسعادة وهناء

لو انهم اعطوا الخيار تحملوا … فى السقم والالام ثقل الداء

او انهم اعطو الخيار تحملوا   عنك الجراح بانفس ودماء

شعب بذلت له الفداء مضحيا   منذ الصبا متحمل الاعباء

شعب بذلت له الفداء مضحيا   فانساب فى اشراقة وفداء

مولاى ياحسن البلاد لك الهنا   من واهب الانعام والالاء

أحييت دين المصطفى ونشرته   فى سائر الاقطار والانحاء

وغدت شعوب المسلمين مدينة   لك بالثنا فافخر بكل ثناء

ورفعت أعلام الهدى خفاقة   فى العالمين تشع للاعداء

وعلا نداؤك للجهاد مدويا   فى الخافقين يرن فى الاجواء

مترددا فى المغربين وكم له   فى المشرقين هناك من اصداء

امجدد الدين الحنيف لك الهنا   ولك الدعا من سائر العلماء

ولك العلي ولك المحامد والثنا   من مبدعي الشعراء والخطباء

مولاي دم للعرب معجزة ودم   للشعب ملجا كاشف البرحاء

مولاي دم شمسا لعهدك يهتدي   بضيائها فى غيهب الظلماء

فلأنت هادي العمى من غى الضلال   ومسمع الصم الدعا بنداء

وحدت صف المسلمين وحزبهم   وبنيت صرح الامة العرباء

وجعلت مغربنا لذلك كعبة   فغدا بفضلك ملتقى العظماء

ملك احبته البلاد وعللت   من حبه وولائه بسخاء

شمل البلاد ببدوها وبمصرها   يمنا واغنى شعبها بثراء

واظلها بظلال امن شامخ   وعدالة ممتدة الافياء

وتفيئت تلك الظلال سعيدة   تنمو وتنعم فى هنا ورخاء

غمرت مواهبه المناطق كلها   وتدفقت بالجود والاعطاء

فله هبات فى المدائن جمة   وله الايادى البيض فى الصحراء

كالوبل فاض على المحيط سماحة   ومضى يعم مجاهل البيداء

انى اعيذك بالحواميم التى   هى رقية من سائر الادواء

وبكل سر فى الكتاب منزل   فيه الشفا وباقدس الاسماء

الرباط : محمد الكبير العلوي



فعلوا ذلك : ومن حولهم التاريخ انواع :
والتقويم انواع :

— التاريخ الميلادى لسنة المؤتمر يوافق 639 م.
— التاريخ العبرى لسنة المؤتمر يوافق 4399 عبرية
— التاريخ القبطى لسنة المؤتمر يوافق 355 قبطية .
— التاريخ السريانى لسنة المؤتمر يوافق 950 سريانية

وفى يوم الخميس اول المحرم سنة 1 هجرية كان يوافق 15 يوليوز سنة 622 م. ويوافق 2 آب سنة 4382 عبرية ، ويوافق 21 ابيب سنة 338 قبطية ، ويوافق 15 تموز سنة 933 سريانية .

وفى المسلمين مثقفون يكتبون السريانية والعبرية : مثل زيد بن ثابت الذى امره الرسول ان يتعلم العبرانية والسريانية ، ولكنهم اعتزوا بالامجاد الاسلامية ، ولم يستعيروا من احد تاريخا ، ولم يسيروا فى ركب احد ، لأنه لا تنقصنا الامجاد . .

ان أول ما بدأ التوقيت بالايام والاسابيع والشهور والسنين ، كان عند قدماء المصريين قبل الميلاد باكثر من اربعة آلاف سنة ، حيث يظهر النجم المعروف باسم الشعرى اليمانية SIRIUS يظهر فى الصباح قبل شروق الشمس بفترة قصيرة ، كل سنة مرة يوافق الآن يوم 19 يوليوز . قال الله تعالى فى سورة النجم [وانه هو رب الشعرى] .

يعتقد اليهود أن تاريخهم يبدأ من اول خلق العالم ، ولكنهم كانوا فى مصر مع التقويم المصرى ، وخرجوا من مصر فى نصف شهر نيسان ، وجعلوه أول سنتهم الدينية . ثم بعد الامر البابلى جعلوا لهم سنة مدنية ، تبدأ بشهر تشرى . .

ويكررون شهر اذار لنظام الكبس والتعديل ، سبع مرات فى كل 19 سنة . وتقويمهم مضبوط : السنة شمسية ، والشهور قمرية .

وبالبحث عرف **مبدأ تقويمهم** : يوم الاثنين 7 اكتوبر سنة 3761 قبل الميلاد ، انشا (روميولس) مدينة روما قبل الميلاد بمقدار 753 سنة . وبدا به التقويم الرومانى ، وكان يوافق 21 ابريل سنة 753 قبل الميلاد .

وبعد وفاة الاسكندر الاكبر المقدونى بدا التاريخ **السريانى** ، من اول اكتوبر سنة 312 قبل الميلاد . وهذا النظام مستعمل فى سوريا الآن .

ثم عدل التقويم الرومانى فى عهد يوليوس قيصر فى سنة 46 قبل الميلاد ، حيث كانت السنة الرومانية توافق 807 قبل الميلاد ، واضافوا اليها شهورا حتى صارت 445 يوما ليبدؤا من يناير ، وسموا شهرا باسم يوليوز .

ثم كان التقويم الميلادى المعروف الآن : من سنة ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام .

اما التاريخ القبطى : فقد بدا فى 29 اغسطس سنة 284 ميلادية ، وذلك حين اضطهد الامبراطور دقلديانوس — المسيحيين فى مصر — وقتل منهم كثيرين حتى سمى بعصر الشهداء ، فاتخذوا لنفسهم تاريخا خاصا بهم .

أسماء الشهور العبرية : تشرى — مرحشوان — كسلو — طبت — شباط — اذار — نيسان — ايار — سيوان — تموز — آب — ابلول .

أسماء الشهور السريانية : تساير فى العدد : اكتوبر — نوفمبر — ديسمبر — يناير — فبراير ؛ الخ.. وهى : **تشرين أول — تشرين ثان — كانون أول — كانون ثان — شباط — أذار — نيسان — أيار — حزيران — تموز — آب — ايلول .**

أسماء الشهور القبطية — تستعمل فى مصر عند الفلاحين لمواعيد الزراعة :

توت — بابه — هاتور — كيهك — طوبة — أمشير — برمهات — برمودة — بشمس — بؤنة — أبيب — مسرى .

ان ضبط التاريخ من الدين ، بل هو الدين القيم ، كما جاء فى سورة التوبة : (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن انفسكم) ، وان كانت الآية جاءت فى ابطال عادة النسيىء عند العرب بتحريم شهر حلال ، وتحليل شهر حرام ، الا ان الكلام من هذا النسيىء وأسبابه له موضوع آخر يحتاج الى شرح وتفصيل .

ومن سورة البقرة (يسالونك عن الاهلة ، قل هى **مواقيت** للناس والحج . .)

ومن سورة يونس (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك الا بالحق . يفصل

الآيات لقوم يعلمون . ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون .)

ومن سورة الاسراء (وجعلنا الليل والنهار آيتين . فمحونا آية الليل . وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم . ولتعلموا عدد السنين والحساب . وكل شىء فصلناه تفصيلا) .

ومن سورة الفرقان (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا) . مادة **شكر** تفيد الامتلاء والكثرة : فالشكور هنا مراد به كثرة العلم وزيادته ، **بالدراسة** .

ومما يدل على اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بضبط التاريخ ما رواه الشيخان عن ابى بكرة نفيع بن الحارث . ورواه الامام احمد عن ابى حرة الرقاشى — ان النبى — صلى الله عليه وسلم خطب فى اوسط ايام التشريق — فى حجة الوداع — فقال : ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض ، ثم قرأ الآية (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والارض ، منها اربعة حرم ، ذلك الدين القيم . .)

ثم قال : السنة اثنا عشر شهرا ، منها اربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب شهر مضر ، الذي بين جمادى وشعبان ... الخ الحديث .

وقد ثبت ان اول المحرم سنة 11 هـ يوافق اول نيسان سنة 4392 عبرية . وشهر نيسان ، هو اول شهور السنة الدينية عند العبرانيين ، وتاريخهم مضبوط شمسيا وقمريا بنظام التعديل بتكرير شهر اذار كل 19 سنة سبع مرات ، كما سبق .

وحصلت حجة ابى بكر الصديق سنة 9 هجرية ، فى سنة كان فيها نسيىء ، فلم يكن شهر ذو الحجة فى موضعه . ثم كانت حجة الوداع فى سنة عربية لم يحصل فيها نسيىء عند العرب فكان ذو الحجة فى موضعه . واعلن الرسول هذا التوافق ، وهو لم يدرس علم الفلك ولم يدرس التاريخ العبرى ، ولكنه الوحى من الله (وما ينطق عن الهوى . . .)

واعلن الرسول ابطال عادة النسيىء التى كانت عند العرب فى الجاهلية : فبعد اسواق عكاظ ومجنة، وذى المجاز يذهبون الى عرفة ، وبعدها يعلن بنوكنانة النسيىء ، فيحلون شهر المحرم . . ويتقلونه الى شهر آخر ، ليستغلوا شهر المحرم فى الاغارة والسلب والقتال . ولينتفعوا بايام الخصب . والشخص الذى يعلن هذا من بنى كنانة يسمى القلمس بتشديد الميم وفتحها — يعنى البحر الزاخر فى العلم ، والجمع القلامس ، **والنساة** ، يقول شاعرهم :

السنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما ؟

الحديث السابق : رواه البخارى فى تفسير سورة التوبة ، **ورواه مسلم** فى كتاب القسامة . **ورواه أبو داود** ، فى كتاب المناسك ، **ورواية الامام احمد** فى ج 4 ص 195 من كتاب حياة الصحابة ، **وشرح الآية :** من كتاب تفسير المنار ، للشيخ رشيد رضا ، رحمه الله .

فالحديث يثبت معجزة علمية للرسول صلى الله عليه وسلم .

والآية من سورة التوبة (انما النسيىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا . يحلونه عاما . ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . فيحلوا ما حرم الله . زين لهم سوء اعمالهم . . .)

ان كل امة تعتز بتاريخها :

والتاريخ الهجرى فى المغرب **مذكور فى المقدمة** دائما ، **مشهور عند الخاصة** والعامة . **مكتوب** فى كل رسالة . او عقد للتوثيق فى المحاكم . . ومكاتب الادارة والمدارس **مذكور** فى الاذاعة والتلفزة عند كل اعلان او اعلام بقدوم زائر للبلد الكريمة . وفى المؤتمرات . وجلسات العمل . . يذكر التاريخ الهجرى أولا .

انها ظاهرة جميلة مشكورة فى المغرب حين اسمع الرجل يحدث فيقول : حججت سنة ثلاثة عشر مائة وثلاثين . . فاحاول البحث وراء تلك الكلمة لاعرف متى توافق التاريخ الميلادى . . ؟

ومن الدليل على هذا الاعتزاز بالتاريخ الهجرى هذا الحفل الحاشد . . بهذه المناسبة الكبرى . . وبوجود علية القوم : وبتشريف حضرات اصحاب المعالى الوزراء ، واصحاب السعادة السفراء ، واصحاب الفضيلة العلماء واصحاب السماحة رجال الطرق الصوفية ، ورجال الامداح النبوية . . والاتقياء الصالحين الذين حضروا هذا الحفل فى مسجد السنة بالرباط احتفالا بذكرى عيد راس السنة الهجرية . . وعلى وجوههم امارات الفرح والاعتزاز .

حقا ، ان المغرب مملكة عربيــة اسلامية . . فى ظل الرعاية الشريفــة العلوية . . فى رعـايـة اميــر المؤمنين جلالة الملك الحسن الثانى ، ادام الله نصره ، واقر الله عينه بولى عهده المحبــوب الامير سيــدى محمد بن الحســن .

وحقق الله آمال سيدى امير المؤمنين بعزة الشعب المغربى وسيادة البلاد فى امن وامان ، انه سميــع مجيب ، وسلام على المرسلين ، والحمد للــه رب العالمــين .

اول المحرم سنة 1395 هـ

أحمد عبد الرحيم عبد البر

المــراجــــع :

1 — جدول مقارنة السنة الهجرية بالسنــــة الميــلاديــة .
2 — كتاب التقاويم — تاليف محمد محمد غياض .
3 — كتاب الهجرة ، لفضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج — شيخ الازهر .
4 — كتــاب تاريخ عمر بن الخطاب ، تاليــف الاستاذ على الطنطاوى .
5 — آيات من القرآن الكريم .

حينما ولدت آمنــة رسول الله أرسلت الى جده وأخبره البشير بكل ما حدث لها : فاخذه عبد المطلب فادخله الكعبة ، وقام عندها يدعــو الله ويشكر ما أعطاه ، قال الواقدي وأخبرت ان عبد المطلــب قال يومئــذ :

الحمــد لله الــذي أعطانــــي	هذا الغــلام الطيـــب الاردان
قد ساد في المهــد على الغلمــان	أعيــذه بالبيــت ذي الاركـــان
حتــى أراه بــالــغ البنيـــان	اعيــذه من شــر ذي شنـــان

من حاسـد مضطرب العنــان . .

التأميم والتعويض في ضوء الشرع الاسلامي

للاستاذ عبد الواحد الناصر

يغيب عن البعض ان التأميم ، سواء كان اجراء عقائديا كما هو الحال في التجارب الاشتراكية ، او اجراء اقتصاديا خالصا يقصد به علاج مساوىء الرسمالية ، لا يفرق بين الحلال والحرام ، ولا يفرق بين الملكية المشروعة وغير المشروعة في نظر القانون الاسلامي .

ومن هنا فان التأميم الذي يقصد به البعض استرداد الدولة لملكيات مغتصبة أو مكتسبة بوسائل غير مشروعة ، تطبيقا لقواعد الشرع الاسلامي ، ليس تأميما بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . وليس الا افتتانا بالمصطلحات التي تعارفت عليها مجتمعات لا تدين بالاسلام ، ولا تطبق شريعة الاسلام .

على ان هذا الخلاف في حقيقة الامر لا يتعدى رفع اللافتة الاسلامية ، لان الاقتباس لا يقتصر على كلمة تستهوى الناس في هذه الايام ، ولكن يتجاوز ذلك الى تبني نفس المبررات ، النظرية ، مما يصعب معه وضع خط واضح بين التأميم بمفهومه الصحيح وبين التأميم كما يفهمه بعض المنتسبين للاسلام . بل ونتج عن هذا التفاعل ، وجود نظريات تختلف حول مدى التأميم ، وحول وجوب التعويض او عدم وجوبه .

وقد حاولنا في مقال سابق (1) بيان هذه الحقيقة من الوجهة القانونية البحتة ، باعتبار التأميم نزعا للملكية ، وانتهينا الى ان الشرع الاسلامي له مفهوم خاص لنزع الملكية لا تعرفه القوانين الوضعية .

وسنحاول الان من خلال مناقشة الاراء المختلفة حول استحقاق التعويض او عدم استحقاقه ، مواصلة هذه الدراسة من وجهة قانونية اقتصادية ، بهدف استخلاص مؤيدات جديدة .

اسباب الخلاف حول التعويض :

جميع الفقهاء المسلمين القدامى ، كانوا متفقين على اعتبار كل نزع للملكية ، دون تعويض ، من قبيل الغصب ، استنادا الى نصوص قاطعة من الكتاب والسنة ، كما كانوا يعتبرون نزع الملكية بتعويض عادل ، اذا لم تتوفر فيه شروط معينة ، بمثابة البيع الباطل . ولذا ، لم يكن التعويض يشكل اية مشكلة في الفقه الاسلامي ، تتضارب حولها الاراء ، وتتعدد النظريات ، فالشرع يفصل بين النزع المشروع ، ويشترط فيه الزاما ان يكون مصحوبا بالتعويض العادل ، وبين النزع غير المشروع ، وهو حرام سواء كان بتعويض عادل او بدون تعويض .

ومن الناحية العملية ، يشهد التاريخ الاسلامي بان المسلمين لم يعرفوا خرقا لهذا النهج في بلادهم الاسلامية ، الا على يد القرامطة في أول الامر ، وحين فرضت عليهم القوانين الوضعية في آخر الامر ، فالقرامطة اقاموا دولة لهم في البحرين في اواخر القرن الثالث الهجري كان من اهم ما تميزت به من الناحية الاقتصادية ، الاستيلاء على ملكية

(1) التأميم ونزع الملكية في الشرع الاسلامي ، دعوة الحق ، العدد السادس ، ربيع الثاني 1394 ماي 1974

الارض والمشاريع التجارية بدون تعويض ، وقد زعموا انهم سيحررون الموالي من سلطة العرب ، فاستعبدوا الناس ، ونهبوا الاموال ، واشاعوا الفاحشة ، وهدموا الكعبة ، وقتلوا الحجاج ، متبعين تعاليم ماني ومزدك الداعية لشيوعية الاموال والنساء وهتك الحرمات ، وهكذا كانت دعوتهم ردة عن الاسلام ، وثورة على شريعة الاسلام ، لايجوز اعتبارها مثالا يحتذى بـه (2)

ومع المد الاستعماري ، فرضت الدول الاستعمارية بصفة مباشرة أو بواسطة ماجوريها ، قوانينها ذات الطابع الراسمالي في البلدان الاسلامية . وحتى الحرب العالمية الثانية ، باستثناء الجمهوريات الاسلامية لاسيا الوسطى التي ظلت خاضعة للاستعمار الروسي ، كانت قوانين البلاد الاسلامية ، التي فرضها الاستعمار بطريقة أو اخرى ، نسخة مطابقة ، أو على الاقل مشابهة للقوانين المعمول بها في البلدان الراسمالية .

وما ينبغي الانتباه اليه ، هو ان الصراع الفكري والمذهبي الذي كان قائما في اوربا في القرن التاسع عشر حول مبدأ نزع الملكية ، وبالتالي حول وجوب التعويض أو عدم وجوبه ، انتقل عمليا الى البلدان الاسلامية منذ اوائل القرن العشرين ، وخاصة بعد نجاح الثورة الشيوعية في روسيا . لكن هذا الصراع لم يصبح ، من ناحية اخرى ، بنفس الضراوة التي استمر بها في اوربا ، الا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية .

والواقع ان هذا الصراع ، ابتداء من الحرب العالمية الثانية ، اتخذ ابعادا جديدة ، لان الراسمالية التي لم تكن تقبل نزع الملكية بالتعويض أو بدون تعويض ، في اول الامر ، قبلت منذ ذلك التاريخ فكرة التأميم الجزئي المصحوب بالتعويض العادل لمن تؤمم املاكهم ، وذلك كعلاج لمساوئها الاقتصادية ، واصبح التأميم الجزئي لذلك طابعا يميز العديد من الدول الراسمالية ، والعديد من الدول شبه الراسمالية ان صح التعبير .

وهكذا برزت فكرة التأميم المصحوبة بالتعويض العادل ، كتجربة جديدة ، الى جانب التأميم بدون تعويض الذي سبقت اليه التجربة الاشتراكية في روسيا . ومن هنا يمكن القول بان التعويض عن التاميم فكرة حديثة نسبيا ، ترتبط في تطبيقاتها باخذ بعض الدول الراسمالية بالتأميم الجزئي كعلاج لمساوىء الراسمالية ، او كاجراء اقتصادى تفرضه المصالح العليا للمجتمع .

والحقيقة ان هذه التجربة الجديدة في الدول الراسمالية ، لم تؤد الى القضاء على المجالات الحيوية للملكية الخاصة ، ولم تعرقل المبادرات الفردية ، بل ادت الى انشاء قطاع عام يخدم الدولة والقطاع الخاص في آن واحد ، بدليل ان القطاعين يعملان في اتساق وتعاون وانسجام داخل اطار النظام الراسمالي ، وتحت هيمنة العقلية الراسمالية .

لكن التأميم عند الاشتراكيين ، على اختلاف درجة اشتراكيتهم ، ليس اجراء اقتصاديا خالصا كما هو الحال في بعض الدول الراسمالية ، ولكن اجراء مذهبي ، ووسيلة لتحقيق غاية عقائدية ، هي تحقيق المساواة الاقتصادية بين الناس ، والقضاء على التفاوت في الثروة بين افراد المجتمع . ولهذا يشترط الاشتراكيون في التأميم ان يكون شموليا ، حتى يلغى الفوارق بين طبقة الاقلية التي تملك ، وطبقة الاغلبية التي لا تملك . ومن البديهي ان هذه المساواة المنشودة ، لا يمكن ان تتحقق باعطاء تعويض عادل لمن اممت املاكهم ، ولذلك لا تعطي الدولة الاشتراكية اي تعويض ، أو تعطي تعويضا رمزيا أو صوريا .

على انه لابد من الاشارة هنا الى الخلاف الموجود بين الاشتراكيين حول التأميم التدريجي والتأميم الكامل ، فانصار سياسة التأميم التدريجي يرون أن يتم تأميم وسائل الانتاج بطريقة مرحلية ، مع التعويض العادل ، لان الدولة ، لاسيما اذا كانت نامية ، لاتكون متوفرة على الامكانيات والوسائل اللازمة لتسيير وادارة المشروعات المؤممة . اما الاتجاه الاخر فيبرر تأميم وسائل الانتاج كلها دفعة

(2) المفكر الفرنسي روجيه جارودي ، احد اقطاب الحزب الشيوعي الفرنسي سابقا ، قدم حركة القرامطة لمستمعين في محاضرة له القاها بالقاهرة في رمضان 1389 ، كاحدى التجارب الناجحة لما اسماه « التقاليد السامية التي تملكها الثقافة الاسلامية والتي تستطيع ان تلعب دورا في الاشتراكية العلمية بها » ، فتلك الحركة المناوئة للاسلام ، في نظره ، مثال الاشتراكية الطوباوية . ولا عجب في هذه النصيحة ، فشيوعية القرامطة لم تستطع تحقيقها اكثر التجارب الماركسية تطرفا !

واحدة بالمخاطر التي تحيط بالثورة الاشتراكية في الداخل والخارج ، وهذا ما اخذت به فعلا اكثر التجارب الاشتراكية الملتزمة بالخط الماركسي — اللينيني ، وفي مقدمتها التجربة الروسية .

وتأثير هاتين التجربتين ، الراسمالية والاشتراكية ، يلمس بوضوح فيما كتبه بعض المفكرين والباحثين والفقهاء المسلمين المعاصرين ، بل ان بعض آرائهم ونظرياتهم لا تعدو ان تكون انعكاسا لاحدى التجربتين ، او من تاثيراتهما النظرية والتطبيقية . ويكفي دليلا على ذلك ، اختلاف انصار التأميم ، بين تأييد التأميم الجزئي والتأميم الشامل ، بالاضافة الى تعدد الاشتراكيات التي ترفع اللافتة الاسلامية بحماسة متفاوتة .

فاذا ربطنا بين هذه الحقيقة ، وبين الحقيقة الاخرى التي ذكرناها من قبل ، وهي ان نزع الملكية بشكله المعاصر ، لا تقره الشريعة الاسلامية ، ولم يعرفه التاريخ الاسلامي ، سلمنا بأن الدعوة الى التأميم ، كاجراء لتمكين الراسمالية من الاستمرار ، او كوسيلة لتحقيق الاشتراكية ، ليست من الوجهة التاريخية الا استمرارا للنزاع الفكري الذي شهدته اوربا في القرن التاسع عشر حول مبدا نزع الملكية ، وليست من الوجهة العملية الا مجاراة للقوانين التي فرضت على البلدان الاسلامية ، وليست من الوجهة العقائدية الا تأييدا للسياسات التي رسمتها حكومات البلدان الاسلامية بعيدا عن الشريعة الاسلامية .

ولهذه الاسباب ، نجد انصار التأميم في البلاد الاسلامية ، كما هو الشأن في دول العالم كلها ، ينقسمون بين اتجاهين فيما يخص مسالة التعويض :

الاتجاه الاول يرى انه يجوز للدولة الاسلامية ، بما لها من ولاية وسيادة ان تؤمم كل ما ترى مصلحة في تأميمه ، شريطة ان يكون التأميم مصحوبا بتعويض عادل .

والاتجاه الثاني يرى انه يجوز للدولة الاسلامية ، بحجة المساواة الاقتصادية واعادة توزيع الثروة ، ان تأخذ بالتأميم دون اي تعويض ، لان في اعطاء التعويض ابقاء على اللامساواة ، وابقاء على التفاوت بين افراد المجتمع .

ولو ان اصحاب هذين الاتجاهين اقتصروا على مناصرة التأميم بالحجج التي يقدمها انصار التأميم بنوعيه الجزئي والشامل بشأن مشكلة التعويض ، وهي بدون شك لا تمت للاسلام بصلة ، لقلنا بحق ان لكل مذهب حججه واسانيده ، ولكل نهج مبرراته وغاياته ، ولكل شخص حريته في الاختيار بين التيارات العقائدية المتصارعة ، لكنهم يرتكزون على النصوص الاسلامية ، ويدعمون آراءهم المتناقضة ببعض الوقائع الاسلامية ، الامر الذي يستوجب مراجعة هذه الحجج التي يستندون عليها ، ووضعها على محك النقد والتمحيص .

— * —

الاتجاه القائل بالتعويض :

واول ما يلحظه المرء عند الاتجاه القائل بالتعويض ، هو اضفاء الصفة الشرعية على التأميم عن طريق قياسه ببعض الوقائع الاسلامية ، وعن طريق البحث عن نصوص يتوهمون انها تجيز لهم الاخذ بآخرها تبنته التشريعات الحديثة من نظريات وآراء .

فقد ذهب الدكتور السباعي ، رحمه الله ، الى انه : « اذا لجأت الدولة الى التأميم لضرورة اجتماعية ، وجب عليها ان تعوض من انتزعت ملكيتهم تعويضا عادلا ، اذا كانت ملكيتهم لذلك المال عن طريق مشروع ، وخاصة اذا كانت ما امتنه ستبيعه للناس ، او ستأخذ على انتفاعهم منه نصيبا مقدرا ، وذلك قياسا على الاحتكار ، وعملا بالقاعدة « الضرورة تقدر بقدرها » (3)

ويتضح من تحليل هذا النص :

اولا : ان الدكتور السباعي يشترط في التأميم ان يكون لضرورة اجتماعية ، وبتعويض عادل ، ويسلم ضمنيا بقيام الدولة بدور التاجر . واذا كان من السهل العثور على نصوص اسلامية تحث المسلمين على كسب الثروة من النشاط التجاري ، فانه ليس هناك اي نص يمكن الاعتماد عليه في اسناد هذا الدور للدولة .

ثانيا : ان الدكتور السباعي يعتبر التأميم حالة مستجدة ، حين يقيسها على حالة اجبار المحتكر على البيع . والحقيقة ان حلول الدولة محل الافراد بالاكراه

(3) اشتراكية الاسلام ص 164

في تملك المشاريع الاقتصادية سواء كانت تجارية أو صناعية أو زراعية ، هي من مستحدثات العصر ، الا اذا كان هناك من يعتبر عمليات النهب التي قام بها القرامطة وامثالهم من قبيل التاميم !

والواقع ان اشتراط الدكتور السباعي للتعويض العادل ، يجعل من التاميم الذي ينادي به بيعا اجباريا . ولولا الحاحه على مصطلح التأميم ، لكان لنظريته وجاهتها الفقهية ، باعتبارها تدعو الى تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية للمسلمين عن طريق البيع الاجباري . ومع ذلك فان هذه النظرية ، بدعة سبقت اليها الراسمالية الحديثة ، وليس لها اي سند غير القياس الفاسد .

فاجبار المحتكر على البيع ، لا يخول في حد ذاته ، اكراه جميع المالكين ، او فئة معينة منهم ، على بيع املاكهم للدولة ، ولو بمقابل تعويض عادل . فهو اجراء استثنائي ذو طابع شخصي ، يتخذ ضد التاجر الذي يمتنع عن بيع اشياء ضرورية بقصد تحقيق الارباح الاحتكارية ، مما يعني من ناحية اخرى، ان التاجر الممثل لاوامر الشرع ، الذي لا يحتكر ، لا يكون عرضة لاي اكراه ، ولا تكون هناك ضرورة تبيح للدولة ان تحل محله في عملية البيع والشراء .

وعلى هذا الاساس ، يكون قياس التأميم على اجبار المحتكر على البيع ، قياسا فاسدا من عدة وجوه ، اولها ان الاكراه المذكور يتم شرعا بالنسبة للتاجر المحتكر ، ولا يتم بالنسبة للتاجر غير المحتكر ، رغم انهما يمارسان نفس التجارة ، وبنفس راس المال . لكن التأميم لا تراعى فيه هذه اللامساواة ، ولا ينظر فيه الى امتثال التاجر ، او المالك بصفة عامة ، للشريعة وتطبيق احكامها او عدم امتثاله وتطبيقه لها ، ولكن يقرر وينفذ بالنظر الى الغاية المتوخاة منه ، وهى أن تحل الدولة محل الافراد .

وثانيها ان اكراه المحتكر على البيع يتطلب شرطا معينا ، هو الاحتكار ، لكن التأميم لا يتطلب مثل هذا الشرط ، فلا ينظر عند تقريره الى توافر الصفة الاحتكارية أو عدم توافرها ، وانما ينظر الى شرط موضوعي ، هو وجود ثروة ينبغي نقلها الى الدولة ، علاجا للاحتكار ، أو علاجا لغيره من الامراض الراسمالية .

وثالثها ان الشرع الاسلامي حين اقر اكراه المحتكر على البيع ، انما اقر في الواقع ، حقية الانسان في ان يكتسب الثروة ، مهما كبر حجمها ، شريطة ان يحترم احكام الشرع الاسلامي ، ويلتزم بها . فتملك شخص لمشروع صغير او كبير ، لا يؤثر على هذه الحقيقة ، بدليل ان الشرع الاسلامي لا يعلق الاكراه على حجم التجارة ، أو على امتدادها في الداخل أو الخارج ، ولكن يعلقه على الاحتكار . وبعكس ذلك ، فالتأميم اجراء يضع حدا للمشاريع الكبيرة جزئيا او كليا ، ويهدف الى القضاء على تركزها في يد شخص او عدة اشخاص ، وهو في اصله رد فعل على التفاوت الراسمالي الذي يقوم بالدرجة الاولى على الاحتكار .

وهنانصل الى الحقيقة التي تطمس معالمها رواسب الفكر المعاصر ، وهى ان الاسلام لا يعالج الاحتكار بنقل الثروة الى الدولة ، لان هذه العملية ليست سوى تغيير فى شخص المحتكر ، تنقل حق الاحتكار من الراسمالي الفرد الى الجهاز القسري في الدولة ، ولكن بابقاء الثروة لصاحبها مع اجباره على التقيد باحكام الشرع ان لم يتقيد بها بمحض ارادته . ومن البديهي ان هذا الدواء الاسلامي يتطلب قبل كل شيء اقامة مجتمع يتحكم الى الشريعة الاسلامية وحدها ، والا فقد فاعليته وقدرته على الاشفاء . والاولى بفقهاء المسلمين في هذا العصر ان يدعوا الى اقامة هذا المجتمع ، عوض البحث عن اسس اسلامية للمصطلحات والنظريات التي فتنوا بها .

وعلى ضوء هذا التحليل ، ننتهي الى ان التعويض العادل ، لا يبرر في حد ذاته تاميم المشاريع الاقتصادية ، ما دامت الدولة الاسلامية يحق لها ، بموجب الشرع الاسلامي ، ان تلزم المالكين باحترام قواعد الشرع الاسلامي ، لتنتفي بذلك جميع الشرور والامراض الراسمالية التي يراد علاجها بواسطة التاميم ، ويقوم نظام للتوزيع لا يضاهيه اي نظام آخر في العدالة والتكافل ...

والملاحظ ان بعض اساتذة القانون الوضعي انفسهم ، تاثروا براي الدكتور السباعي ، فقال احدهم ، وهو الدكتور عبدالحميد متولي : « كما يشترط في حالة التاميم او نزع الملكية ان يعوض من نزعت ملكيتهم أو جرى تاميمها ، تعويضا عادلا ، فالتعويض العادل هو ما تقضي به مبادىء العدالة والمساواة في التكاليف العامة بين الافراد . وذلك ما فعله عمر بن الخطاب حين اضطر الى نزع ملكية الدور من اجل العمل على توسعة المسجد الحرام ، اذ سلم اصحابها قيمتها . ومما تجدر ملاحظته ان مبدأ عدم تعويض اصحاب الاملاك الذين اممت

ممتلكاتهم ، أو تعويضهم مجرد تعويض رمزي او صوري ، انما تأخذ به بعض الديمقراطيات الشعبية ، اي بعض البلاد الشيوعية » (4)

واشتراط الدكتور متولي ، بدوره ، للتعويض العادل ، امتثالا لاوامر الشرع الاسلامي الذي يحرم الغصب ، يجعل من نقل الملكية من الفرد الى الدولة بهذا الاسلوب ، عملية بيع اجباري ، لا تختلف في جوهرها عن التأميم بالطريقة الراسمالية . لكن البيع الاجباري في الشرع الاسلامي كما قلنا سابقا ، حالة استثنائية لا يجوز تعميمها ، لان التعميم يسقط عنها صفة الاستثنائية ، ولانها قبل كل شيء لا تستهدف حجم الثروة أو الشخص المالك للمشروع الاقتصادي لكونه مالكا .

وانطلاقا من هذه الحقيقة ، يكون الاحتجاج بتوسعة المسجد الحرام ، احتجاج باستثناء لا يسقط القاعدة العامة ، كما انه في نفس الوقت ، احتجاج في غير محله ، لان ذلك النزع اقتضته مصلحة عامة غير اقتصادية ، ومن ثمة لا يجوز بأي حال الارتكاز عليه للقول بجواز نزع المشاريع الاقتصادية من اربابها ، ولو بتعويض عادل ، لا سيما اذا كانت هذه المشاريع قد آلت اليهم بوسائل يبيحها الشرع الاسلامي .

والواقع ان الدكتور متولي ليس وحده الذي وقع في شباك التعويض العادل ، معتبرا اياه القاسم المشترك بين التأميم وحادثة توسيع المسجد الحرام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فهناك كثيرون يتبعون هذا الظن ، وينساقون تبعا لذلك الى اغفال حقيقتين هامتين : الاولى : ان الشرع الاسلامي غير مطبق ، وان المجتمع الاسلامي غير موجود ، وان الضرورة العاجلة للمسلمين ليست في اقتباس الحلول العصرية للمشكلة الاقتصادية ، ولكن في استئناف الحياة الاسلامية ، حتى ينتفي التفاوت الراسمالي ، وحتى تختفي الامراض الراسمالية ، وحتى يقوم نظام التوزيع الاسلامي كنتيجة لتطبيق الشريعة الاسلامية .

وبتعبير آخر ، ان واجب الفقهاء والمفكرين المسلمين ، ليس هو البحث عن تبريرات خاطئة لما تاخذ به التجارب المعاصرة ، وتحميل النصوص الاسلامية ما لا تحتمله ، ولكنه الدعوة الى اقامة مجتمع اسلامي تطبق فيه شريعة الاسلام وحدها ، وان ظهر بعد هذا التطبيق ان التوزيع لا زال راسماليا ، حينذاك فقط يجوز لهؤلاء المجتهدين قبل الاوان ، ان يقتبسوا ما طاب لهم ، ويتبعوا ما تهواه انفسهم !

والثانية : ان التأميم اذا كان مصحوبا بتعويض عادل ، يعطي للمنزوع ملكيتهم فرصة استثمار هذا التعويض في نشاط اقتصادي آخر . وهذا بالطبع لا يحدث اي توزيع جديد للثروة ، لانه ينقلها الى الدولة في ميدان ، ويعوضها للافراد في ميدان آخر . والى جانب ذلك ، فالتأميم مع اعطاء التعويض المناسب ، ولا تعرفه سوى بعض الدول الراسمالية التي لجأت الى اسلوب التأميم الجزئي مع الاحتفاظ بحياتها الراسمالية . ولذا فان من يدعو الى التأميم المصحوب بالتعويض العادل ، مع ابقاء الاوضاع الراهنة في البلاد الاسلامية ، على ما هي عليه ، ليس الا داعية لذلك الاسلوب الراسمالي المبتدع ، احب ام كره .

— * —

الاتجاه القائل بعدم التعويض :

وان كان الاتجاه السابق يشترط التعويض العادل عند التأميم ، قياسا على البيع الاجباري الذي اباحه الشرع الاسلامي في بعض الحالات ، فان هناك اتجاه آخر يقول بعدم التعويض ، ويعطي لولي الامر حق النزع دون قيد او شرط حتى يقضي على التفاوت بين الناس ، وهذا هو التأميم بالمعنى الصحيح ، أو بالمعنى الاشتراكي ، وغصب بالمعنى الاسلامي .

والواقع اني لم اجد بين الفقهاء المسلمين من يؤيد صراحة فكرة عدم التعويض ، انطلاقا من النصوص والوقائع الاسلامية ، غير الشيخ الخفيف . فقد ذهب هذا الفقيه الكبير في دراسة قدمها الى مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة سنة 1964 : الى انه يحق لولي الامر تحديد الملكية تحديدا عاما أو خاصا واخذ ما زاد على الحد الذي رسمه دون تعويض « فلا سبيل الى ترك هذه الزيادة لاصحابها لان تحديد الملكية انما كان واجبا شرعيا اقتضاه ضرر ماثل في تجميع الثروة في ايدي فئة قليلة ... وفي ترك هذه الزيادة في ايدي اصحابها ابقاء على ثروتهم وفيه اهمال وترك لهذا الواجب » (5)

---

(4) مبادىء نظام الحكم في الاسلام ص 773

(5) مجلة الازهر عدد جمادى الاخرة 1384 نونبر 1964 ص 473 و 474

ويضيف الشيخ الخفيف في هذه الدراســة ، التي جاءت بعد صدور قوانين يوليوز 1961 الاشتراكية في مصر ، بان « اخذ الزيادة بالبدل ابقاء على مقدار ثروة صاحبها ، وليس يعد هذا اعتداء علــى ملــك محترم ، لانه لا ملك بعد الحد منها ، ووجوب نفــاذ ذلك مثل المال الذي يؤخذ في تجهيز الجيوش واعداد العدة للدفاع عن البلاد ضد المعتدين عليها ، والاخــذ في الحالتين ســواء فهــو تقضي به الضرورة فــي كل منهمــا » .

ولا نريد الان مناقشة راي الشيخ الخفيف حول تحديد الملكية ، فهذا موضوع يخرج عن نطاق هــذا البحث ، ولذا سنكتفي بمناقشة رايه حول حق ولــي الامر في تاميم كل ما زاد على الحد الذي يرســمــه ، دون اي تعويض .

فالشيخ الخفيف بعد ان يؤكد في البداية على انه لا يجوز لولي الامر « ان يتعدى على ملك فرد من الافراد ، فليس له ان يجعله في منفعة عامة مملوكــا لجماعة المسلمين الا اذا تطلبت مصلحة المسلمين ذلك ، فياخذه الامام عن رضا أو قهر ببدله دون غبن علــى صاحبه ، وذلك لان المصلحــة العامــة مقدمة علــى المصلحة الخاصة » ، يضيف : « وليس يجوز ان يؤخذ ملك انسـان بلا عوض لمصلحة عامة » ، ليعود بعــد ذلك الى القول بان : « الشريعة كانت بقدر الحاجــة اليهــا » ، ويلاحظ « ان الثروة العامــة للمسلميــن يومئذ كانت ضيقة الحدود ضئيلة المقدار » ، والــى ان « توزيع الثروة كان متعادلا » ، لينتهي بعد رحلته المتناقضة الى ان اباحة التملك « كانت متسقة مــع النظام المتفشي في المجتمعات يوم ظهور الاسلام » ، وانه ليس هناك ما يمنع من تحديد الملكية ، واخذ مــا زاد على الحد المرسوم دون تعويض .

وهكذا يكون الخطا الاصيل في نظرية الشيخ الخفيف ، متمثلا في علاج الداء الراسمالي ، الــذي تعاني البشرية من اعراضه ، بــدواء غير اسلامــي . وبتعبير ادق ، يكون الشيخ الخفيف بذلك ، قد دعــا الى الاخذ بأسلوب ذي نزعة اشتراكية في معالجــة التفاوت الراسمالي ، عوض الدعوة الى تفاوت علــى الطريقــة الاسلاميــة ، وذلــك بالتطبيق الجــدي للشريعة الاسلاميــة .

والنتيجة الاولى لهذا الخطا ، هو الاتفاق مــع الاشتراكيين الماركسيين حول مسالة التعويض ، فهم يرون بدورهم ، في اعطــاء التعــويض ، ابقاء علــى اللامساواة بين افراد المجتمع ، وابقاء على الثروة في ايدي فئة قليلة . بل ان موقف الشيخ الخفيف جملــه اكثر تطرفا ، واكثر اشتراكية ، من قــوانين يوليــوز 1961 الاشتراكية في بــلاده ، لان مشرعــي هــذه القوانين ، قرروا اعطاء تعويضات لمن نزعت املاكهم، تدفع لهم على شكل سندات اسميــة على الدولــة تسحب بعد فترة طويلة من الزمن .

والنتيجة الثانية ، الاكثر خطورة ، هي انــه لا مانع مــن اقامة نظام جديد غير ذلك النظام الــذي عرفه المجتمع الاسلامي الاول ، وهو نظام يقول عنه الشيخ الخفيف انه كان موجــودا في وقت كان فيــه « توزيع الثروة بين المسلمين لضآلتها قريبا لان يكون متعادلا » ، وفي وقت كانت فيه اباحة التملــك دون حدود ، هي النظام الذي تأخذ به سائــر المجتمعات . اما اليوم حيث تجمعت الثروة في ايدي فئة قليلــة ، وادى ذلك الى الفتن والاضطرابات ، فــان الضرورة تستدعي تحديد الملكية ، وتستدعي عدم اعطــاء اي تعويض عما يتم نزعــه ، حتى يتــم القضاء علــى التفاوت والفروق بين افراد المجتمع . وهذا ما يضمنه النظام الاشتراكي ، الذي يتفشى الان في المجتمعــات المعاصرة ، ويستهوي الجهلاء والمثقفين والفقهاء على السواء ، ويعوض النظام الراسمالي الذي كان متفشيا الى امد قريب .

وهذا يعني من ناحيــة اخرى ، ان النظــام الاقتصادي للمسلمين يتغير بتغير « النظام المتفشي في المجتمعات » ، فيتلون بالصفات الاقطاعية في عصر الاقطاع ، وبالصفات الراسمالية في العصر الذهبــي للراسمالية ، وبالصفات الاشتراكية في العصر الحديث حيث طغت الفكرة الاشتراكية على ما ســواهــا (6) .

(6) هذه الفكرة كانت اســاس مقال نشــر بهــذه المجلة في عدد رجب 1394 غشت 1974 تحت عنوان « قضية الملكية موقف الاسلام منــها قديمــا وحديثا » للاستاذ احمد ولد سيدى ، والملاحظ ان هذا الكاتب المحترم اعتمد تحليلا مماثلا للتحليــل الماركسي في معالجة قضيــة الملكية . وهي ايضــا الفكرة التي يدافع عنها بحرارة غريبة بعض المفكرين الماركسيين ، وفي مقدمتهم مكسيم رودنسون في كتابه الاســلام والراسمالية . والواقع ان مثل هذه الافكار لا تخدم الاسلام بقــدر مــا تخــدم الماركسيــة ، ولاتعــدو ان تكــون دعابــة مجانية او ماجورة

ومثل هذا التغيير بالاضافة الـى انه يؤكـد نظريـة الماركسيين القائلة بان الملكية الاشتراكية هى آخـر مرحلة تاريخية للملكية ، يقتضى تغييـر التشريـع المعمول به من مرحلة « الملكية ذات الطابع الشخصي البسيط » الى المرحلـة الاقطاعيـة ، الى المرحلـة الراسمالية ليصبح في النهاية اشتراكيا او ذو نزعـة اشتراكية . ومثل هذا التغيير المرحلى لم تشهده البلاد الاسلامية ، أو على الاقـل اغلبها ، ويحصـر دون شك امكانية تطبيق التشريع الاسلامي في مرحلـة « الملكية ذات الطابع الشخصي البسيط » !

ويبدو ان الشيخ الخفيف لم ينظر الى النتائـج التي تترتب على الاخذ بنظريته ، ولو فعل ذلك لما قال بتحديد الملكية تجاوبا مع تطورات العصر ، ولما قـال بعدم التعويض ، فمصلحة المسلمين هي في تطبيـق شرع الله ، كما انزله الله ، وكما بلغه عنه رسـول الله ، واذا بدا للبشـر ذات يوم ، او للفقهاء والمفكرين ، ان مصلحتهم في مخالفة ما شرع الله لهـم ، فهـم واهمون فيما بدا لهم ، ولا يتبعون الا الظن ، ومـا تهواه انفسهـم .

الرباط : عبد الواحد الناصر

يرحم الله ابن الخطاب لقد كره التاريخ بالوفاة ، نفر منه طبعـه ، وعافته فيه قوة الحياة ، فتجلت بقلبه روح الاسلام مشرقة ، وسمت لـه المعية لبقة اذ آثر لذلك المبدأ ، يـوم جلاد ، واختار له ذكرى جهاد ، يوم غالب فيه فرد جماعات ، وناضلت عزمه عزمات ، فبينما الباطل فى قبائل يتشمر ، والموت على يد الاجـلاد يرصد ويدبر ، تصدى لذلك كله محمد وحده ، ما عز عليه ان يخلي الاهل والوطن ، فغلب الحق وظفر ، وانتصـر الايمان وقهر ، فى قلة وروعة وتجرد .

تلك آية الهجرة ، وذلك فى اختيارها سر الفكرة القاه الى الدهر عمر ، وخلده حين حمله القمر ، فجعله فى التاريخ تقديرا ، وانما بعثه لرسالـة الاسلام تغيرا ، يدور مع الايام ويتجدد لكـل عـام .

امين الخولـي

إن في قلبك العظيم وجودا

للأستاذ الشاعر مفدي زكريا

عرض عابر . . . وطيف لمام   ليس يقوى على الخلود السقام

ليس تقوى — على الذى وهب الشعب ، شفاء من جرحه الآلام

والذى الهم الانام رشادا   تفتديه — دون الخطوب — الانام

والذى سدد السهام فأصمى   غاصبيه — تخشى حماه السهام

والذى غالب الليالى والايام جهدا . . . تهابه الايام

والذى ظل للسلام حماما   ليس عن دربه يضل الحمام

ولمن يصنع الدوام ، ويبنى   ليس يبلى — فى اصغريه — الدوام

« واذا كانت النفوس كبارا   تعبت فى مرادها الاجسام »

—●—

يا مليكى ، وسيدى ، وملاذى . .   والذى منه جنح الالهام

عشت — مولاى — راحما تكشف الضيم ، وتأسو الضنى ، فلست تضام

ان فى قلبك العظيم ، وجودا   زاخرات به الامانى العظام

رجل كالرجال ، لكن سرا   فيه ، لم تدر كنهه الافهام

وبه فى الفؤاد ، كون عجيب   صارخات به الدمآ ، والذمام

وطمـوح للانهـايـة ، يسمـو صعـدا ، لا تـحـده الاجـرام .
كلما اعتـل جسمه ، اهتـزت الـد نيـا ، وطاشت حيـاله الاحـلام

—●—

يـا مليكا ، غدتـك اكبـاد شعـب انـت فى صفـه الرهيـب امـام
كلمـا نـال منـك ثقـل المعـالى هـب فى عونـك الخميـس اللهـام
انـا ان قلت : يفتـديـك (مفـدى زكريـا) غاصى (المفدى) التـزام !
انت أدرى بمـا يكـن لـك الـقـلب ، وان ضاق عن بيـانى الكلام !
انهـا خفـقـة الـولاء بـقـلـب كلمـا رق ، هـاج فيـه الغـرام
مهنيئا يـا ابـن الكـرام بلطـف أزلـى ، يعـتـز فيـه الكـرام
فرحـة البرء فى النفـوس ، اغـا ريد ، وعرس — ملء الدروب يقـام
انـت سبط النـبى ، يحرسك اللـه ، وسـر النبى ، عليـه السـلام

الرباط 12 محرم 1395 الموافق 25 يناير 1975

مفديـكم زكريـاء

الاصـل يجـذب الفـرع

ان الاصول تجـذب الفروعـا والعرق دسـاس اذا اضيعـا
ما طاب فـرع اصله خبيـث ولا زكـا من مجـده حديـث
قد يدركون رتبـا فى الدنيـا ويبلغـون وطـرا مـن بقيـا
لكنهم لا يبلغـون فى الكـرم مبلغ من كان له فيهـا قـدم

ابو بكر بن حجة الحموي

فى ذكرى الهجرة

للأستاذ عبد الفتاح إمام

ان الهجـرة النبـويـة الشـريفـة لم تكن قصة من القصص تقال ، ولا حكاية تروى ، ولكنها مدرسة كبـرى ، وضـع دروسهـا العمليـة الواقعية ، معلم البشرية الاعظـم ، سيدنـا محمـد صلى الله عليه وسلم ، وعمل بها تلاميذه النجبـاء ، الذين تخرجوا فـى مدرستـه المحمديـة ، وهـم اصحابه الاخيار رضى الله عنهم ...

وما اعظم ان تاخذ من الماضى ما نتزود بـه للسير فى دروب حياتنا ، ومـا اروع ان نترسـم خطى المفلحين من السلف الذين رسمـوا الطريـق الاقوم ، فنتخذ هديهم مصباحا نستضـيء بـه فى سلوكنا ...

كم فـى تاريخ الماضين من دروس ، توضح للخلف النهج الاقوم ، والطريق الارشد ، وتكشـف لـه المعالم ، فيعرف الحق من الباطل ، والضـلال من الهدى ، بما يراه من الآثار التى بقيـت ، فـلا يتعثر فى سيره ، ولا تزل قدمه ، والعاقل يأخـذ من الاحداث عبرا وعظات ، فيتقى الزلل فى حاضـره ومستقبله ....

واذا اراد المسلمون منهجا عمليا ، ودروسا واقعية فى العزة والاباء ، وعلو الهمة ، والتضحيـة بالانفس والاموال ، وبكل ما يعتز به الانسـان فـى سبيل عقيدته ، والثبات على مبدئه ...

واذا اراد المسلمون ان يتذوقوا حلاوة الفرج بعد الضيق واليسر بعد العسـر ، والنصـر بعـد الذلة ، والكثرة بعد القلة ، فان فى الهجرة النبويـة من العبر والعظـات ، مايروى ظماهم ، ويشفـى غلتهم ، ويسد حاجتهم ، والصحابة رضوان اللـه عليهم — ضربوا اعلى الامثال وابلغهـا فى بنـاء المجـد ، ورسموا السبيل الى العزة ، والانتصـار علـى شدائد الحياة ... واول ما يطالعنا من دروس الهجـرة — الصبر والثبات على المبدا السامـى ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم لقي مـن اذى قريش وعنتهم ما لا قبل لاحد باحتماله ، كمـا أن الصحابة رضوان الله عليهم ذاقوا من العذاب والتنكيل على ايدى الكفار والمعاندين ما لاقـود ، مما لا صبر لاحد عليه ، فما قل ذلك من عزمهم ، ولا لواهم عن دينهم ، بل صبروا على ما اوذوا ، وما زادهم الا ايمانا وايقانا ...

واشتـد غيظ اولئك الطغام الجهلة — لثبات المؤمنين على عقيدتهـم ، فيمعنـون فى طغيانهـم

وعتوهم ، وتضيق بهم الحيل ، فيتخذون سبيل المقاطعة ، ويحاصرون بنى هاشم فى شعب ابى طالب ، وتمر ثلاث سنين ، بلغ فيها كيد المشركين اشده من البطش والايذاء ، ولما سقط فى ايديهم ، ارسلوا من يساوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عقيدته ، وبعثوا اليه ليغروه بالمال ، والجاه ، والسلطان ، ويعرض عليه عمه ابو طالب تلك العروض السخية ، التى فكر فيها زعماء المشركين ، وعظماء مكة فى ذلك الحين ، ويجيبه صلى الله عليه وسلم اجابة الواثق بربه ، فى حزم وعزم — قائلا — والله ياعمى لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه ، فانقلبوا على اعقابهم خاسرين ، ولم يجدوا لهم متنفسا غير المؤامرة على قتله ، (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

ومن قبل ذلك اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه بالهجرة الى الحبشة ، اشفاقا عليهم ، ورحمة بهم ، فمنهم من هاجر اليها منفردا ، ومنهم من هاجر ومعه اهله ، وعاد بعضهم الى مكة — ظنا منهم أن الامور قد استقرت ، وان المشركين رجعوا عن تمردهم وطغيانهم ، ولكنهم وجدوا انهم زادوا عتا وعنادا ، وبغيا وعدوانا ، فعادوا الى الحبشة مرة اخرى .

وفى هذا درس وعبرة لكل من نصب نفسه لدعوة الحق والدفاع عنه ، فانه لابد ملاق مصادرة ، ومعارضة ، ومكابرة ، حتى من اهله وذويه ، وعشيرته التى تؤويه ، ولكن عاقبة الصبر والنصر والظفر فان الحق يعلو ، ولا يعلى عليه ، ولا يعدم الحق انصارا ، والحق والباطل يتصارعان ، ثم ينتصر الحق ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق .

ومضى من عمر الرسالة المحمدية ثلاث عشرة سنة ، والدعوة لم تاخذ بعد مكانها الى الظهور ، وقد قال الله تعالى : هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ولم يبق فى عمر صاحب الرسالة الا عشر سنوات .

واذن لابد من تخطيط آخر ، تسير فيه الدعوة الى النصر ، بعد ان مضت المرحلة الاولى من الدعوة ، وكانها نور فاجأ ابصارهم التى الفت الظلام ، فعشت عن ان تبصر به ، وتستضىء بضوئه ، وكان من رحمته صلى الله عليه وسلم ان يقابل اذاهم بالعطف عليهم ، وشدتهم باللين ، واعراضهم عنه بالاقبال نحوهم ، واذا اشتدوا فى اذاهم يقول : اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون .. وكان طابع هذه المرحلة الملاطفة والدعوة الى الله تعالى بالحجة والاقناع كما قال الله تعالى ٠ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن .

ثم اخذ يعرض دعوته على القبائل فى موسم الحج ، ويعرض عليهم الاسلام ، ولقى نفرا من الخزرج ، فتلا عليهم القرآن ، وشرح الله صدورهم وقالوا له : لقد تركنا قومنا من ورائنا ، وبينهم من الشر ما بينهم ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ، وحين رجعوا الى المدينة ، ذكروا لقومهم ما راوا ودعوهم ، فاجابهم كثير منهم ، وفشا الاسلام فى المدينة .

ولما كان العام المقبل وافى موسم الحج من اهل المدينة ، اثنا عشر رجلا من المسلمين فبايعوه البيعة الاولى ، وارسل معهم مصعب بن عمير يؤمهم ويقرئهم القرآن ، حتى اذا جاء الموسم الذى يليه بايعه ثلاثة وسبعون رجلا وامراتان ، وهى بيعة العقبة الثانية .

ولما غلى مرجل الكفار ، وضاقت بهم الحيل ، تآمروا على قتله صلى الله عليه وسلم ، واطلعه الله تعالى على ما بيتوا له من الامر ، وامره بالهجرة الى المدينة ، فهاجر ومعه صاحبه ابو بكر رضى الله عنه .

والى هنا انتهت المرحلة الاولى ، مرحلة البرهان والبيان ، والهدوء واللين ، ولكن ذلك لم يجد فى قوم غلاظ الاكباد قساة القلوب ، انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ...

فلتكن المرحلة الاخرى بالسيف يجزر رقاب العتاة والطغاة ، ويطهر الارض من رؤوس الكفر ، واذناب الشياطين ، حتى تاخذ الدعوة طريقها الى النفوس الطيبة ، والقلوب المتفتحة ، والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الانكدا . وقد تعلمنا من هذه المرحلة . ان المسلمين لا يستسلمون للاعداء بل عليهم ان يثبتوا ، وان يعلموا كل وسيلة لاحقاق الحق ...

كما تعلمنا انه يجب على المرء ان يكون بعيد النظر ، وئيد الخطوة ، مشرق الفكرة ، آخذا فى شؤون حياته ، بالحزم والحذر ، وحسن السياسة ، قوى القلب ، لا يجد اليأس اليه سبيلا ، وان طال المدى ، مع التدبير والتفكير فى طرق الفوز والنجاح ...

ومن هنا نعلم ان الهجرة لم تكن فرارا من أذى قريش ، بل كانت انتصارا ، وتخطيطا لخوض المعارك الحاسمة .

كان المشركون يظنون انهم الاشداء أولوا البطش والقوة ، ولو قاتلهم المسلمون ، فانهم هم المنصورون ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا يحب أن تراق دماء بمكة المكرمة التى قدسها الله تعالى وجعل فيها حرما آمنا ، لهذا حافظ صلى الله عليه وسلم على طهارتها وقداستها .. وهكذا .

فان القائد المظفر المحنك هو الذى يرغم خصمه ان ينازله فى الميدان الذى يختاره (لا الميدان الذى يريده الخصم) حيث يتوقع القائد النصر فى الميدان الذى خططه ، ويريد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يلقى درسا عمليا فى القيادة وحسن السياسة ، وسلامة التفكير ، اذ احاط اصحابه بسياج من الصيانة ، حتى تبقى عزتهم ، وتعلو كلمتهم ، وتطمئن قلوبهم الى عقيدتهم ، وليسلموا من شرور أعدائهم ، فهجرة الصحابة الى المدينة كانت نصرا وفوزا للمسلمين ، وكانت ذلا وخزيا للكافرين ، هاجر صلى الله عليه وسلم من بلد الله الحرام مكة وطنه ، ومدرج طفولته ، والقى عليها نظرة يودعها بهذه الكلمات العذاب الرقاق : والله انك لاحب ارض الله الي واحب ارض الله الى الله ، ولولا ان قومك اخرجونى منك ما خرجت ابدا .

كانت الهجرة مبدا عهد الاستقرار والامن ، بعد الاضطراب والخوف ، عهد القوة والعزة ، بعد الضعف والذلة ، وتلك سنة الله فى خلقه للمجاهدين الصابرين قال تعالى : « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض » كما كانت نقطة تحول، وبداية لجهاد وكفاح فى سبيل الله .

اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قاعدة لتاسيس دولة جديدة ، وبدا اصحابه الاخيار يعملون لبناء الحياة الاسلامية بعد ان آخى الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار ، الذين فرحوا بهجرة اخوانهم ، وقاسموهم ديارهم واموالهم ، والف الله بين قلوبهم فكونوا مجتمعا مثاليا ، عماده المحبة الصادقة ، والاخوة الخالصة ، وقد أثنى الله تعالى على الانصار فقال سبحانه: «والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » ، كما اثنى عز وجل على المهاجرين بقوله سبحانه « والذين هاجروا فى الله من بعدما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون » .

واذا اردنا ان ننتفع بذكرى الهجرة — ينبغى لنا ان نلتفت الى مافيها من دروس وعبر ، لنعمل بها ، ونتخذ من احداثها منهجا نسير عليه فى حياتنا ، وما احوجنا فى هذه الظروف ، بل وفى كل وقت الى السير على منوال السابقين ، والاقتداء بهم ...

فمن دروس الهجرة : الثبات على العقيدة ، ويتمثل هذا الثبات فى العمل ، فليست العقيدة فكرة تستقر فى النفس فحسب ، دون أن تظهر آثارها ، وتكون ترجمتها عملا متواصلا مثمرا ، اساسه الترابط والتعاون ، وتوثيق الصلة ، وتوكيد الاخوة ، على ضوء قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته» ومنها ان هذه الهجرة كونت شعبا جديدا ، يملك قلبا جليدا ، وعزما حديدا ، وانشات امة مثالية ، لاتغر بها زخارف الحياة الدنيا ..

وفى مدرسة الهجرة تربى جيل مبارك ، هم اصحابه الانجاب الذين ادبوا الجبابرة ، وقهروا الطغاة والمعتدين ، ورفعوا راية الاسلام ، خفاقة عالية فوق ربوع الجزيرة العربية ، واستهل الدين الحنيف ظاهرا باهرا ، بعدما مكث فى بطن مكة مستكينا كامنا ، وبزغت شمسه ساطعة ، فملأت الكون ضياء ونورا ، وقد كان فى بطاح مكة يظهر حينا ، وتغالبه القوة احيانا ، واعتز الدين ، واهتز العالم ، وسمع نداء الحق عاليا .

لقد كانت الهجرة المباركة حلقة من سلسلة التضحيات الغوالى التى قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اصلح بها شأن الدنيا ، وارسى بهـا قواعـد الدين ، وحول بها مجرى التاريخ ، وغير بها وجه الحياة ، وايقظ بها الدهـر النائـم . فاشخص بعينيه ، وأرهف اذنيه ، ليرى منه ويحفظ عنه ، ويسجل له فى سجله الابـدي من مفاخـر ومآثر ، مالم يسجله لاحد من قبل ، ولـن يسجـل لاحـد من بعد ....

هاجر المسلمون باشباحهم وارواحهم وقلوبهم الى الله ــ ابتغاء اعـلاء كلمـة الله ، واعـزاز دين الله ، مستهينين بالدنيا وزخرفها ، موقنيـن بـان السعادة فـى الاعتصام بحبل اللـه ، وان العـز كل العز فى نصرة دين الله ، وان كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم .

وهكذا اصدقت نواياهم ، فآتاهم الله اجرهم مرتين ، وفازوا بالحسنييـن ، « ان تنصـروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسالهـم واضل اعمالهـم » .

واذا كانت الهجرة بهذا المعنى قد انتهـت ، وفاز بها السابقون الاولون ، فان الهجرة الـى الله تعالى بالروح والقلب ، والنيـة الصادقـة ، والعمل المبرور ، باقية الى يوم القيامة .

وفـى هذا يقول الرسـول صلـوات اللـه وسلامه عليه : **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية** ، ومعنى هذا ان باب الهجرة الى الله تعالى مفتوح للسائرين ، وهو العمل بما جاء به الكتاب المبين ، والرسول الامين ، صلى الله عليه وسلم ، فكـل عمل يؤديه المسلم من عبـادات ، ومبـرات فهـو هجرة الى الله ، وكل نية فى الخير توجه صاحبهـا الـى الصلاح والنفع ، فهى هجرة الى الله .

وفى الحديث : المهاجر من هجـر ما نهـى الله عنه ، فاذا انتصر المسلم على نفسه ، وكبح جماحها ، واماث نوازع الشر فيها ، فانه مهاجـر الى الله ، واذا كف جوارحه عن الفواحش والمنكرات، فقـد نجا من وبالها وبلائها ، وقد قيل فى هذا المعنى

ليس الشجاع الذى يحمـى ظعينتـه
عنـد القتال ونار الحـرب تشتعـل

لكن من غض طرفا او ثنـى قدمــا
عن الحرام فـذاك الفارس البطــل

نسأل الله الكريم ان يوجه قلوبنـا وارواحنـا اليه ، وان يستعمل جوارحنا فى طاعتـه وان يوفـق المسلمين للعمل بكتابه ، وسنة رسوله ، وان يجعل هذا العام عام فتح ونصر للاسلام والمسلمين .

كما نسأله سبحانه أن يبارك فى عمر مولانـا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثانى وان يبقيه ذخرا للاسلام والمسلمين ، وان يقر عينه بولى عهده الامير المحبوب سيدي محمد ، وشقيقه الامير السعيد مولاى رشيد ، والاميرات النجيبات ، وان يحفـظ ملـوك المسلميـن ورؤسائهـم والشعوب الاسلاميـة فـى مشارق الارض ومغاربها ، من كل مكروه ، وان يخلص الصحراء المغربية ، والارض الفلسطينية ، من أيدي الغاصبين .

وان يمطر شآبيب رحمته ورضوانه على فقيد العروبة والاسلام المغفور له مولاي محمد الخـامس طيب الله ثراه ، وجعل الجنـة منقلبـه ، ومثواه ، آميـن ، وسلام على المرسلين والحمـد للـه رب العالميــن .

الرباط : عبد الفتاح امام

رؤية علمية وتاريخية جديدة لعلاقة المجتمعات العربية والاسلامية بالهجرة

الهجرة النبوية

أنشأت في المجتمع الإسلامي الجديد (بنية قيمية عقائدية وإنسانية خالدة)

للأستاذ ادريس الكتاني

يحتفل المغرب ، كسائر اقطار العالم الاسلامي ، بالعالم الهجرى الجديد 1395 ، وتعود وسائل الاعلام للتذكير بحادث الهجرة النبوية التى هى مبدأ التاريخ الاسلامى ، باعتبار انه ابرز حادث فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفى تاريخ الدعوة الاسلامية ، كان بداية الانتصارات التي عرفها مجتمع المسلمين بعد ذلك وبداية الهزائم التي عرفها مجتمع المشركين فى قلب الجزيرة العربية .

ان ما نحاول ان نستجليه اليوم ، وبعد 1395 سنة مرت ، منذ هذا الحدث العظيم فى تاريخ الاسلام ، يتمثل فى القاء نظرة ، تاريخية واجتماعية جديدة ، لتحديد علاقة المجتمعات العربية والاسلامية بالهجرة ، وخاصة فى مجال التساؤلات التالية :

أ ـ ماهي القيم الجديدة التى عملت الهجرة النبوية على اشاعتها وتركيزها فى المجتمع الاسلامي الاول ، وعلى احلالها محل قيم المجتمع الوثني القبلى بالجزيرة العربية ؟

ب ـ هل تقبل المجتمع الاسلامي الناشىء هذه القيم وتجاوب معها ؟ والى اى حد ؟

ج ـ ما هو اثرها فى تغيير سلوكه ومواقفه وعلاقاته ؟

د ـ ثم ما هو اثرها فى المجتمعات العربية والاسلامية خلال التاريخ ؟ وما الذى بقى منها فى مجتمعاتنا المعاصرة ؟ وهل هي من نوع القيم المرحلية العابرة ، أم لها طابع الاستقرار والاستمرار ؟

ان بحثا اجتماعيا ومنهجيا مركزا فى هذا الموضوع ، يمكن ان ياخذ طريقه ابتداء من الاجابة عن هذه الاسئلة ، وهو ما نرجو ان نقوم به يوما بحول الله عندما تسمح بذلك ظروف العمل والزمن ، ولكن هذا لا يمنعنا فى هذا العرض الصغير من ان نقوم بمحاولة اولية لوضع خطوط الاجابة عنها ، بادئين بالجواب عن السؤال الاول :

1 ـ الايمان بالله وحده :

هذه القيمة الجديدة على المجتمع العربي الوثني، كانت تمثل اخطر ثورة على قيمه وتقاليده التى عاش عليها آلاف السنين ، وقد استمر الجدل حولها بين الرسول عليه السلام وبين زعماء العرب المشركين مقرونا بكل انواع الاذاية والمهانة ، والتعذيب والمقاطعة له ولاصحابه ، اكثر من عشر سنوات بمكة قبل الهجرة .

وقبل ان ينتقل هؤلاء الزعماء من مرحلة الايذاء والاهانة والتعذيب ، الى مرحلة المقاطعة الاقتصادية والتجويع ، والتآمر على قتل الرسول ، قرروا ان يدخلوا معه فى حوار دبلوماسي من مستوى عادل ، ياخذ اولا صيغة جدلية ، ليتحول بعدها الى اسلوب

للمساومة والاغراء قبل ان ينتقل الى التحدى والتعجيز لينتهي الى التهديد بالقتل والابادة .

ويقدم لنا نص الحديث الطويل الذى اخرجه ابن جرير عن ابن عباس فى هذا الموضوع ، صورة عن طبيعة الصراع القائم حول عقيدة الايمان بالله وحده فقد قرر اربعة عشر رجلا من قادة قريش ، فيهم ابو سفيان بن حرب ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن المغير وأبو جهل بن هشام وامية بن خلف والعاص بن وائل ، بعد ان تداولوا فى الامر ، ان يدخلوا فى حوار رسمي مع الرسول يتخذون بعده قراراتهم النهائية بشأنه ، .

بيد ان كل ما استعملوه من جدل ومساومة ، وتحدى وتهديد ، فى هذا الحوار الطويل ، لم يزعزع الرسول عن موقفه ، وعندئذ ضاعفوا من حملتهم واضطهادهم لكل من عملوا باسلامه ، ولما مات عمه ابو طالب الذي كان يحميه فى اطار العصبية القبلية ، اشتدت اذاية المشركين له ، وكانوا يلاحقونه فى الطريق فينثرون التراب على راسه وهو ساتر ، ويضعون اوساخ الشاة عليه وهو يصلي ، ويقولون : انت الذى تريد ان تجعل الآلهة الاها واحدا ؟

2 ـ مقاومة العدو :

ان المقاومة المستميتة فى سبيل الدفاع عن عقيدة التوحيد ، التى تمثلت فى مواقف الرسول عليه السلام ، وفى مواقف اصحابه وخاصة من طبقة العبيد والفقراء ، كانت تعبر عن قيمة جديدة ادهشت قادة المجتمع الوثنى العربى ، وزعزعت ايمانهم التقليدى بآلهتهم ، وجعلت الكثيرين منهم يعيدون النظر فى مواقفهم تجاه عقيدة التوحيد .

لقد استمرت مقاومة الرسول واصحابه لاضطهاد المشركين لهم اكثر من عشرة اعوام سبقت الهجرة النبوية ، وكانت اصعب مراحل هذه المقاومة ، عندما تقدمت قبائل قريش طالبة من بنى عبد مناف (قبيلة الرسول) تسليمه اليهم مقابل دية مضاعفة فرفضوا ، ثم عرضت على أبي طالب ان تعطيه سيدا من شبابها يتبناه ويسلم اليها بدله ابن اخيه ، فرد عليهم قائلا : عجبا لكم تعطونى ابنكم اغذوه لكم ، واعطيكم ابني تقتلونه ؟

هذا الموقف دفع بزعماء القبائل الى اتخاذ قرار باخراج بني هاشم وبني عبد مناف من مكة ، ومقاطعتهم اقتصاديا ، فلا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمد للقتل ، وكتبوا بذلك عهدا فى صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة ، واضطرت عشيرة النبى مسلمها ومشركها ، الى الالتجاء الى شعب ابي طالب ، وبعد دخول الرسول له امر جميع المسلمين بالهجرة للحبشة ، لحماية انفسهم من اضطهاد المشركين ، وكان عدد المهاجرين 380 رجلا و 18 امراة .

ومكث بنو هاشم فى الشعب ثلاث سنوات عانوا خلالها من الحصار والمقاطعة والتجويع عناء شديدا ، دفعهم لاكل اوراق الشجر ، وذلك قبل ان يستيقظ ضمير خمسة من اشراف قريش ، اعلنوا معارضتهم لوثيقة المقاطعة التى اعتبروها ظالمة ، وقاموا بتمزيقها بدافع انساني قائلين : يا اهل مكة اناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم فى الشعب هلكى لا يبيعون ولا يبتاعون ؟ واستطاعوا بهذا الموقف الجرىء ان يضعوا حدا لهذه المقاطعة ، وعاد بنو هاشم ومعهم الرسول الى مساكنهم .

وهكذا نلاحظ ان الرسول عليه السلام كان طيلة العشر سنوات التي قضاها بمكة داعيا وناشرا لمبدا الايمان بالله وحده لا شريك له ، مثلا اعلى فى الصبر واحتمال الشدائد ومقاومة الاعداء ، وانعكست هذه القيمة الحميدة على اصحابه الذين تقمصوها عقيدة وسلوكا ، وجاءت الهجرة لتمثل ثمرة انتصار مزدوج لقيمتين ، احداهما هدف ، والاخرى وسيلة له ، الايمان بالله وحده ، ومقاومة المشركين لتاكيد هذا الايمان .

3 ـ تحرير المجتمع الاسلامى من سيطرة الفكر الوثني ، وسلطة المشركين :

لم تكن الجماعة الاسلامية الاولى التي ظهرت بمكة ، تملك حرية الاعلان عن عقيدتها الجديدة ، او ممارسة شعائرها الدينية ، بل كانت تضطهد وتعذب باستمرار ، كلما تجرات واعلنت اسلامها ، ولذلك نجد ان احد الاهداف الرئيسية لهجرة الرسول والمسلمين الى المدينة يتمثل فى تحرير المجتمع الاسلامى الناشىء من سلطة المشركين ، واضطهادهم ، وايجاد مكان آمن لعيشتهم ، هذا التحرير كان احد المهام الرئيسية التى تشغل بال الرسول عليه السلام تصديقا لقوله : (من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم) ،

اذ كان شرطا اساسيا لانشاء المجتمع الاسلامى ، الذى سوف يتحمل مسؤولية النضال فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، ومواصلة تحرير الامة العربية من سيطرة الفكر الوثني ، وسلطة المشركين .

4 ـ المؤاخاة بين المسلمين :

بقدر ما كانت القبائل العربية الوثنية متناحرة وتعيش فى صراع دائب ، جاء الرسول عليه السلام ليعلمها قيمة الاخوة الدينية كلبنة فى بناء المجتمع الاسلامى الجديد ، وكان بين ابناء الاوس والخزرج بيثرب ــ وهما اخوان ــ من العداوة ما جعل الحرب لا تضع اوزارها بين القبيلتين اللتين كانت تضطر كل منهما ان تتحالف مع قبيلة بنى النضير او بنى قريضة اليهودية ضد الاخرى ، وحدث ان فكرت الاوس فى محالفة قريش ضد الخزرج ، وبعثت وفدا لهذا الغرض الى مكة ، وجاءهم رسول الله يقول : « هل لكم فى خير مما جئتم له ، ان تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئا ، وقد ارسلني الله الى الناس كافة ، ثم تلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ احد اعضاء الوفد : هذا والله خير مما جئنا له ، فحصبه احد رفقائه قائلا : دعنا منك ، لقد جئنا لغير هذا فسكت .

وفى موسم الحج التالى حضر ستة من الخزرج ودعاهم الرسول الى الاسلام فقالوا : انا تركنا قوما بينهم من العداوة ما بينهم ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ، ووعدوه المقابلة فى الموسم المقبل .

وتتابعت وفود الاوس والخزرج فى العامين التاليين الى مكة ، حيث كانوا يتصلون برسول الله ويبايعونه سرا ، ولم يقم الرسول عليه السلام بالهجرة الى المدينة بعد ذلك حتى كان الاسلام قد انتشر بين الاوس والخزرج اللتين ذابت عداوتهما التقليدية تحت اشعة القيم الاسلامية الجديدة ، وخاصة اخوة الاسلام ، وتنافسوا فى استضافة المهاجرين ؛ بل حكموا القرعة بينهم ، فما نزل مهاجر على انصارى الا بقرعة ، وقام الرسول عليه السلام بتعميق روابط هذه الاخوة اثر الهجرة ، عندما آخى بين المهاجرين والانصار ، فكان كل انصارى ونزيله اخوين فى الله ، يتقاسمان الثمر والاموال .

وقد وصف القرآن علاقات الحب والاخوة الجديدة التى سادت بين الانصار والمهاجرين بقوله : « والذين تبوأوا الدار والايمان قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » ـ وقال تعالى . انما المومنون اخوة »

ان الاخوة الاسلامية هى احساس دينى وانسانى جديد جدى فى جسم المجتمع العربي ، وهو أسمى واقوى بكثير من روابط العصبية القبلية والحزبية .

5 ـ توحيد كلمة العرب والمسلمين :

استطاع الرسول بفضل قيم الايمان بالله وحده ، وتحرير الفكر العربى من هيمنة الوثنية ، والمؤاخاة بين المومنين ، ان يخلق بين اعضاء المجتمع الاسلامي الناشىء شكلا جديدا للعلاقات الانسانية والاجتماعية ، يختلف تماما عن اسلوب العلاقات الذى عرفوه فى مجتمعهم القبلى الوثنى السابق ، الاسلوب الاسلامى الجديد فى العلاقات لا يعترف بالامتيازات او الفروق الجنسية او القبلية ، ولا يعترف بعبودية الانسان لاخيه الانسان ، ولا باستغلال الانسان للانسان ، هذا الاحساس الجديد بروح ونظام العلاقات الاسلامية ، لم يقض فقط ، على كل اسباب وعوامل النزاع القبلى ، والعصبية التقليدية ، ولكنه خلق شعورا جديدا وقويا بالوحدة بين اعضاء هذا المجتمع « مثل المومنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى » « والمسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره » « لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » .

وجاء القرآن ليؤكد حقيقة « البنية القيمة » الجديدة للمومنين : « المومن للؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » .

وامر القرآن بالتزام مبدا هذه الوحدة ؛ وذكر المسلمين بعلاقات العداء السابقة ، وحذرهم من العودة اليها قائلا : « واعتصمو بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » .

وقد جاءت هجرة الرسول عليه السلام ، وهجرة اصحابه الى يثرب ، لبناء اول مجتمع اسلامى بالمدينة يتكون من مختلف القبائل العربية ، ومن مختلف العصبيات والطبقات والجنسيات السابقة ، لتنصهر كلها وتتلاحم فى وحدة لم يعرف العرب لها نظيرا

منذ اقدم عهودهم التاريخية ، وكانت بداية انطلاق وحدة الامة العربية ، ثم اتسعت لتضم اغلبية الشعوب الاسلامية طيلة عهود الخلافة الاسلامية .

6 — تعبئة قوى المسلمين :

هذه قيمة اسلامية اخرى تمثل مرحلة التطور الاجتماعي فى بنيان المجتمع الاسلامي الجديد ، فبعد ظهور هذا المجتمع الناشيء بالمدينة ، بدأت في الحال عملية تنظيمية وتعبئة قواه المادية والمعنوية ، وقبل الهجرة لم يقاتل الرسول احدا على الدخول في دينه ، كانت دعوته مقتصرة على التبشير والانذار ، الى ان صممت قريش على قتله وابادة اصحابه ، والجاتهم الى الخروج من ديارهم بغير حق ، ولذلك كان اول تشريع نزل به القرآن بعد الهجرة يعطى للمهاجرين الحق فى قتال مشركي قريش « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » — وتتابعت بعد ذلك الايات التي تدمت للمسلمين وللبشرية أعدل قانون للقتال .

وفى السنة الثانية من الهجرة واجه الرسول واصحابه فى غزوة بدر قوة من مشركي قريش تبلغ 950 رجلا و 700 بعير و 100 فرس ، بينما لم تكن قوة المسلمين تتجاوز 313 رجلا و70 بعيرا وفرسين ، واذا كان المسلمون قد انتصروا مع ذلك على اعدائهم ، بتأييد من الله ؛ فقد كانت هذه المعركة مناسبة لتوعية المسلمين بضرورة التعبئة فى قوله تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وقال المفسرون : لما لم يكن للصحابة فى غزوة بدر استعداد تام نبههم الله تعالى فى هذه الاية الى ان النصر من غير استعداد لا يتاتى فى جميع الازمنة ، بل الغالب عدم تاتيه بغيره ، وقوله ما استطعتم شامل لما فى طاقة البشر ومقدورهم ، وجميع ما يدخله تحت كسبهم ، وقوله من قوة ، فسرت القوة هاهنا بجميع انواع الاسلحة والآلات ، وباتخاذ الحصون والمعاقل ، وبجميع ما يتقوى به في الحرب على العدو .

وليست التعبئة المادية الا المظهر الخارجي للتعبئة الروحية ، وهذه الاخيرة امتدت ابعادها انطلاقا من الهجرة النبوية فى جميع المجالات ، ولم تمض ثمان سنوات على الهجرة حتى كانت هذه التعبئة قد بلغت مدى اهلها لفتح مكة سلما بعشر آلاف مجاهد ، واستسلمت قريش لتدخل طوعا تحت ظل الدين الجديد .

7 — عمارة المساجد :

كان اول عمل قام به الرسول عليه السلام قبل ان يدخل الى المدينة النزول بقباء عدة ليال ، اسس خلالها (مسجد قباء) الذى هو اول مسجد بني بعد ظهور الاسلام ، والذى وصفه الله بانه مسجد اسس على التقوى من اول يوم ، وصلى فيه الرسول بمن معه من الانصار والمهاجرين ، وهم آمنون مطمئنون لاول مرة في حياة المجتمع الاسلامى الجديد .

كما كان اول عمل قام به بعد دخوله المدينة ، بناء مسجده فى المكان الذى بركت فيه ناقته امام محلة بني النجار ، وشارك رسول الله بنفسه فى هذا البناء ، ليكون قدوة فى ذلك للمسلمين ، وكان هذا البناء فى منتهى البساطة ، ولكنه تطور مع الزمن ، وهو المسجد الذى دفن فيه الرسول ، ويزوره ملايين المسلمين فى كل عام .

ماذا كان يعني اهتمام الرسول ببناء المساجد ؟ وماهو الدور الذى كان ينتظر ان يلعبه المسجد في حياة المجتمع الجديد ؟

المسجد اولا بيت الله ، ومكان العبادة وتطهير النفس .

والمسجد مركز الدعوة الاسلامية الاصيل .

والمسجد رمز الوجود الاسلامي ، ونقطة الارتباط بين السماء والارض .

والمسجد مدرسة الشعب ، للكبار والصغار ، من الرجال والنساء .

والمسجد ملتقى يومي لسكان الحي تتجدد به القيم .

والمسجد ملتقى اسبوعي لسكان المدينة تصقل فيه النفوس المومنة .

والمسجد منبر عام لتوجيه وتوعية المجتمع .

والمسجد اخيرا المدرسة السياسية الدائمة التى يستمع فيها المسلمون الى خطاب جامع اسبوعى ،

وكلما دعت الحاجة مما يهمهم معرفتـــه من شـؤون الدين والدنيا ، كما يتعلم فيها المسلمون الوقوف فـي صفوف متراصة بين يدى خالقهم بدون فـروق ، ولا امتيازات ولا طبقات ، تاكيدا لحقيقتهم الاسلاميـــة الخالدة ، وتجسيما لقيم الاخاء والمساواة والوحدة ، التى يحسونها ويومنون بها ، والتى ترفع كل الحجب بيـن الانسان والانسان .

تجاوب المجتمع الاسلامى مع هذه القيم :

لقـد اعطتنا نشاة المجتمع الاسلامى فى المدينة بعد الهجرة : الفرصة العلمية لمعرفـة الجـواب عـن السؤال الثانى الذى القيناه آنفا : هل تقبـل المجتمع الاسلامى الناشىء هذه القيم وتجاوب معها ؟ والـى اى حـد ؟

ولعلنا لسنا بحاجة الى الاطالة فى الجـواب ، فقـد تطلبت عملية الدعوة الاسلامية واقناع المجتمع الجاهلى الوثنى بها اكثر من عشرة اعوام من الجهد والعناء ، والجدل المنطقي ، والصـراع الفكـرى ، الاضطهادات المتوالية وخلال ذلك كان الاقتناع بالدعوة والايمـان بقيمها يسير ببطء ، ولكن فى قوة وعزم ، وجاء مجتمع المدينة الاسلامى الاول ، ليؤكد تقبلـه وتجاوبـه الكامل ، وبلا حدود ، مع هذه القيم ، ثـم جاء انهيار البنيان الوثني الجاهلي ، واستسلام قريش فـى مكة بدون مقاومة ، يوم فتحها من طرف مجتمع المدينة . ليفتح الطريق امام المد الاسلامـي ، ليس فقط لـدى جماهير الشعب العربى فى الجزيرة ، ولكن لدى كل الشعوب والامم التي عرفته وآمنت به ، مـن قارات الارض .

اثر هذه القيم فى تغيير المجتمع العربى الاسلامى الاول :

لعل اهم سؤال يمكن ان يضعه عالم الاجتماع وهو يدرس حادث الهجرة النبوية يتعلق باثر هـذه القيم فى تغيير سلوك المجتمع العربى الوثني ، وتغيير مواقفه وعلاقاته .

ان مقارنة بسيطة بين نماذج سلـوك الانسـان الوثنى ، ونظرته الى الكون والطبعة والحياة والمجتمع الانساني موقفه الواقعي ، وعلاقاته الانسانيه المنبثقة مـن ايمانه بالله ، وفكره المنطقى المتجاوب مـع واقعه ، هذه المقارنة تشرح لنا مظاهر وابعاد التغير الكبير الذى عرفه المجتمع الاسلامى منـذ الهجـرة النبوية ، كما عرفته كل المجتمعات الوثنية واليهودية والمسيحية التي دخلت فى ظل الاسلام .

لقد كان الاسلام بالنسبة الى المجتمع العربى ، وكل المجتمعات الاخرى ثورة حقيقية كاملة ضد كـل اوضاع التخلف والانحطاط الفكرى والاجتماعـي والاقتصادى ، ولولا الاسلام ما خرج العرب مـن جزيرتهم ، ولما كانت لهم بعد نحو نصف قرن مـن الهجرة النبوية ، حدود تمتد من الخليج الى المحيط ، ولما انشأوا تلك الحضارة التي غزت العالم كله ، وكانت أساس حضارته العلمية المعاصرة .

ولابراز اهمية « البنية الجديدة القيمة » التـى انشا عليها الاسلام مجتمعه الاول ، نذكر على سبيل المثال ما حدث فى غزوة حنين التى جاءت عقب الانتصار الكبير الذي حصل عليه المسلمون بفتح مكة،وكان له رد فعل عند القبائل العربية الكبيرة المجاورة لها حيث اجتمع زعماؤها وقالو : قد فرغ محمد مـن قتال قومه ، ولا ناهية له عنا ، فلنغزه قبل ان يغزونـا ، وسلموا قيادة جيشهم الى مالك بن عوف النصـرى الذى عبأ جيشا كبيرا ، وامر المقاتلين بان ياخذوا معهم نساءهم واولادهم واموالهم ، ولما علم بذلك دريد بن الصمة المشهور باصالة الراى ، وشدة البأس فـي الحرب ، وكان شيخا طاعنا فى السن ، سأله عـن السبب فقال :

— سقت مع الناس اموالهم وذراريهم ونسائهم لاجعـل خلف كل رجل اهله وماله يقاتل عنه .

— وهل يرد المنهزم شيء ؟ ان كانت لك لـم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانـت عليـك فضحت فى اهلك ومالك . ويقول كتاب السيـرة ، ان قائد الجيش مالك بن عوف لم يستمع لنصيحة دريد بن الصمة ، فجعل النساء صفوفا وراء المقاتلة فـى المعركة ، ووراء النساء الابل ثم البقر ثم الغنم كيلا يفر احـد من المقاتليـن .

لقـد شرح لنا مالك بن عوف بموقفه هـذا ، طبيعة الفكر الجاهلي الوثني الذي كانت قيمه تتجـه لتقديس المادة مجسمة فى الاصنام ، تليها فى الدرجـة الاموال ، فحسب التفكير السياسي والاجتماعـي لمالك بن عوف ليس للقبائل التي يقودها فى معركـة حاسمة ومصيرية ، انهزمت قريش قبلها — اية قيمة تدفعها للتضحية والقتال فـى سبيلها ، غير القيمة المادية لنسائها وذراريها واموالها .

ولما علم الرسول بتحالف هذه القبائل وخروجها لقتاله ، خرج اليهم بالجيش الذى فتح به مكـــة ، وبالفين مـــن اهل مكة ، ولكن اعجاب المسلميـــن بكثرتهم ، وانضمام عدد كبير لهم مـــن المشركيـــن والمنافقين والاعراب وحديثي عهد بالاسلام ، تسبـب فى هزيمة الجيش الاسلامى اول المعركة ، ان اعجـاب المسلمين بقوتهم المادية العديدة وهو شعور جاهلـي رجعي قلل من اعتمادهم على قوة قيمهم الاسلامية الجديدة ، ومما زاد فى تدعيم هذا الاتجاه ان اغلبية الالفين الذين انضموا من سكان مكة الى المهاجرين والانصار كانوا من المادبين الانتهازيين ، والطامعين فى غنائم الحرب .

هذا الموقف الخطير الذى برز فى اثناء المعركـة جعل الرسول عليه السلام ، وقد ثبت على بلغته فى ميدان القتال وحوله عدد قليل من المهاجرين والانصار ، يطلب من العباس وكان جهورى الصوت ، ان ينادى بالانصار ، فنادى يامعشر الانصار ، يا اصحاب بيعة الرضوان ، فأسمع من فى الوادى ، وتدافع الانصار امام الاعراب المنهزمين فى اتجـاه الرسـول وهـم يقولون : لبيك لبيك ، وحملوا على اعدائهم حملـــة شديدة جعلتهم يفرون فى كل اتجاه تاركين نساءهم واموالهم ، وبلغت غنائم المسلمين من هذه المعركـــة عدا السبي من النساء اللواتى اطلق الرسول سراحهن فيما بعد ، نحو اربعة وعشرين الف بعير ، واكثر من اربعين الف شاة ، واربعة آلاف اوقية من الفضة .

لا يهمنا هنا ان نستخلص من تجربة « صــراع القوتين » فى هذه المعركة فشل نظرية مالك بن عوف المادية ، بقدر ما يهمنا السؤال عن سبـب التجـاء الرسول ، وهو يرى طلائع قواته تنهزم ، الى الانصار بالذات ، ونجيب بأن الانصار هم الذين تكون منهـم ومن المهاجرين المجتمع الاسلامي الاول بالمدينة ، ذلك المجتمع الذى اكتمل تكوينه الديني ، وازدهاره الفكرى واتيح له ان يعيش فـى مدرســة الرسول صلـــى اللـه عليـه وسلم ثمان سنوات قبل غزوة حنين ، استوعب خلالها مبادىء الاسلام وتعاليمه السامية ، وامتص قيمه الاساسية ، وهكذا اصبح الانصار حزب الاســلام الاول الــذى تكونت عنده « بنية قيمية » اسلاميـــة ، اصيلة وثابتة ، اهلتــه ليصبــح مؤمنا نصيرا ، يمكن الاعتماد عليه فى الشدائد .

ومما يؤكد هذه الحقيقة ، ويشير الى النظـــرة الخاصة التى كان ينظر بها الرسول عليه السلام الـــى الانصار ، انه عندما وزع غنائم هذه الغزوة علـــى قريش وقبائل العرب ، وترك الانصار ، فضب بعض هؤلاء وقالوا : ان هذا لهو العجب ، يعطى قريشـــا ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ، ولما بلغ ذلك لرسول الله جمعهم على حدة وقال :

« يامعشر الانصار ما مقالة بلغتنى عنكم ؟ الم اجدكم ضلالا فهداكم الله ؟ وعالة فاغناكم الله ؟ واعداء فالف الله بين قلوبكم ؟ أوجدتم فى نفوسكـم يا معشر الانصار ، فى لعاعة من الدنيا تالفت بهـــا قوما اسلموا ، ووكلتكم الى ما قسم الله لكم مـــن الاســلام ، افلا ترضون يامعشر الانصار ، ان يذهـب الناس بالشاء والبعير ، وتذهبوا برسول اللـــه الـــى دياركم ؟ فوالذى نفسي بيده ، لو ان الناس سلكوا شعبا ، وسلكت الانصار شعبا لسلكـت شعـب الانصار ، ولولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ، اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار » فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ربا ، وبرسول الله قسما .

ومـــن هذا يتبين لنا ان المكانة التى كان يتمتع بها الانصار عند رسول الله ، ترجع الى انهم كانوا يمثلون « مجتمع القيم الاسـلامية » أصدق تمثيـــل ، تلك القيم التى اهلتهم فعلا لان يحولوا هزيمة حنين الـــى انتصـار كبيـــر .

استمرار هذه القيم فى المجتمعات الاسلاميــــة خلال التاريخ :

يهتم الباحث الاجتماعي ايضا بسؤالنا الاخير : ماهو اثر هذه القيم فى المجتمعات الاسلاميـــة خـــلال التاريخ ؟ وما الذى بقي منها فى مجتمعاتنا المعاصـــرة بعـــد اربعة عشر قرنا من الهجرة النبوية ؟ وهــــل هي من نوع القيـــم المرحلية العابرة التى تتطلبهـــا حاجات المعاصرة المؤقتـــة ، ام لهـــا الاستقـــرار والاستمرار ؟

ونجيب فى ايجاز كبير ، بان المجتمع الاسلامـــى واجـــه خـــلال التاريخ غزوات دينية واستعمارية ، ساحقة وطويلة المدى ، من طرف خصومه الكثيرين ، وخاصة فى فترات ضعفه ، وتضعضع مؤسساته ، كانت لها ، من وجهة نظر الحساب المادى للاشياء ، كل امكانيات التغلب والقضاء والاطاحة بابنية هـــذا المجتمـــع ، وفـــى كـــل مرة كنا نشاهد ان نظريات الحساب المادى للاشياء ، وكل التقديرات العلمية التى

تنظر الى المجتمع الاسلامي من الخارج ، كانت تقع فـــى الاخطاء ، لتواجه الفشل الذريع آخر الامر .

تقدير « طاقة القيم الاسلامية » التي منحها الاسلام للمجتمع العربي والمجتمعات الاسلامية الاخرى ، بجميع ابعادها وامكاناتها ومعطياتها ، عملية شاقة علميا ، حتى على الباحثين المسلمين المتمكنين من الثقافة الاسلامية الاصيلة ، لانها تتناول في اغلبها قيما معنوية روحيــة مترسبة في اعماق المجتمع المسلم ، تحتــاج الـــى دراسات ميدانية ، متعمقة ومتنوعة ، لاستشفاف واكتشاف طبيعتها وحقائقها .

ان الباحث المتتبع لسير التاريخ العربـــي الاسلامي ، يلاحظ دوما ان هذا المجتمع قد ينهـزم امام قوة غازية تفوقه تنظيما وتسليحا ، ولكنـــه يستسلم ، الاستسلام النفسي ، اى تقبل الهزيمـــة واستمراؤها ، والاندماج فكريا او عاطفيا او اجتماعيا مع الاعداء والمهاجمين ، هذا الاستسلام يتعارض مع طبيعة (بنيته القيمية) اعني البنية الفكرية — الروحية التـــى استمدت خيوط نسيجها من القيم الاسلاميـــة المذكورة آنفا ، واكتسبت لحمتها من خلال الممارســة الفعليـــة الجاهدة ، في عهد الرسول عليه السلام ، وعهد خلفائه الراشدين من بعده ، لتقاليد ومؤسسات هـــــذه القيـــم .

ولعل التاريخ لم يسجل لامة علـــى وجه الارض ، من القدرة على الصمود والمقاومة، وتحمل الشدائد، ما سجله لشعوب الامة العربية الاسلامية ، فالحروب الصليبية التـــى اعلنتها الكنيسة المسيحية بزعامة ملوك اوربا الغربية علـــى شعب فلسطين العربي الاسلامـــي واراضيه المقدسة ، استمرت حملاتهـــا الثمانيـــة 195 سنة (1096 — 1291 م) وكانت الفترة بيـــن كل حملة وحملة تتفاوت بين 7 سنوات و 50 سنـــة ، وتستمر كل حملة ما بين سنة واحدة وست سنوات ، ومعنى هذا ان اوربا الغربية خصصـــت قرنين مـــن تاريخها لتعبئة كل طاقاتها الاقتصادية والعسكرية من اجل استرجاع قبر المسيح ، ونشر سيادتها علـــى الاراضي المقدسة ، واخيرا انتصـــرت المقاومـــة الاسلامية بظهور السلطان صلاح الدين الايوبـــي الذى هزم الصليبيين في معركة حطين ، وفتح بيـت المقدس ، وانتزع منه عود الصليب اول القرن السابع الهجرى (1187 م) .

وبينما كـــان الصليبيون يواصلـــون حملاتهـم العسكرية الدينية من الغرب ، ضد المسلمين فـــى الشرق الاوسط ، كانت غارات المغول والتتار الوثنيين من الشرق الاقصى ، قد ظهرت مع بداية القرن الثالث عشر ، لتقوم بعمليات التخريب والتدمير للحضارات الانسانية التي مرت بها ، وخاصة لحضارة الاسلام ، فقد واجهت الشعوب الاسلامية في الصين وروسيا والهند وفارس هذه الغارات التخريبية بمقاومـــة شديدة ، وفـــى غمرة الانتصارات التي حققها المغول فـــى زحفهم واحتلالهم ايضا لاوربا الشرقية ، جـــاء هولاكو ليركز لواءه في الشرق الادنى سنة 1256 م ، واتجه الى بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية التـــي احتلها سنة 1258 م بعد قتل الخليفة المستعصـــم ، ليترك جنوده تنهب قصره ، وتخرب المدينـــة كلهـــا ، وتحرق خزائن كتبها ، وتقضي على معالم حضارتها .

ومع ذلك ، فان قيم **المقاومة ، والاخوة ، والتعبئة والوحدة ، والتحرير** ، السارية في شرايين الامـــة الاسلامية ، انطلقت من دولة المماليك بمصر مـــرة اخرى ، وزحف السلطان بيبرس بجيوشه ليسحـــق المغول والصليبيين المتحالفين معهم ، وينزل بهم اكبـــر هزيمة عرفوها ، فـــى معركة عين جالـــوت بفلسطين ســـنة 1260 م ، ولينتزع سورية بكاملها من ايدى هولاكو وخلفائه .

واذا كان الصليبيون قد اقتنعوا ، بعد قرنين من الحروب ، بضرورة عودتهم النهائية الى اوطانهم فـــى اوربا ، فان المغول الذين عاشت امبراطوريتهم عـــدة قرون في نواح مختلفة ، واجهوا مصير آخر في ارض الاسلام ، فهذا غازان بن ارغون حفيد هولاكو الذى نشا في البوذية ، يعتنق هو وجميع افراد جيشـــه الاسلام قبيل ارتقائه العرش ، ويختار المذهب السني ، ويعيد تنظيم القضاء في فارس بعد ان عبث به العرف المغولي الساذج ، ويعيد للشرع الاسلامي سلطانـــه وقوته ، ويوقف اموالا ضخمة على المساجد المحليـــة ودور العلم ، لقد ذاب المغوليون الوثنيون المتوحشون اذن في الاسلام ، واستمرت القافلة الاسلاميـــة في مسيرتها .

هذان مثلان من التاريخ البعيد ، وفي تاريخنـــا الحديث مثل من كل بلد اسلامي ، في مشرق الارض ومغربها ، تحرر من سيطرة الاستعمار الغربي بفضل قيمه الاسلامية التي لم تخمد قط شعلتها ، وشعوبنا في اقطار المغرب العربي تعرف هذه الحقيقة ، وهي تعترف بها اليوم ، في كل مناسبة .

ان الشعوب الاسلامية تجد نفسها فى كل مرة ، مضطرة لاحناء راسها امام حملات اعدائها الضخمة ، دون ان تستسلم للعدو ، وفى يوم ما قبل بداية ثورة التحرير الجزائرية سنة 1954 كانت فرنسا والعالم معها وحتى بعض الجزائريين انفسهم ، يعتقدون ان الاسلام فى الجزائر قد انتهى بعد 132 عاما من الاستعمار والتنصير ، والفرنسة ، والادماج الكامل لشعبها وارضها فى فرنسا ، وخلال ثمان سنوات من يقظة القيم الاسلامية ، واشتعال ثورتها الناجحة استعادات الجزائر المسلمة استقلالها وشخصيتها ووجودها الذاتى ، لتحطم كل ما اقامه الاستعمار فى مائة وثلاثين عاما ، واستأنفت القافلة الاسلامية مسيرتها .

واذا كان التاريخ يعيد نفسه ، لان القوانين التى تتحكم فى مجتمعاته واحدة لا تتغير ، فمن هو هذا الباحث الاجتماعي الذى لا يومن اليوم بالمصير الحتمى للحروب الصهيونية الجديدة ، والحملات الاستعمارية على ارض فلسطين ؟ .

لقد مر حتى الآن اكثر من نصف قرن على مقاومة الشعب الفلسطيني لعدوان اليهود المغتصبين لارضه ، واكثر من ربع قرن على قيام اسرائيل ، ومع ذلك فان تصاعد المقاومة الفلسطينية ويقظة القيم الاسلامية فى كل شعوب العالم العربى ، تؤكد مرة اخرى المصير الحتمى الذى ينتظر الصهيونية والاستعمار فى فلسطين ، عاجلا او آجلا .

ان وحدة الدول العربية من الخليج الى المحيط ، التى تجسدت فى مؤتمر القمة العربى المنعقد فى الرباط ، وعزمها الصارم على تحرير الاراضي العربية المحتلة ، وتعبئة كافة قواها لهذه الغاية ، فى جو من الاخوة والتعاون الوثيق ، لهي الادلة الحية اليوم على ان القيم المذكورة التى منحها الاسلام للمجتمع العربي منذ الهجرة النبوية ، لم تكن قط من نوع القيم المرحلية العابرة ، وانما هي مستمرة ومستقرة وخالدة انها هبة السماء لهذه الامة ، حملها وبلغها رسول هذه الامة .

واذا كانت المساجد لا تزال تبنى وتقام فى كل حي جديد ، بكل قرية ومدينة جديدة ، فى كل ارض عربية واسلامية ، منذ اقام رسول الله مسجده فى المدينة المنورة حتى اليوم ، تعلو مآذنها فى السماء مدوية خمس مرات فى كل يوم بشعار الاسلام الخالد : الله اكبر ، فهذا يعنى ان الاسلام يواصل مسيرته الى الامام مهما كانت الظروف والاحوال ، انه نداء السماء الى الارض ، واستجابة الارض لنداء السماء .

الرباط : ادريس الكتاني

الهجرة

إلى الله ورسوله

للشاعر محمد بن محمد العليمي

موكب النور قد تجلى سناه ،   فتبعنا عبر القرون هداه

وقلوب (المدينة) اليوم هبت   للقاء الحبيب — يا فرحتاه ! ! —

تلك ذكرى الضياء قد غمر الكو   ن ، ووجه الصباح ما ابهاه !

تلك ذكرى تروق شكلا ومعنى   فهى للخير قد قضاها الاله

هجرة المصطفى تفوح طيوبا   فهى للبعث يقظة وانتباه

انها ثورة لخير نبى   ورسول رب العباد اصطفاه

ثورة فى عدالة وانبعاث   فهى مشروعة رعاها الله

كل عام تأتي بسر جديد   وبدرس قلب الوجود وعاه

والتهانى نزفها من قلوب   صافيات والصفو ما احلاه !

نية المرء فى مساعيه تأتى   وفق ما كان فى السلوك نواه

هكذا جاء فى الحديث ، وحسب الـ ـحر حسن المقصود فى مسعاه

انما هجرة الرسول لمن يفـ ـهم ، درس يجل فى مغزاه

من بديع الاكوان تستمع الار واح فى موكب الخلود صداه

والهدى فى محمد خاتم الرسـ ـل ، فيا سعد من ينال رضاه !

انه فى ترفع وإباء ، ومن الفحش والخنا حاشاه !

قد تحدى الكفار بالسيرة المثـ ـلى ، وتوحيد خالق قد براه

قلبه لم يضم سوى رب حباه الذكر الذى اوحاه

انها عزة برب تدبير   ينصر المصطفى الذى قد دعاه
مكر الماكرون ، والله دوما   صان فى العز عبده ووقاه
زهق الباطل اللعين ، فهذا الـ   ـحق قد لاح صبحه فمحاه
والسمى فى (مناة) و (اللات) و (العـ   ـزى) ؛ وكفر الجهول قد اشقاه !
و (قريش) من امرها فى ذهول ؛   فاذا الشرك ممعن فى اذاه
واذا بالرسول باركه اللـ   ـه ، ومن عصبة العدى نجاه
جعل الله من دونه سـ   ـدا ، وعنهم بلطفه اخفاه
فمضى فوقهم يحث ترابا   وهو يتلو القرآن فى نجواه
و (علي) رمز الفداء ، على اليقـ   ـظة ، فوق الفراش ينكى عداه
فاذا بالحقيقة انكشفت للـ   ـقوم ، والشرك مدرك ما دهاه
ارسلوا فى طلاب احمد فرسا   نا ، فكل بين الشعاب اقتفاه
وقفوا حائرين طرا امام الـ   ـغار ، والحقد سادر فى عماه
فاذا بالحمام باض لديه ،   واذا العنكبوت يرخى سداه ،
واذا بالظلام (عائشة) التـ   ـفت ، وجاءت للغار تغشى ذراه
تحمل السر والفداء ، وتمضى   فى ثبات ، بالفخر خلدناه
فى جهاد بدا لابنة الصديـ   ـق صدق فى الذود لا ننساه
واذا بالرسول قد لقن الجا   سوس درسا يشل منه خطاه
كادت الارض ويك تبلعه بلـ   ـعا ، فنادى (سراقة) : رحماه !
لم يكن فى معية الله خوف ،   فهو امن لمؤمن ناداه
والنبى الامين خاض امتحانا   وانقلابا لا يختفي محتواه !
باء بالخسر من يعاديه ، والفو   ز جزاء لمؤمن والاه .
يتوخى التوحيد ، لا الجاه والما   ل ، فكل التوحيد من فحواه
فى سبيل الايمان ضحى باهل   وبمال ، فالمجد ابهى حلاه ؛
فاذا بالجهاد ، فى الهجرة المثـ   ـلى ، شعار الاسلام فى دنياه
واذا بالاحرار تربطهم رو   ح ، بدين تشبثوا بعراه
ليس فيهم قرابة لبلاد   او لاهل ، فالقصد هو الله !
وتلاشت عناصر المزيبين الـ   ـناس ، فالمرء فضله تقواه !
لم تكن هجرة الرسول سوى افـ   ـق جديد ، بالطيب فاحت رباه ،
وحياة بالخير حسا ومعنى   تغمر الكون ارضه وسماه !
والحبيب المحبوب حين ينادي   « أنت يا رب عدتى » ، لباه

طهر الله روحه وحشاه ، وكساه عناية واجتباه

لم يرقه فى الشرك مجتمع لا ه ، غريق فى الاثم فى غوضاه

وله من فراسة النظر السوا عى انصهار ببيئة تغشاه

همه فى تحول « راديكالى » بعيد فى العمق ، فى مرماه

فاذا فيه قوة تقهر الظلم ، وتردي العود ، لا تخشاه

واذا الدعوة استنارت بها الدنيا ، وعزت من نوعها الاشباه

واذا بالمصير مشترك ، فيه يؤاخى الاخ الشقيق اخاه

والجهاد الصغير أمسى كبيرا ، فى كيان وجوهر خضناه

وزوايا الآفاق فيها بشير من جلال الاشراق لاحظناه

هجرة الحق كان عنوانها الايجاب حتما فى كل ما تلقاه

تلك مسؤوليات من هم بحق هاجروا ، والاخلاص قدرناه

انما السد فى التشبث بالايمان ، فالحر لم يخب مرتجاه

والنبى الامين حين يربينا ؛ قرب العباد قد رباه

ان اسلوبه السماوى فيه عبرة ، والخلاص من معناه

والهدى فيه وحده ـ لا كما يز عمه الغافلون ـ عند سواه

والخفايا عكس الظاهر فى العلم ، وكل يهيم فى ليلاه

واللبيب الحكيم من صان دنيا ه ، ليلقى النعيم فى اخراه !

والرسول الكريم من (مكة) اختا ر انطلاقا ، مهاجرا مثواه

فى اصطحاب (الصديق) انس ونصر (غار ثور) بكل فخر حكاه

لم يهاجر من مسقط الرأس الا وله فى التوحيد صح اتجاه

فى ربى (يثرب) استعان بانصا ر ، فكل منهم حبيب فداه

طلع البدر بالسعود علينا حيث لذ النشيد فى لقياه

انما تلك بيئة كان فيها مثل حوت قد احتوته المياه

فاذا بالتوحيد يحتضن الوحدة شكلا وجوهرا فى مداه

اننا اقرب العباد لابرا هيم فى الدين نرتضى ما ارتضاه

نحن منه اليه فى خير نهج ولنا فى اصالة العرق جاه

ربنا الله وحده ، لا كقوم سجدت للاصنام منهم جباه

نحن قوم للحق نمضى سراعا ، لا نوالى من فى الضلالة تاهوا

وكفانا القرآن فى الدين والدنيا اماما ، لم نتبع ما عداه

لم نكن قط منحتين لغى من دخيل يرى الذى لا نراه

فى ظهير مدبر بربرى ، لقى الكفر خسره ورداه

اننا نشجب الكهانة والتبشير : لن يدرك الضلال مناه !

ونعادي الالحاد مهما توارى في انحراف تفاقمت بلواه

ونجاق (هيبية) حل منها بالشباب الحيران ما اغواه

ونماف التشور جاء بها رهط غريب بالجهل قلدناه

حرمات الاسلام ديست جهارا ، وتوارى الحياء — واحسرتاه ! —

واستبيحت محارم الله ظلما حيث مات الضمير — واخجلتاه ! —

اننا مسلمون نعطي سوانا عبرا نورها يضيء حجاه

من يكن طامحا الى المثل الاعلى ، تولى الى الامام سراه

انما الحظ في التفاني ، وفي الجهد ، وفي الصبر دائما نعماه

والتصاميم والمشاغل تترى ، يدرك الحر عندها مبتغاه

انما العدل والتعلم صنوا ن يرى فيهما الجميع رجاه

اننا غير قانعين بما نلنا ، فجهد الجهاد ضاعفناه

نتبع الخطوة الوئيدة بالاخرى ، ونمضي للاوج في علياه

هذه دولة العروبة والاسلام تحيي انتصارها ورؤاه

قد أعاد التاريخ فيها بصدق نفسه ، والاباء عنها رواه

تلك (سيناء) تحتضن (الجولان) ، والنصر رددته الشفاه

ان في (الشام) ، في (مصر) ، في (المغرب) عرسا جميعنا نحياه

وبلادي ، حريتي ، قد سقاها كل حر مجاهد من دماه !

(خط بارليف) لم يكن غير افك قد ازاحت ابطالنا مفتراه

تلك اسطورة التفوق ضاعت من عدو ، في الذل يغفر فاه

هذه (القدس) ، مسجدها الاقصى تنادي في الجرح : واحسناه !

من وراء السنين ، هذا (صلاح الدين) يشكو المأساة : واضيعتاه !

و (فلسطين) قد اباحت حماها طغمة الغاصبين — وا اسفاه ! —

ان (افريقيا) بها لقد صار صهيو ن ينادي : اواه ! واخيبتاه !

وامام الدنيا ، بخذلانه المر ، لقد صاح خائفا : ويلتاه !

وانعزال اللئيم موت زؤام ، فليذق خزي ما جنته يداه ! !

وجهاد الاحرار خير جهاد ليس في الكون عائق اصماه

وضمير الشعوب في اليقظة الكبرى ، نداء الخلاص قد احياه !

— * —

من كفاح الرسول نقتبس الصبر ، فهذا القرآن نحمي حماه

ان روح الايمان يحيى ثباتا جددته وعززت مبناه

(حرب اكتوبر) بالفداء اعادت — ثقة بالنفوس – يا بشراه ! ! –

والمليك المجاهد (الحسن الثا — ني) يوالي مسيرة في علاه

من تراب البلاد ، في وحدة الصـ — ـف ، نراه مسترجعا صحراه !

يحمل المصحف الشريف بيمنا — ه ، ويرعى الآمال في يسراه

بيسمة القمة المجيدة ، مجد — عند (روح الرباط) شاهدناه

ذاك عرس به (فلسطين) باهت — في حمى عرشنا ، وفي منتداه

ان ينم غيره ، فقد بلور الحـ — ـق حشاه ، فلم تنم مقلتاه

ورث الفضل عن جدود كرام — حيث جادت بفيضه راحتاه

للثريا يمضي ، ونحن وراه — لم نكن ندرك المنى لولاه

عاد من هجرة البلاد عزيزا — بالخلاص المبين من منفاه

وابوه (ابن يوسف) الشهم قد كا — ن صبورا ، وشعبه فداه

غبه فاخر (المغرب الاقـ — ـصى) ، وما كان ناسيا ذكراه

قد سقانا كوائرا وكؤوسا — مترعات من حبه وهواه

فاذا البدر يحتوي رسمه الغا — لي ، وقلب الاوطان قد حياه

الف طوبى لروحه ! الف بشرى ! — – طيب الله في النعيم ثراه ! –

صورة تلك طابقتها الاصـ — ـل ، فمرحى للعرش يسمو فتاه !

كل من صان للبلاد عهودا — راق في العز دائما مأواه

يحفظ الشعب للمليك جميلا — حيث يسعى للرفع من مستواه

انها هجرة الى الله حقا ، — والرسول المبعوث من مولاه

من يكن في محياه لله يسعى — احسن الله عنده عقباه

كلما حل في الخواطر ذكر — منه عبر السنين ، فاح شذاه !

ولو اني اوتيت كل بيان ، — لاسوغ الثناء في مغناه ،

فانا عاجز ، وهذا لساني — بصنوف الابداع ، قد اعياه !

نظرة الصدق من محب وفي — ترجمان لمهجة تهواه

عرشه في الفؤاد صار وطيدا — وبانسان عيننا مثواه

وفق الله للعروبة والاسـ — ـلام مسعاه ، وللعلا ابقاه

فلتعش يا مليك كنزا وذخرا — وليعش شعبك الذي ترعاه

وليعش صاحب السمو (ولي الـ — ـعهد) في عزة تسر اباه

وليعش ديننا الحنيف كريما — منتهاه عود الى مبتداه ! !

الربـاط : محمد بن محمد العلمي

من مظاهر التضامن الإسلامي

للأستاذ علي لغزيوي

مأثرة للمغاربة اشتهروا بها عبر التاريخ الاسلامي ، جعلتهم يتبوأون مكانة محترمة عند اخوانهم المسلمين ، تلك هي مشاركتهم في الحروب التي يخوضها اخوانهم في باقي المناطق ضد الكفار الصليبيين ، ومسارعتهم الى اعانتهم على رد العدوان الصليبي عبر التاريخ ، الهادف الى القضاء على المقومات الاسلامية ، والمغاربة في ذلك يندفعون بدافع الغيرة على الاسلام ومقدساته ، ويعتبرون المشاركة في تلك الحروب جهادا مقدسا وواجبا مفروضا يتطلب منهم التضحية ؛ وقد سجل التاريخ ذلك واحتفظ به للاجيال التالية والقادمة ، التي تشعر بالفخر والاعتزاز وهي تتابع صفحات البطولة الخالدة والتضحية الغالية التي سجلها المغاربة واهل الاندلس في القديم .

الامثلة كثيرة ، كلها تؤيد وتسجل هذه المأثرة ، احيانا على الصعيد الرسمي ، واحيانا كثيرة على الصعيد الفردي والجماعي ، تضحية ومساعدة ومشاركة وجدانية وعملية ، تبرهن على مدى ما يكنه المغربي هنا لاخيه في المشرق من حب وعطف ؛ واهم ما يمكن تسجيله هنا ، على سبيل المثال ، مشاركة المغاربة الى جانب اخوانهم المشارقة ضد العدوان الصليبي ، لن نتحدث هنا عن ظروف هذه الحرب التي نفخت في الاوروبيين روح العدوان ، وراح رجال الدين يثيرون النفوس داعين لتخليص بيت المقدس من أيدي العرب ، فهبوا متضامنين متحدين من شتى الاقطار ، والقوا بكل ثقلهم في المعركة ، ظانين انهم يهزمون المسلمين بسهولة ، وما حققوا ذلك ؛ ويستنجد صلاح الدين الايوبي — بطل الحروب الصليبية — أمام الغزو الصليبي بالموحدين ، وهم يمثلون الدولة الاسلامية القوية آنذاك في الجانب الغربي من بلاد الاسلام ، وتجري مراسلات بينه وبين الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ، لما راى ان المعركة اصبحت اخطر ، وانها ستحدد المصير ، فيطلب من يعقوب المنصور ان يساعده بقطع من الاسطول الموحدي الذي كان اذ ذاك من اعظم الاساطيل ؛ مما يدل على عظمة الموحدين وقوتهم في تلك الفترة . ونشير هنا الى ان الموحدين كانوا أيضا يقومون بدور يكاد يشبه دور المسلمين في المشرق ؛ فقد كان هؤلاء هنا يقومون بالدفاع عن الاندلس ضد الحملات والهجومات التي كان الاسبان قد بداوا يشنونها على اطراف البلاد ، محاولين اخراج المسلمين من تلك الديار .

ويشير بعض المؤرخين الى ان يعقوب المنصور لم يلب طلب صلاح الدين الايوبي ، اثر هذه المراسلة الاولى سنة 1189 م. وقد يكون ذلك السبب الذي ذكرناه ، هو السبب الرئيسي في عدم استجابة الخليفة الموحدي لطلب صلاح الدين ، وقد يضاف الى ذلك طبيعة المراسلة نفسها وما فيها من عبارات ، كما يرى البعض ؛ ولكن صلاح الدين ، ادراكا منه لاهمية المعركة التي يخوضها المسلمون ، وللروح

التضامنية التي سادت والفت بين المسلمين عبر العصور ، عاد في العام التالي فكرر المراسلة ، وهنا يختلف المؤرخون ايضا ، ويرى بعضهم ان يعقوب المنصور لم يستجب لطلب صلاح الدين على الرغم من تفهمه للموقف والحالة السائدة في المشرق ، لانه كما ذكرنا كان مهتما بمحاربة الاسبان المغيرين على اطراف بلاد الاندلس . ولكن بعض المؤرخين ، وعلى راسهم ابن خلدون ، يرون ان الخليفة الموحدى ، سارع الى مساعدة صلاح الدين ، فأرسل قطعا من أسطوله الجهادى ، قدرت بحوالى مائة وثمانين سفينة ، لعبت دورا رئيسيا في صد الصليبيين عن السواحل المشرقية ولا سيما سواحل بلاد الشام وموانئها ، وردتهم على اعقابهم .

واذا كان ذلك ما حدث على الصعيد الرسمى ، فان المغاربة والاندلسيين ، تدفعهم الحماسة وروح الجهاد والتضامن ، كانوا في الخطوط الامامية للمعركة ، جنبا الى جنب مع اخوانهم المشارقة . كان المغاربة والاندلسيون يتجهون الى الحج الى بيت الله ، وفي طريقهم كانوا يقفون على ظروف المعركة ، فيشاركون فيها الى جانب اخوانهم هناك ، وتحتفظ كتب التاريخ باسماء العديد من الشخصيات المجاهدة، منهم العلماء والفقهاء والقضاة والادباء ، وغيرهم من عامة الناس ، وفي ذلك خير دليل على شيوع روح التضامن والتضحية ، والوعى الكامل بالواجب المقدس .

ويكفى ان نتصفح بعض كتب التاريخ والتراجم ، لنقف على ذلك ، ونذكر على سبيل المثال : ابا الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البلوى المالقى الاندلسى (529 هـ — 604 هـ) موافق (1135 — 1207 م) ، وهو من علماء اللغة والادب ، ولد وتوفى بمالقة ، وتولى فيها الخطابة ، يقول عنه الحافظ المنذرى : كان احد الزهاد المشهورين . . . لم تفته غزوة في البر ولا في البحر . ويقول عنه ابن الابار انه غزا عدة غزوات مع المنصور الموحدى بالمغرب ، ومع صلاح الدين الايوبى بالشام .

وكثيرا ما عانى المغاربة والاندلسيون المجاهدون مثل اخوانهم المشارقة الالام والويلات ، فاستشهدوا ، وجرحوا ، واسر منهم الكثير .

غير ان الاسرى من هذه الديار ، وان كانوا غرباء ، ليس لهم من يفتديهم من اقربائهم ، كانوا يثيرون عطف المشارقة ، مما يدل على الاعتراف بهذه التضحية ، وتلك مأثرة تسجل للمشارقة ايضا تضاهى مأثرة المغاربة .

يحدثنا الرحالة ابن جبير (540 هـ — 614 هـ) في رحلته ، التى زار فيها عدة بلدان مثل مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية وغيرها ، عن الحروب الصليبية ، وما كان المشارقة يقومون به في سبيل افتداء الاسرى من المغاربة ، وكلامه حقا يغنى عن كل تعليق او ايضاح ، ذلك أنه يدل على ما يريد رحالتنا ابن جبير أن ينقله الينا مما اثار انتباهه ونال اعجابه ، يقول :

« ومن جميل صنع الله لاسرى المغاربة بهذه البلاد الشامية الافرنجية ، ان كل من يخرج من ماله وصية من المسلمين بهذه الجهات الشامية وسواها ، انما يعينها في افتكاك المغاربة خاصة ، لبعدهم عن بلادهم ، وانهم لا مخلص لهم سوى ذلك بعد الله عز وجل ، فهم الغرباء المنقطعون عن بلادهم . فملوك اهل هذه الجهات من المسلمين والخواتين من النساء واهل اليسار والثراء انما ينفقون أموالهم في هذه السبيل ، وقد كان نور الدين (1) رحمه الله نذر في مرضة اصابته تفريق اثنى عشر الف دينار في فداء اسرى من المغاربة ، فلما استبل من مرضه ارسل في فدائهم ، فسيق فيهم نفر ليسوا من المغاربة وكانوا من جملة عمالته ، فأمر بصرفهم واخراج عوض عنهم من المغاربة ، وقال : « هؤلاء يفتكهم اهلوهم وجيرانهم، والمغاربة غرباء لا اهل لهم » . فانظر الى لطيف صنع الله تعالى لهذا الصنف المغربى » .

وهذه السنة الكريمة التى اثارت انتباه ابن جبير فسجلها مشكورا تظهران روح التضامن والتآخى والمساعدة والتضحية اشراقة تملأ نفوس المسلمين ، وذلك الحرص من طرف المشارقة على افتداء المغاربة اولا ، سنة حميدة استنها المشارقة هناك اعترافا بفضل المغاربة وبالدور البطولى الذى يقومون به ، مما يزيد من تمتين روح الاخوة ويقوى الروابط ويزرع الحب المتبادل ، وهم بذلك ايضا يتقربون الى الله

---

(1) هو محمود نور الدين بن عماد الدين زنكى، ملك حلب بعد مقتل ابيه ، وانتهت دولته سنة 577 هـ على يد الايوبيين ، ويعتبر نور الدين استاذ صلاح الدين الايوبى ، كان له ولابيه جهاد مشكور ضد الصليبيين ، شأنهما في ذلك شأن صلاح الدين ، وقد بنى كثيرا من الحصون والمساجد .

تعالى ، كما ان عمل المغاربة جهاد شريف فى سبيـل اللـــه .

واليوم ، يعيد التاريخ نفسه ، القدس يتعرض للعدوان الصهيونى ، ويعتدى الصهاينـة على بـلاد الشام ، ومصر ، ويذيقون الفلسطينيين الوان العذاب ويحرمونهم من اهليهم وارضهم ويشردونهم ، فاذا نحن جميعا فى الهم شرق ، كما يقـول الشاعر ، ويسارع المغاربة الى احياء وتجديد روح التآخى والتضامن ، وتنـبعث فيهم روح الجهاد والتضحيـة ، فيحملـون السلاح ، وتروى دماؤهم بقعا طاهرة روتهـا دمـاء اجدادهم فى القديم ، فيمتزج الدمان ويتحدان ويكونان رمزا خالدا للبطولة العربية ، ويتبرع من لم يحمـل السلاح من اخوانهم واقربائهم بالمال والدم ، وتشغلهم اخبار المعركة عما عداها ، وتمـلأ كيـانهم الادعية والابتهالات ، وهكذا يشارك المغاربة فى تحرير اجزاء مهمة ومواقع استراتيجية من البلاد العربية ، ويسارع المواطنون الى الثكنات للتطوع واداء الواجب المقدس، ويعترف المشارقة بهذا الجميل ، فيحمدون للمغاربـة فعلهم وصنيعهم ، ويـأبى المشارقـة الا ان يعلنـوا استعدادهم لرد هذا الجميل ، فيعلن العديد منهم عن الاستعداد للمشاركة الى جانب المغاربة فى تحريـــر الاجزاء التي لا زالت تحت سيطرة وادارة الاستعمار الاسباني من الارض المغربية الكريمة .

تضامن فى القديم والحديث ، وروح عالية تبرهن على حقيقـة الدين الاسلامى الذى يوحـد المسلمين تحت لواء جامعة اسلامية امتدت منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى اليوم ، وستزداد قوة وتماسكا ، مما يـدل على ان المسلمين مثلهم كمثـل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائـر الاعضاء بالسهر والحمى ، وفى ذلك برهان على ان الخلافات ما هى الا مظاهر لا تعبر عن الحقيقة . فمزيدا من التضامن ، ومزيدا من التآخى والاتحاد ، فها هى انوار الفجـر الجديد الملوء خيرا وحريـة ورفاهية تطـل على كل شبر من الارض العربية الكريمة .

مكناس : علي لغزيوي



أسماء لمعت



للاستاذ فاروق حمادة

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رؤوف بالعباد »

يقترب الانسان من الكمال بسلوك طريقه ، والمجاهدة فيه ، والوصول الى درجة فى هذا السلم الرفيع ليس بالامر السهل والشيء الهين انه عزيمة وتحمل وصبر ومصابرة ...

وانه ليهون على المرء المضي فى طريق الكمال (وقوامه الايمان ومستلزماته) انه يرى نماذج قد سلكته قبله وقطعت فيه اشواطا ووصلت فيه مرحلة عالية رفيعة .

وليس هناك كمال بغير عقيدة وايمان ، ولا عقيدة ارفع من التى ارتضاها لنا خالق الارض والسماء لقد سلك طريقها رعيل وتحمل مشاقها جيل فكانوا فى الارض ائمة الهدى ونجوم الدجى ومصابيح الظلام وصفهم الله سبحانه بأفضل الصفات واثنى عليهم صاحب الرسالة صلوات الله عليه اجل الثناء ، اثنى عليهم جماعة ، واثنى عليهم فرادى : كقوله عليه الصلاة والسلام : مثل اصحابي فى امتى مثل النجوم ، فبأيهم اقتديتم اهتديتم (1)

كانوا نجوما تضيء السبيل امام ركب المؤمنين فى رحلته الايمانية الطويلة ، وذلك فى اعمالهم والتزامهم برسالتهم التى ضحوا من اجلها بكل ما يملكون حتى بأرواحهم ، وفى ذكرى الهجرة العطرة التي كانت سبيلا لنصرة الحق ، ومنعطفا خيرا فى تاريخ بنى البشر ، نجد ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هم اولو السبق والفوز فى مضمار التضحية والايمان ولم يحدثنا تاريخ بني البشر عن حواري نبي ما نقله عن حوارى رسول الله صلى **الله عليه وسلم .**

وانى ذاكر نماذج من مظهر ايمانهم الذى لا يدرك غوره مما يتصل باحداث الهجرة الغراء ومما بقى محفوظا تناقلته الاجيال عبر السنين وستناقله الى ما شاء الله وسأكتفى ببعض الاسماء التى كانت هجرتها موضع عبرة فى حياة صاخبة كالتى نعيش وكان موضع اعتزاز للايمان فى كل زمان

ابو سلمة بن عبد الاسد : انضوى لركب النبى صلى الله عليه وسلم حين لم يكن معه الا قليل ، فكان من السابقين الاولين اسلم قبله عشرة من الناس — على ما ذكره ابن اسحق ، وكان يمت للرسول صلى الله عليه وسلم بأخوة الرضاعة ، وعاش مع الدعوة ايامها الحوالك فى مكة عندما عز النصير ، ولما بدأ النفر المسلمون بالبحث عن مخرج من ازمة الايمان التى تعيشها دعوتهم ، فهاجر من هاجر منهم الى الحبشة ، وبدأوا يفكرون فى مكان آخر ، فكان ابو سلمة أول المتوجهين الى المدينة ، وكان ذلك قبل بيعة العقبة بسنة . ويحكى لنا محمد بن اسحق هجرة ابى

1) اخرج الدار قطنى وابن عبد البر من حديث ابن عمر ، وقد روى معناه من حديث انس ، وفى اسانيدها مقال ، لكن يشد بعضها بعضا وحسنه الحافظ الصاغانى وغيره .

سلمة كيف تمت ، عن ام سلمة رضى الله عنها ، قالت : لما اجمع ابو سلمة رضى الله عنه الخروج الى المدينة رحل لى بعيره ثم حملنى عليه وجعلنى عليه وجعل معى ابنى سلمة بن ابى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره ، فلما راته رجال بنى المغيرة ، قاموا اليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ارايت صاحبتنا هذه علام نترك تسيرها فى البلاد فنزعوا خطام البعير من يده واخذونى منه ، قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط ابى سلمة وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا . قالت فتجاذبوا ابنى سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى الى المدينة ؛ قالت ففرق بينى وبين زوجي وبين ابني قالت : فكنت اخرج فى كل غداة فاجلس فى الابطح ، فما ازال ابكي حتى امسى سنة او قريبا منها حتى مر بى رجل من بنى عمى احد بنى المغيرة ، فراى مابى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : الا تخرجون هذه المسكينة ، فرقتم بينها وبين ولدها ، وبين زوجها ؟ قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك ان شئت ، قالت : فرد بنو عبد الاسد الى عند ذلك ولدى ، وارتحلت بعيري ، ثم وضعت ابنى فى حجرى ، ثم خرجت اريد زوجى بالمدينة قالت : وما معى احد من خلق الله حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن ابى طلحة (2) فقال : الى اين يا ابنة ابى امية ؟ قلت : اريد زوجى بالمدينة . فقال : اومعك احد ؟ قلت : ما معى احد الا الله وبني هذا فقال : والله مالك من مترك ، فاخذ بخطام البعير وانطلق معى يهوي بى ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط ارى انه اكرم منه .

كان اذا بلغ المنزل اناخ بي ثم استاخر حتى اذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ، ثم قيده فى الشجر ثم تنحى الى شجرة فاضطجع تحتها . فاذا دنا الرواح قام الى بعيرى فقدمه فرحله ، ثم استأخر عنى وقال : اركبى فاذا ركبت فاستويت على بعيرى اتى فاخذ بخطامه فقادني حتى ينزل به ... حتى اقدمني قباء فقال : زوجك فى هذه القرية ، ادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا .

فكانت ام سلمة رضى الله عنها تقول : ما أعلم اهل بيت فى الاسلام اصابهم ما اصاب آل ابي سلمة .. ! انه الاخلاص لله ورسوله .. ! هكذا عاشت اسرة ابى سلمة فى جهاد دائم قبل الهجرة وبعدها حتى اكرم الله ابا سلمة بشهادة واكرم ام سلمة ان تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كبر سنها وعائلتها لسابقتها فى الاسلام وبذلها فى سبيل الله .

صهيب بن سنان الرومى : عربى النسب ، سبى صغيرا فنشأ فى الروم ، ثم اشتراه رجل من كلب ، فباعه بمكة لعبد الله بن جدعان — وقيل هرب وحالف عبد الله بن جدعان .

اسلم مع المستضعفين من المؤمنين ، اسلم هو وعمار وعذب كعمار فى الله فلم يرتد عن دينه ، وقد كانت له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحبة قبل مبعثة — كما اخرج ذلك ابن عدي .

عاش فى مكة كالآخرين وجمع مالا وثروة ، حتى اذا هبت رياح الايمان تنسمها فانعشت فؤاده ونقلته الى الطمأنينة وكان أول من اعلنوا اسلامهم ستة ، وسابعهم صهيب (3) وتفيأ ظلال دعوة الاسلام الى ان اعلن مؤذن رسول الله صلى عليه وسلم بالهجرة فاراد مصاحبة النبى صلى الله عليه وسلم مع علمه بالمخاطر التى تترتبه ولكن فتيانا من قريش صدوه رضى الله عنه ، قال : فجعلت ليلتى تلك اقوم لا اقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه — ولم اكن شاكيا — فناموا حتى حانت له فرصة فخرج ، يقول رضى الله عنه .

فلحقنى ناس بعدما سرت يريدوا ايردونى فقلت لهم : ان اعطيتكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لى ؟ ففعلوا فتبعتهم الى مكة فقلت : احفروا تحت اسكفه الباب فان بها اواقى — واذهبوا الى فلانة فخذوا الحلتين وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، قبل ان يتحول منها فلما رآنى ، قال ياابى يحيى ربح البيع ، فقلت : يارسول الله ، ما سبقنى اليك احد ، وما اخبرك الا جبرائيل عليه السلام (4) ؟

وفى رواية اخرى : ان صهيبا رضى الله عنه اقبل مهاجرا نحو النبى صلى الله عليه وسلم فتبعه

---

(2) — اسلم بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد رضى الله عنهما .

(3) — ذكره ابن سعد ، وابن عيينه فى تفسيره .

(4) — اخرجه البيهقى وابو تميم فى الحلية ، والطبرانى وغيرهم .

نفر من قريش مشركون ، فنزل فانتشل كنانته ، فقال : قد علمتم يامعشر قريش ، انى ارماكم رجلا بسهم ، وايم الله لاتصلون الى حتى ارميكم بكل سهم فى كنانتى ثم اضربكم بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء ، ثم شانكم بعد ذلك وان شئتم دللتكم على مالى بمكة ، وتخلوا سبيلى ؟ قالوا : نعم ، فتعاهدوا على ذلك فدلهم ، فانزل الله على رسوله القرآن (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ..) الآية ، فاستقبله عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة الى طرف الحرة فقالوا : ربح البيع يا ابا يحيى !! فقال : وانتم لا اخسر الله تجارتكم (5)

وانه لتجرد الايمان الخالص عن متاع الدنيا الفانى فيترفع عنه .

ويصل صهيب الى النبى صلى الله عليه وسلم فى قباء وهو ارمد العينين ويجد الصحابة وهم متجمعون حول النبى صلى الله عليه وسلم يتناولون الرطب والتمر فيمد يده لياكل فيداعبه النبى صلى الله عليه وسلم دعابة حب الايمان ويقول له : يا صهيب اتاكل التمر على عينيك ؟! فيجيبه صهيب بفرحة اللقاء والايمان كذلك : آكل فى شق عينى الصحيحة فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه .

وعاش مع النبى صلى الله عليه وسلم يشهد المشاهد كلها ، وفى خلافة عمر رضى الله عنه اوصى عندما طعن بالخنجر الغادر ان يصلى عليه صهيب ويستمر يصلى بالناس حتى يجتمعوا على امام من الستة الذين اوصى لهم عمر رضى الله عنه (6) .

وبقى صهيب كما كان صابرا مصابرا معلما ومجاهد حتى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرفيق الاعلى سنة ثمان وثلاثين او تسع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة . ودفن رضى الله عنه بالبقيع (7)

عامر بن فهيرة : كان كذلك من السابقين الاولين للاسلام ، اسلم قبل ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ، وهو مولد من الازد ، ومملوكا للطفيل بن الحارث اخى عائشة رضى الله عنها لامها ام رومان ولما اسلم اشتراه الصديق فاعتقه ، فاصبح مولى عتاقة ، وكان يرعى عليه منيحة من غنم له . ونال التعذيب والايذاء بمكة ليرجع عن دينه ، فما نالوا منه الا الثبات والعزيمة .

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه كانت مهمة عامر بن فهيرة عظيمة : انها مسح الاثر ونقل الاخبار اليهما ، ومدهما باللبن والزاد . فكان يرعى منحة الغنم حتى يذهب ساعة من العشاء يريحها على النبى صلى الله عليه وسلم ويبيت حارسا لهما ، وفى الغلس ينعق بغنمه الى مرعاها كالمعتاد ويبقى على ذلك ليالى ، ثم انطلق معهما ومع دليلهما عبد الله اريقط . (8)
وكان من الذين نزل فيهم قوله تعالى : والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا ، لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر (9)

وبعد ان هاجر شهد بدرا واحدا وكان احد القراء الذين قتلوا ببئر معونة سنة اربع من الهجرة وهو ابن اربعين سنة ، وعن عبد الله بن كعب بن مالك ورجال من اهل العلم ان عامر بن فهيرة كان من اولئك الرهط الذين قتلوا ولم يوجد جسده ، ليدفن ، وكان يرون ان الملائكة هى التى دفنته .

ونقل ابن سعد عن الواقدى ان جبار بن سلمى الكلبى طعن عامر بن فهيرة فانفذه ، فقال عامر : فزت والله !! قال : وذهب بعامر علوا فى السماء حتى ماأراه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فان الملائكة وارت جثته وانزل فى عليين .
وسال جبار بن سلمى ما قوله : فزت والله ؟! قالوا : الجنة قال فاسلم جبار لما رآى من امر عامر بن فهيرة فحسن اسلامه (10)

---

(5) ـ اخرجه ابن سعد ، وابن عبد البر ، وابن عساكر ، وابن المنذر وغيرهم .
(6) ـ اخرجه البخارى فى التاريخ .
(7) ـ الاصابة 195/2
(8) ـ عيون الاثر
(9) ـ اخرجه ابن سعد فى الطبقات والآية من سورة النمل
(10) الطبقات لابن سعد 230/3

قوم رضى الله عنهم ، فكانوا الهداة الى اللــه احيــاء وميتين .

ابو ايوب الانصارى : ــ خالد بــن زيــد ــ وتنطلق راحلة النبى صلى الله عليه وسلم على بركة الله سبحانه وتعالى من بنى عوف نحو المدينة وتقف القبائل مرحبة برسول الله صلــى الله عليه وسلــم طالبة منه النزول كلما مر على جماعة دعــوه ويأخذون بخطام الناقة فيقول : خلوا سبيلها فانها مامورة حتى بركت عند مسجده وكان مربدا لغلامين من بنى النجار فنــزل عنهــا وتحــول مع ابــى ايــوب الانصــارى رضى الله عنه وكم كانت فرحته عظيمة ــ ان يعلم الله فــى قلوبكم خيرا يوتيكم خيرا .

وهو من السابقين شهد بيعة العقبة وبايع النبى صلى الله عليه وسلم فيها مع السبعين من الانصار .

ولما نزل عنده النبى صلى الله عليــه وسلــم اقام عنده شهرا حتى بنى مسجده وبيوته ، وكــان لابــى ايوب بيت مــن طابقين فنزل النبى صلى الله عليه وسلم الدور الاول ، وفى ذات ليلة اهريق ماء فى الغرفة ، فقام هو وام ايوب بقطيفته ليتبعــان المــاء خشيــة ان يخلص الى رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، ثم نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مشفقا يسأله ان ينتقل الى الدور الاعلى (11) .

ومن شدة حبه لرسول الله صلى الله عليــه وسلم كان حينما يرسل الطعام للنبى ويعاد اليــه يتتبع اثر اصابع الرسول صلى اللــه عليــه وسلــم ويأكله ، وفى ذات مرة لم يجد اثر اصابع النبى فــى الطعام فسأله يارسول الله مالى لا ارى اثــر اصابعك فــى الطعام ؟! فقال له : اجل ، ان فيــه بصــلا وكرهت ان آكل من اجل الملك ، واما انتــم فكلــوا وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبآثــاره فحفاظ ابو ايوب على شعرات من لحية النبى صلــى الله عليه وسلم ، وشهد معه بدرا والمشاهــد كلها ولم يتخلف عن غزوة من غزوات المسلمين فى حيــاة النبى صلى الله عليه وسلم وبقوا محافظين علــى العهد الذى فارقهم عليه رسول الله صلى الله عليــه وسلم واستمر ابو ايوب فى الجهاد بعد النبى كذلــك ولــم يتخلف الا عاما واحدا استعمل علــى الجيــش شاب (12) فتليف بعد ذلك للهجرة فقال ، ما ضرنــى من استعمل علــي ، فغزا بلاد الروم وعلــى الجيش يزيد بن معاوية ، فأتاه يعوده فقال : ما حاجتــك ؟ قال : حاجتى اذا انامت فاركب بى ما وجدت مساغا فــى ارض العدو ، فاذا لم تجد فادفنى ثم ارجــع ، فغسل ، وتوفى رضى الله عنه وارضاه سنة خمسيــن وقيل احدى وخمسين او اثنتين وخمسين وهو الاكثر ودفن عند اصل سور القسطنطينية آنئذ .

انه جيل الهجرة الذين اصبحو مرآة للمؤمنين ، ومنارا للمساكين صقلتهم الاحداث فخرجوا من الدنيا كما جاؤوها اتقياء أطهارا زهادا ، خير امة اخرجــت للناس ، ابر الامة قلوبا ، واعمقها علما واقلها تطلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ونقــل دينه « والسابقون الاولون مــن المهاجريــن والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهــار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم » .

الرباط ــ فاروق حمادة

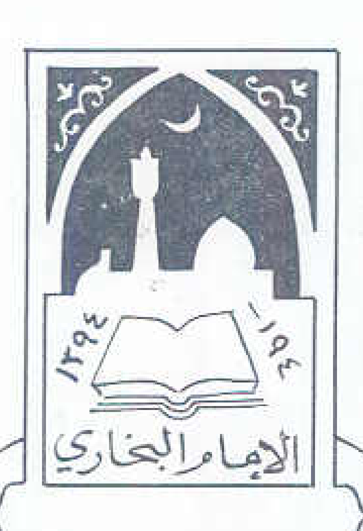
---

(11) اخرجه ابو بكــر بن ابي شيبــة وابن ابــي عاصم عن ابى رهم

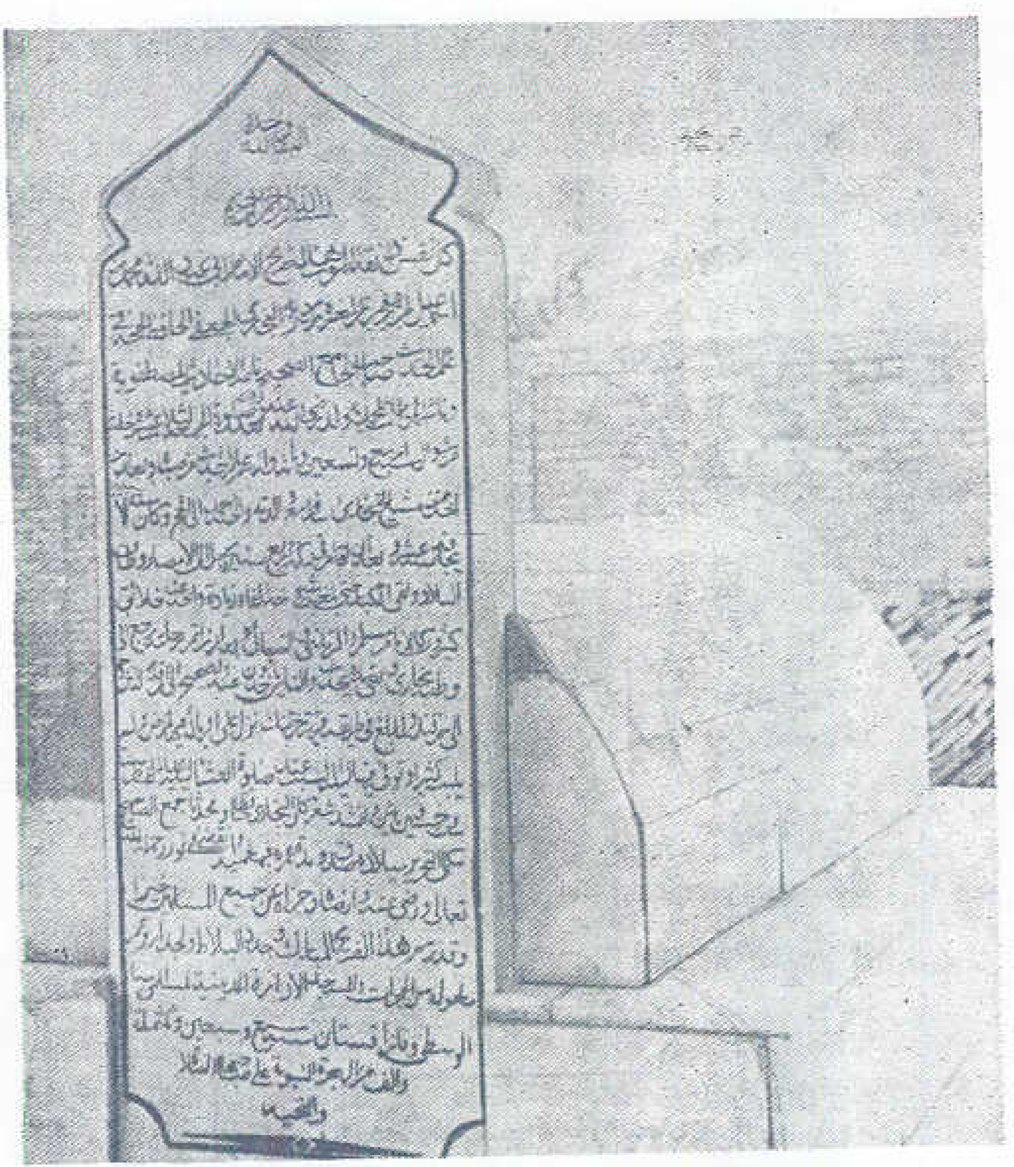
(12) هــو عبد الملك بن مروان .

مع مهرجان

الإمام البخاري



- الجامع الصحيح للامام البخاري
- الامام البخاري دعامة للفكر الاسلامي السني
- الامام البخاري والاقتصاد الاسلامي مذهبا ونظاما
- الامام البخاري والعصر الحديث
- الامام البخاري فى المغرب
- البخاري واهتمام أهل المغرب به وبالجامع الصحيح
- رباعيات الامام البخاري



ضريح الامام البخاري بقرية (خرتنك) قريبا من سمرقند ...

كنا قد اخبرنا فى العدد الماضي باننا سندرج فى اعداد لاحقة المحاضرات والدراسات التي قدمها اعضاء الوفد المغربي الذي تلقى دعوة رسمية منَ الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان لحضور مهرجان مدينة سمرقند ـ 20ـ 23 غشت 1974 ـ بمناسبة مرور اثني عشر قرنا على ميلاد أمير المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ، ونشرنا كلمة المغرب التي القاها رئيس الوفد المغربي الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله والتي كانت مسك ختام المؤتمر ، وخلاصة لبحث قيم سندرجه ضمن مواد هذا العدد .

ويسعدنا ، جدا ، أن ندرج فى هذا العدد ما سبق أن وعدنا به قراءنا الكرام بادئين بالمحاضرة العلمية الجامعة التي كان لها صدى وتقدير فى الاوساط العلمية لدى اخواننا المسلمين فى آسيا الوسطى والتي بعثها الاستاذ السيد عبد الرحمن الدكالي الذي منعته ظروف قاهرة لتلبية الدعوة الموجهة اليه .

اخذ عنه حتى الان خلال اثني عشر قرنا . وانه لمما يسعد المحدث غاية الاسعاد ، ان يبدأ بما خصت به هذه الامة المحمدية من الاسناد ، واني لاحمد الله جل جلاله وعم نواله على اني قد ارتويت من ذلك المنبع الفياض ، وتزودت من عبير تلك الرياض ، فقد قرات الجامع الصحيح كله من حديث : « انما الاعمال بالنيات » الى حديث : « كلمتان خفيفتان على اللسان » على سيدي وسندي وعمدتي والدي الحافظ المحدث المشارك المقرىء النقاعة شيخ الاسلام ، المفتي بالمذاهب الاربعة والعالم بأصولها ، المجاور اربعة عشر عاما فى الحرمين الشريفين ابي شعيب بن عبد الرحمان الصديقي الدكالي الذي اجازني هو رحمه الله بسنده عن الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر عن الشيخ منة الله .

وهكذا استطاع طلاب العلم والحديث خلال هذه القرون ، ان يرتوا من هذا المنبع الذي لا ينفد ، وان يكونوا على صلة مستمرة بالامام البخاري ليرووا « الجامع الصحيح » وليحفظوا احاديثه ، ويعنوا باسانيده ، ويستعيدوا اصول الدين والفقه . وقواعد المعاملات وآداب الاسلام من ذلك الرجل الذي ذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمروحته . واستطاع ان يؤلف اصح كتاب بعد كتاب الله بجده وجهده وعنايته وتقواه وعلو همته . وجدير بمن خرج كتابه هذا من ستمائة الف حديث ، ان يترسم خطى سيد الكائنات ، وان يتيقن ببلوغ المقاصد والغايات . لقد تحرى فى استنباط المعاني واصول الاحكام ، وعبر فى تراجم الجامع الصحيح عن تضلعه فى الفقه ، وتمكنه من اللغة ، وحري بمن بيض تراجم كتابه بين قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم ومنبره ان يقال فيها : انها تحير الافكار وتدهش العقول والابصار .

والحقيقة التي لا مراء فيها هي ان تراجمه تدل على انه يعلم قارىء جامعه الصحيح العناية بالتفهم فيما يقصد اليه ، ومقاصده فى هذا الباب يضيق عنها المقام. لقد ذكر الحافظ ابن حجر ان العلامة ناصر الدين احمد بن المنير قد جمع اربعمائة ترجمة ، وتكلم عليها، ولخصها القاضي بدر الدين بن جماعة ، وتكلم على ذلك ايضا بعض المغاربة ، وهو محمد بن منصور بن حمامة السجلماسي . وقد قيل قديما : « فقه البخاري فى تراجمه » .

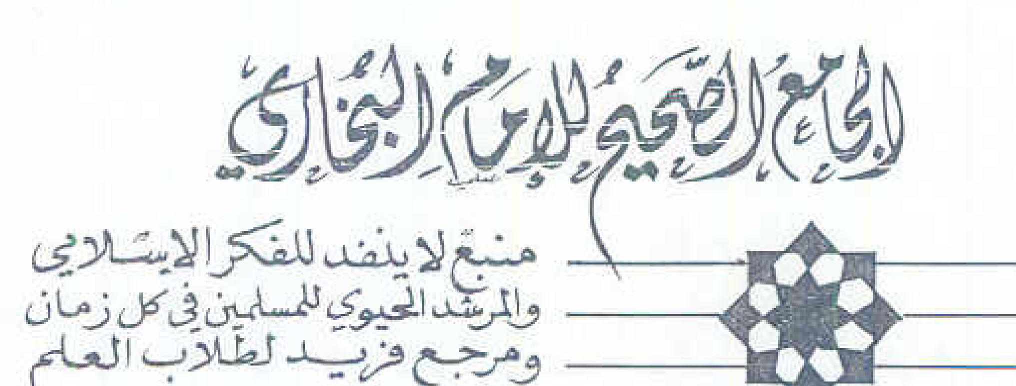
اما فضائل « الجامع الصحيح » فيكفي ان نسوق كدليل عليها : ما قاله ابو الهيثم الكشميهني : سمعت الفربري يقول سمعت محمد ابن اسماعيل البخاري يقول : ما وضعت فى كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين . وعنه رضي الله عنه قال : صنفت الجامع فى ستمائة ألف حديث فى ست عشرة سنة ، وجعلته حجة بيني وبين الله . وروي عنه انه قال : « صنفت كتابي الجامع فى الحرم وما ادخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين ، وتيقنت صحته . فما من امة اسلامية فى مشارق الارض ومغاربها الا عنيت بصحيح الامام البخاري رواية ودراية وحفظا . وكم من بيوت لله اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه اجتمع فيها الناس على العلماء الذين يسردون « الجامع الصحيح » او يشرحون ما ورد فيه من احاديث ويستدلون بها على مآخذ الائمة الاربعة وغيرهم . وقد حضرت بنفسي فى الازهر الشريف دروسا فى الصحيح على فضيلة مفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت وعلى شيخ الجامع الازهر الشيخ احمد الظواهري وشيخ الجامع الازهر الشيخ مصطفى المراغي . وفى ضريح سيدنا الحسين بالقاهرة على الشيخ السلموطي ، وفى المسجد الاموي بدمشق الفيحاء على حافظ الشام العلامة المعمر الشيخ بدر الدين الخطابي الذي اجازني بسائر مروياته رحمه الله .

أما عدد احاديث هذا الجامع الصحيح فقد قال الشيخ تقي الدين بن الصلاح عدد احاديث صحيح البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون بالاحاديث المتكررة ، وقال انها باسقاط المكرر اربعة آلاف :

جميع أحاديث الصحيح الذي روى الـ ـــبخاري خمس ثم سبعون للعـد
وسبعة آلاف تضاف وما مضى الى مائتين عد ذاك أولو الجد

وقد حقق من استوعب كل باب من ابوابه بذكر عدد ما فيه من الاحاديث انها بلغت تسعة آلاف واثنين وثمانين حديثا بالمكرر ، وهذه خارجة عن الموقوفات على الصحابة رضوان الله عليهم ، والمقطوعات عن التابعين فمن بعدهم .

أما مشايخ البخاري الذين كتب عنهم وحدث عنهم فقد بلغوا الفا وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث ، كما نقل ذلك عنه .



للاستاذ عبد الرحمن بن ابي شعيب الدكالي

الحمد لله رافع قدر اهل الحديث ، المحسن وجوههم في القديم والحديث .

والصلاة والسلام على القائل : « ليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ اوعى له من سامع » وعلى آله واصحابه وكل من لهم بالخيرات تابع .

اما بعد ، فاني أحيي هذه الذكرى الخالدة التي تشد اليها الرحال ، وتحمد مساعي الذين دعوا اليها بكل لسان ومقال .

ذكرى تدوم على مدى الازمان
مشمولة برعاية الرحمان

ذكرى تنير لنا الطريق الى العلا
في خدمة الاسلام والاوطان

ذكرى تذكرنا بأننا امة
نشرت لواء العدل والعرفان

تدجو الخطوب وليلها مستصبح
بالغرة البيضاء من عدنان

واحيي بتحية الله تحية الاسلام ، اخواني علماء الامة الاسلامية الاعلام ، الذين يرفعون راية الكتاب والسنة على مدى السنين والاعوام .

واسمحوا لي أيها العلماء الاخوان ، الذين جمعتكم كلمة الاسلام في هذا الزمان والمكان، أن اخاطب الامام البخاري فاقول له : ان الله سبحانه قد جازاك احسن الجزاء ، فاجزل لك من ملايين عباده المدح والثناء . ومعلوم ان « من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة » .. لقد استطعت ايها المحدث الكبير ، والعلم الشهير ، والحافظ النحرير ، ان تقيم أسس تلك المدرسة المحمدية ، التي انشات للعالم رجالا أصبحوا في عقولهم وعدلهم وعلمهم وحضارتهم ومدنيتهم موضع الاستغراب ، على توالي القرون والاحقاب . اعتصموا بالصبر وتحلوا بالشجاعة والكرم والنجدة والوفاء ، وعرفوا معنى الحرية والعدالة والمساواة والاخاء . واقاموا اركان المجتمع الانساني على ما يضمن له كامل السعادة لو هدي الى صراط مستقيم . وما هذه البحوث والدراسات التي تسيل بها أسنة الاقلام يحدوها الاخلاص الى الله في القول والعمل ، والتي هي أمضى في تأثيرها من اسنة الاسل ، الا مواد تزود بها مدرستك التي اسستها على هدى من الله وتقوى .

فسلام الله ورحمته وبركاته عليك يوم ولدت ويوم هاجرت ويوم مت ويوم تبعث حيا .

سادتي باختياري لموضوع : « الجامع الصحيح للامام البخاري منبع لا ينفد للفكر الاسلامي ، والمرشد الحيوي للمسلمين في كل زمان ، ومرجع فريد لطلاب العلم » . لا بد ان اتقدم قبل كل شيء باثبات الصلة المتينة بين الامام الحافظ الحجة امير المومنين في الحديث ابي عبد الله سيدي محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي رحمه الله ورضي عنه ، وبين الاجيال التي تعاقبت منذ

حفظا ويتقنها اسنادا وربما عاد الى بلاد واحدة مرارا وتكرارا يلاقي في ذلك ما يلاقي في الجمع والتصحيح رضي الله عنه وارضاه .

هذا ولم يعن علماء الاسلام بكتاب بعد القرآن كما عنوا بصحيح الامام البخاري حتى بلغ الذين كتبوا حوله ما بين شروح ومختصرات وتراجم رجال عددا كبيرا جدا ، وحسبك أن تعلم أن عدد شروحه فحسب بلغ اثنين وثمانين شرحا ، كما ذكر ذلك صاحب كشف الظنون ، ومن أشهر هذه الشروح اربعة : شرح الامام بدر الدين الزركشي واسمه التنقيح (794) والعلامة العيني الحنفي (855) في عمدة القاري ، والجلال السيوط (911) في التوشيح ، ولكن لا هجرة بعد الفتح ، فشيخ الاسلام الحافظ احمد بن حجر العسقلاني (852) في فتح الباري هو بؤبؤها وابن بجدتها ، وكثيرا ما سمعنا شيوخنا من الحفاظ الكبار يقولون فيه :

اذا قالت حذام فصدقوها

فان القول ما قالت حذام

الجامع الصحيح للامام البخاري في المغرب

تيمنا بما « للجامع الصحيح » في بلادي من عناية فائقة يسعدني ان اقول بان المولى ادريس بن عبد الله ابن الحسن الكامل الذي فتح المغرب ونشر فيه الاسلام قد روى الامام البخاري في كتاب التوحيد من الجامع الصحيح في باب قول الله تعالى : « قل هو القادر » أنه حدثه ابراهيم بن المنذر ، قال حدثنا معن ابن عيسى ، قال حدثني عبد الرحمن بن ابي الموالي ، قال : سمعت محمد بن المنكدر يحدث عن عبد الله بن الحسن يقول اخبرني جابر بن عبد الله السلمي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الامور كلها كما يعلم السورة من القرآن. ان سيدنا عبد الله بن الحسن هذا هو والد المولى ادريس الاكبر ، قال القسطلاني في الارشاد عبد الله بن الحسن هذا ليس له ذكر في البخاري الا في هذا الموضع ، وفي التقريب عبد الله بن الحسن بن الحسن الهاشمي المدني ثقة جليل القدر ، وفي الخلاصة وثقه ابن معين وابو حاتم وروى عنه يزيد بن الهادي ، وليث ابن سليم ، ومالك ، والثوري ، ومات سنة خمس واربعين ومائة . كان رضي الله عنه شيخ بني هاشم في وقته ، وسيدا في قريش جم الفضائل كثير النسك والعبادة ويلقب بالكامل ، وفي الشفا للقاضي عياض روي عن عبد الله بن الحسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي : اذا كانت لك حاجة فارسل الي واكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي . وهو من التابعين ، قال ابن سعد في طبقاته هو من الطبقة الرابعة من التابعين ، وقال غيره هو من صغار التابعين .

ايها الاخوان الافاضل ، ان صحيح الامام البخاري يسرد دائما في ضريح المولى ادريس الاكبر وان ختم الصحيح في ليلة السابع والعشرين من رمضان يحضره كبار العلماء وهو مشهد من اجل المشاهد واسناها ، وقد كان لي منذ سبعة عشر سنة شرف ختم الجامع الصحيح بضريح المولى ادريس الاكبر في مشهد عظيم حضره كثير من الفقهاء والعلماء وما اظن ان قطرا اسلاميا سارع الى الاعتماد على « الجامع الصحيح » في دراسة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عملا بقوله عليه الصلاة والسلام « الا واني اوتيت القرآن ومثله معه » . وقوله كذلك « يوشك احدكم ان يجلس على اريكته يأتيه الامر من امري فيقول : لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا ، الا وان ما احل رسول الله هو ما احل الله ، وان ما حرم رسول الله هو ما حرم الله » .

فمنذ أسست أول جامعة في الدنيا الا وهي جامعة القرويين بفاس علت فيها اصوات المحدثين الذين انتدبوا بتدريس « الجامع الصحيح » وغيره من كتب الحديث،وكذلك الحال في جامعة ابن يوسف بمدينة مراكش حتى عم ذلك جميع مساجد المغرب،ويرجع الفضل في ذلك الى الملوك الذين تعاقبوا على عرش المغرب من ادارسة ومرابطين ، وموحدين ، ومرينيين ، وسعديين ، وعلويين فكلهم كانوا يعقدون مجالس في قصورهم يستدعى لها حفاظ الحديث سواء من داخل المغرب أو خارجه ، ويناقشون هم بأنفسهم العلماء في المسائل الفقهية ورواية الحديث ومعرفة المآخذ التي اعتمدها مالك والشافعي وأبو حنيفة واحمد بن حنبل. وقد نص على أن أول من أدخل رواية البخاري للمغرب هو أبو عبد الله الاصيلي المغربي . اما الحفاظ المغاربة فلا مجال لسرد أسمائهم في هذه العجالة . وقد عرف في عهد الادارسة الامام يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس بانه كان احفظ الناس لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد كان اهل الحديث على عهد المرابطين

واما الذين سمعوا منه الصحيح فقد ذكر الفربري انه سمعه عنه تسعون الفا وانه لم يبق من يرويه غيره.

قال ابن حجر : وقد اطلق ذلك بناء على مـا فى علمه وقد تأخر بعده بتسع سنين ابو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قريبة البزدوي . ومن تصانيـف الامام البخاري : 1) الادب المفرد . 2) ورفع اليدين فى الصلاة . 3) والقراءة خلف الامام . 4) وبر الوالدين 5) والتاريخ الكبيـر . 6) والتاريـخ الاوسـط . 7) والتاريخ الصغير . 8) وخلق افعـال العبـاد . 9) وكتاب الضعفاء . ومن تصانيفه ايضا : 10) الجامع الكبير . 11) والتفسير الكبير . 12) والمسند الكبير 13) وكتاب الاشربة . 14) وكتاب الهبة . 15) واسامي الصحابة . 16) وكتاب الوحـدان . 17) وكتـاب المبسـوط . 18) وكتاب العلل . 19) وكتاب الكنى . 20) وكتاب الفوائد .

— * —

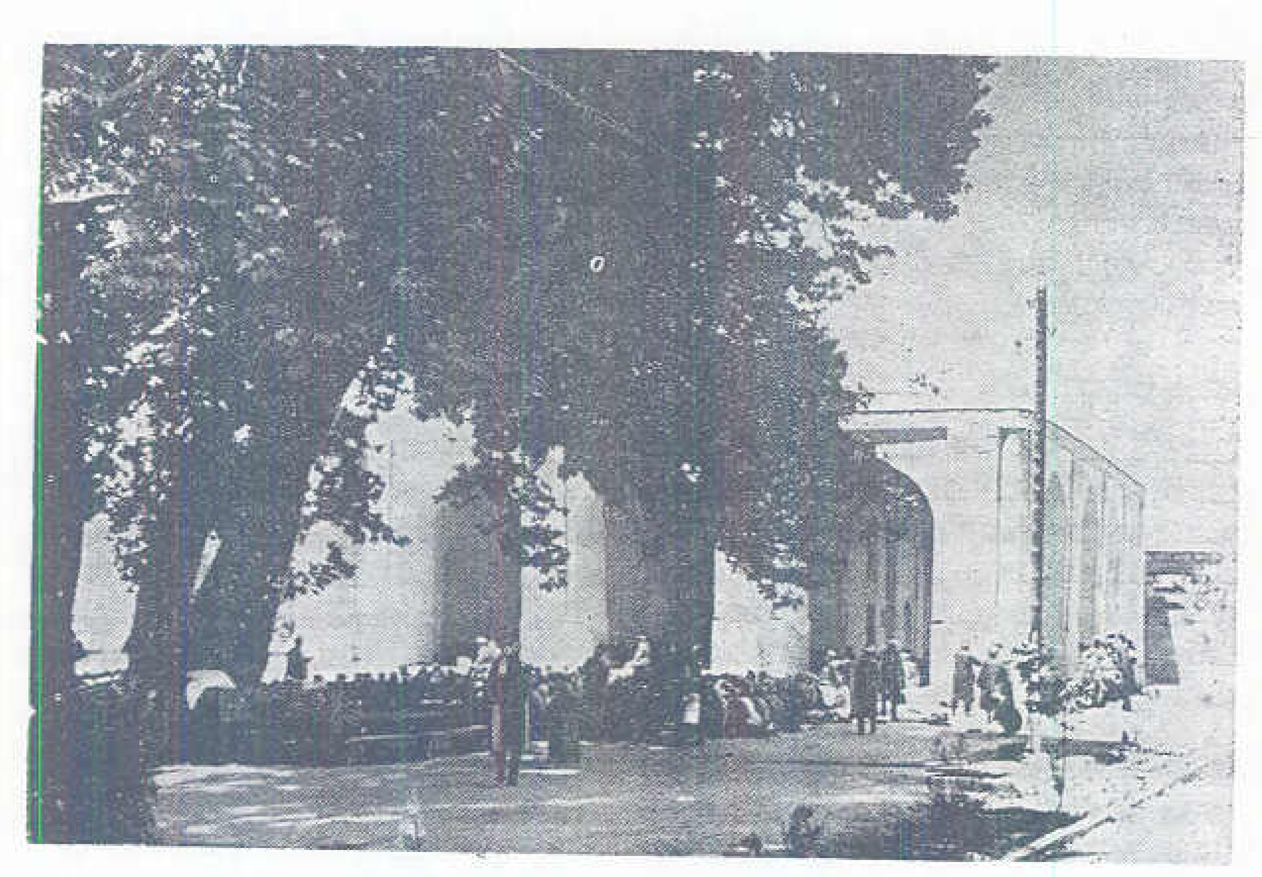
لقد كان الامام البخاري رحمه الله آية فى الحفظ فقد قال ابو احمد بن عدي الحافظ سمعت عدة مـن مشايخ بغداد يقولون : ان محمد بن اسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به اصحاب الحديث فاجتمعوا وارادوا امتحان حفظه فعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونهـا واسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخـر ، واسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوهـا الى عشـرة انفس ، لكل رجل عشرة احاديث ، وامروهم اذا حضروا المجلس ان يلقوا ذلك على البخاري ، واخذوا عليـه الموعد للمجلس فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من اهل خراسان وغيرهم من البغداديين فلما اطمـأن المجلس باهله انتدب رجل من العشرة فسأله عـن حديث من تلك الاحاديث ، فقال البخاري لا اعرفه . فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتـى فـرغ والبخاري يقول لا أعرفه . وكان العلماء ممن حضـر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولـون : فهـم الرجل . ومن كان لم يدر القصة يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ . ثم انتدب رجل مـن العشر ايضا فسأله عن حديث من تلـك الاحاديـث المقلوبة فقال لا اعرفه . فسألـه عن آخـر فقال لا اعرفه . فلم يزل يلقي عليه واحدا واحدا حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا اعرفه . ثم انتدب الثالث والرابع الى تمام العشرة ، حتى فرغوا كلهم من القاء تلك الاحاديث المقلوبة ، والبخاري لا يزيدهم على لا اعرفه . فلما علم انهم قد فرغوا ، التفـت الى الاول فقال : اما حديثك الاول فقلت كذا وصوابـه كـذا ، وحديثك الثاني كذا وصوابه كذا ، والثالث والرابـع على الولاء حتى اتى على تمام العشرة . فرد كل متن الى اسناده ، وكل اسناد الى متنه ، وفعل بالآخرين مثل ذلك ، فاقر الناس له بالحفـظ ، واذعنوا لـه بالفضل . قال الحافظ ابن حجـر فى المقدمـة .

(قلت) هنا يخضع للبخاري . فما العجـب من رده الخطا الى الصواب فانه كان حافظا ، بل العجب من حفظه للخطا على ترتيب ما القوه عليه من مرة واحدة .

وقال سليم بن مجاهد : قال لي محمد ابن اسماعيل لا اجيء بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد اكثرهم ووفاتهم ومساكنهم . وقال محمد ابن حمدويه سمعت البخاري يقول احفظ مائة الف حديث صحيح ، واحفظ مائتي الف حديث غير صحيح . والكلام فى هذا يقضي وقتا طويلا ، فها هو قتيبة بن سعد يقول : جالسـت الفقهاء والزهاد والعباد ، فما رايت منذ عقلت مثل محمد بن اسماعيل وهو فى زمانـه كعمـر فى الصحابة . وقال احمد بن حنبل ما اخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل رواها الخطيب بسند صحيح عن عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه . وقال يعقوب ابن ابراهيم الدورقي ونعيم بن حماد الخزاعي : محمد ابن اسماعيـل البخـاري فقيـه هـذه الامـة . وقال بندار محمد بن بشار : هو افقه خلـق الله فى زماننا . وقال امام الائمة ابو بكر محمد بن اسحـاق ابن خزيمة : ما تحت اديم السماء اعلم بالحديث من محمد بن اسماعيل ، وقال ابو عيسى الترمذي : لم ار اعلم بالعلل والاسانيد من محمد بن اسماعيل البخاري ، وقال له مسلم : اشهد انه ليس فى الدنيا مثلك ، وقبله بين عينيه وطلب منه ان يقبل رجليه .

— * —

وهنا لا بد من الوقوف على آية فى كتـاب الله تعالى وهي قوله سبحانه : « فلولا نفر من كل فرقـة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهـم ، الآية » . والى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم من احاديث شريفة « من سلك طريقا يطلب بـه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » « ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضي بما يصنع » وان العالـم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان فى البحر ، وانـه يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء فلا يعدل احدهمـا الآخر ، وان عالما واحدا اشد على الشيطان من الف عابد » . نعم ، من هنا نرى اندفاع الامام البخاري الى الهجرة فى طلب العلم ؛ فلقد رحل الى نيسابور والري والعراق والبصرة والكوفة ومكة والمدينة وبلخ ومرو ومصر ودمشق وقيسارية وحمص وعسقلان ، وقضى ست عشرة سنة متنقلا يجمع الاحاديث ويستوعبهـا



صـلاة الجمعـة فى مسجد الامـام البخـاري

حملة اسفار ، ونقلة اخبار كما ذكر ذلك المؤرخ ابن خلدون . وكلنا نعلم انه كان هناك كثير من الحفاظ ، منهم الحافظ ابو عبد الله محمد بن الطلاع ، وكذلك الحافظ ابو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي الذي كانت له صلة بالامام ابى الحسن اللخمي وغيره من كبار المحدثين ، والفقيه القاضي ابو قاسم بن حمدين . ومعلوم ان الأمير يوسف بن تاشفين كان كأبيه لا يتعدى اشارة العلماء ، بل كان يعتمد عليهم في كل شيء وقد كان للفقيه ابي العباس احمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف مكانته . وكان في عهد المرابطين العلامة ابو ينور عبد الله المشتراءي وهو من اشياخ بي شعيب ايوب السارية دفين مدينة ازمور .

واما الموحدون فقد كان المهدي بن عبد الله بن تومرت رحل الى الحجاز وارتحل في طلب العلم على راس المائة الخامسة وحج ودخل العراق ، ولقي به جملة من العلماء وفحول النظار ، واستفاد علما واسعا ، ولقي ابا حامد الغزالي والبالهراسي والطرطوشي وغيرهم ، واقام بمكة مدة مديدة ، وحصل قدرا صحيحا من علم الشريعة والحديث النبوي واصول الفقه والدين ، واقام كذلك بمصر . قال ابن خلدون : انطوى المهدى راجعا الى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين . وكان قد لقي بالمشرق ائمة الاشعرية من اهل السنة ، واخذ عنهم واستحسن طريقهم .

وهكذا كان الموحدون يجالسون العلماء ، ولا يعتمدون الا على كتب الحديث وفي طليعتها « الجامع الصحيح » . ومن اشهر الحفاظ من ملوك الموحدين انفسهم يوسف بن عبد المومن الذى كان يحفظ الصحيحين ، وابنه ابراهيم الذى ذكره صاحب المعجب حيث قال : لم ار من العلماء بعلم الاثر انقل منهم له ، ويعقوب المنصور الذى كان يحفظ متون الحديث وابنه الناصر والمأمون الذي كان معدودا من الحفاظ وتميز بعنايته بسرد البخارى بنفسه ، وكان ملوك الموحدين يحملون في اسفارهم المصحف العثماني ، وجميع كتب الحديث .

وقد اشتهر في هذه المدة ابن المواق المراكشي الفاسي المحدث الحافظ الذى شرح مقدمتي الصحيحين والموطأ . كما اشتهر القاضي عياض من اكبر محدثي الدنيا ، وابو الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي زعيم مدرسة الحديث في التصوف

وعبد الله بن محمد التادلى الفاسي تلميذ القاضي عياض ، وابو عبد الله بن محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسى تلميذ الشاطبى ، وعبد الجليل القصرى محدث فاس وصاحب كتاب شعب الايمان ، وابو الخطاب بن دحية الكلبي الحافظ الشهير . وقد حدث بالمغرب والأندلس وتونس والمشرق ، وابو الحسن السبتي وكانت له بنت محدثة مسندة ، وهي ام المجد مريم ، وابو العباس بن فرتون ، وابو القاسم السبتي رئيس مدرسة الحديث بسبتة ، واول من وضع المولد النبوي بالمغرب . اما المرينيون فقد اشتهر منهم ابو الحسن وابو عنان بالعناية بالحديث ، وتأسست على عهدهم المدارس والزوايا والخزائن ، وطبعت الكتب وحبست ، وكانت مجالس هذين الملكين العظيمين حافلة بالعلماء الاعلام الذين استقدموا من الأندلس وافريقيا . وقد نصت كتب التاريخ ان ابا الحسن رافقه في غزوته لتونس اكثر من اربعمائة عالم . واشتهر جماعة من المحدثين والعلماء في العصر المريني منهم الامام الشريف التلمساني والمقرىء الكبير ، وابن مرزوق ، وابو عباس الشريف السبتى ، وابن رشيد السبتي ، صاحب ترجمان التراجم في تراجم الامام البخاري ، والافادة والتصحيح ، في التعريف باسناد الجامع الصحيح ، ومحمد بن احمد ابن المواق الذي ضربت الطبول على رأسه حين حدث بمصر اشادة وتنويها ، وابن الصباغ المكناسي الذي املى على حديث واحد اربعمائة فائدة ، والمحدث الراوية ابن مجراد السلوي ، وابن منصور المغراوى الذى نوه به الحافظ ابن حجر وعمر بن علي بن الزهراء الذى الف المهد الكبير في احدى وخمسين جزءا وابن الشاط صاحب كتاب الاشراف على الشرف برجال سند الامام البخارى عن طريق الشريف علي بن شرف ، وعبد المهيمن الحضرمى الذى قال عنه ابن خلدون : برز في علم الاسناد وكثرة المشيخة ، وكتب له اهل المغرب والأندلس ، والشيخ احمد زروق صاحب كتاب تعليق البخارى ، وابن غازى المكناسي صاحب كتاب ارشاد اللبيب ، الى مقاصد حديث الحبيب .

وفي عهد المرينيين احدثت الكراسي الحديثية في المساجد الكبرى ، والمعاهد العليا ، وتسارع المحسنون على تحبيس عقارات واملاك واوقفوها على العلماء والمحدثين المعينين لتدريس الحديث ،

هذا الملك الصالح سبعا وخمسين سنة وهو ملك يدافع عن الوطن والدين ، متمسكا بكتاب الله وسنة سيد المرسلين .

ولننتقل الآن الى الملك العالم السلفي سيدي محمد بن عبد الله الذي كان محدثا حافظا يجمع العلماء في كل يوم جمعة ويدارسهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويناقشهم بما كان متوفرا عليه من الحفظ والاطلاع ، والبحث والتحقيق وطول الباع ، وقد استجلب من الشرق مسانيد الأئمة الثلاثة ، واشتغل بدراسة الحديث ، والف الفتوحات الكبرى والصغرى ، وكتاب الجامع الصحيح الأسانيد ، المستخرج من ستة مسانيد وكلف ثلاثة من العلماء بشرح مشارق الانوار للقاضي عياض ، وهم : الشيخ التاودي والعلامة عبد القادر بوخريص ، والعلامة سيدي ادريس العراقي ، وقد كان للشيخ التاودى بن سودة مكانة عظيمة وشفوف واعتبار لانه كان محدثا بارزا في علم الحديث ، وهو صاحب زاد الساري ، لمطالع الامام البخاري ، وكتاب شرح صحيح الامام البخارى .

وما زالت هذه العناية مستمرة الى عهد المولى سليمان حيث اشتهرت نخبة من المحدثين منهم العلامة الشيخ الطيب بن كيران والشيخ ابو الفيض حمدون بن الحاج صاحب كتاب « نفحة المسك الواري ، لقارىء صحيح الامام البخارى » وكتاب رياض الورد ، وله قصائد في مدح المولى سليمان وولده المولى ابراهيم الذي اوفده والده الى الحج والشيخ عبد القادر بن شقرون ، والشيخ محمد بنيس .

ولقد كان هذا الملك الصالح يجمع العلماء لسرد الحديث الشريف وتفهمه والمذاكرة فيه على مر الليالي والأيام ويتأكد ذلك عنده في رمضان ويشاركهم بغزارة علمه وحسن ملكته ، ويتناول راية السبق في فهم المسائل التى يعجز عنها غيره فيصيب الافصل ، ويعظم العلماء الذين هم ورثة الانبياء ، ويرفع مناصبهم على سائر رجال دولته ، ويجرى عليهم الارزاق ، ويعطيهم الدور المعتبرة والضياع المغلة ، ويوثر المعتنين منهم وذوى النهم بمزيد البر حتى لقد تنافس الناس في ايامه في اقتناء العلوم .

وفى عهد المولى عبد الرحمان بن هشام رحمه الله كان اول ما فعل ان استوزر العلامة ابا عبد الله محمد بن ادريس الفاسى ، وهنأه عالم افريقيا ومفتيها الشيخ ابو اسحاق بن عبد القادر الرياحى ، وكان يستفتى العلامة الكبير المحقق ابا الحسن على بن عبد السلام التسولى صاحب الشرح الكبير على تحفة ابن عاصم فى الاحكام ، وشرح الشمائل وشرح الزقاقية وغير ذلك من التآليف الحسان وفى عصره ابتدات فرنسا — وقد احتلت الجزائر — تهاجم حدود المغرب برا وبحرا وكان رحمه الله الملك الصابر الصامد المجاهد في سبيل الله حتى قيل فيه انه اسماعيل الثانى ، وقد استمرت فى عهده العناية بالحديث وظهر محدثون بارزون منهم العلامة محمد بن الطاهر العلوى الحسنى المراكشى ، والعلامة المطيرى المكناسى ، والعلامة عبد القادر بن احمد الكوهن ، والشيخ المهدي بن سودة ، ولما آل الامر الى ولده المتصف بالسكينة والوقار والصلاح والتقوى سيدى محمد بن عبد الرحمان استعار من خزانة القرويين نسخة صحيح البخارى المعروفة « بالشيخة » التى كتبها ابو عمران موسى بن سعادة ، وقراها ستين مرة على شيخه الصدفى وكان ينقصها الجزء الاول ، فأمر رحمه الله بنسخه وكلف خطاطا من امهر الخطاطين واصدر بذلك ظهيرا سنة 1288 ، وقد بقيت هذه النسخة محل اجلال واكبار فى عهده وفى عهد المولى الحسن الاول فكانا يصحبانها فى اسفارهما ، واتخذ لها صندوق ثمين مزخرف تحمله دابة خاصة تكون امام محفة السلطان فى جميع تنقلاته ، وعلى ذكر هذه النسخة الجليلة لا بد ان اتعرض الى ان ابا عمران ابن سعادة المذكور هو صهر الامام الحافظ فخر الاندلس ابى على حسين بن فيرة بن حيون الصدفى ، وقد افرد القاضى عياض شيوخ الصدفى فعد له مائة وستين شيخا وافرد تلاميذه ايضا الحافظ ابن الابار التونسى وغيره وهو ممن اقام للحديث السوق المعظم الذى فيه نفقت بضائعه ، فخضعت له فيه الرقاب ، وشدت له الرحال من دانى البلاد وقاصيها لوافر علمه وتوسيع تدقيقه وطول رحلته .

وفى الدباج قال ابو علي الصدفي لبعض الفقهاء : خذ الصحيح ، فاذكر اى متن اردت اذكر لك سنده ، واي سند اردت اذكر لك متنه ، وذكروا ان صهره ابا عمران سمع عليه الصحيح نحو ستين مرة كما ذكرنا ذلك سابقا .

ولا تزال هذه الأوقاف قائمة حتى الآن ، ففي جامعة القرويين عدة كراسي للحديث ، وكل كرسي معروف فى مكانه فهناك الكرسي المبارك الذى عرف فيما بعد بكرسي ابن غازى ، وقد تداول الدراسة عليه علماء محدثون من اسرة ابناء سودة المرينيين ، وكذلك الكرسى المحبس على ابى الفضل احمد بن الحاج السلمي وعلى عقبه . وقد ظل علماء هذه الاسرة العلمية يدرسون الحديث عليه خلفا عن سلف ؛ ففي جامعة القرويين كرسي الامام البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني انشأه السلطان احمد ابن الشيخ وحبس عليه نسخة من الشرح المذكور منقولة من خط ابن حجر نفسه ، وهي لا زالت محفوظة بخزانة القرويين ، وكان من افذاذ المدرسين المحدثين على هذا الكرسي العظيم الامام عبد الواحد الونشريسي ، قال عنه المنجور فى فهرسته حضرت عدة ليالي كثيرة فى مجلس البخارى بين المغرب والعشاء بالقرويين ينقل عليه كلام فتح الباري ويستوفيه ، لانه شرط المجلس .

هذه ظاهرة علمية رائعة سجلها التاريخ عناية بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهد المرينيين .

— * —

اما عهد السعديين فقد كانت حلقات الجامع الصحيح تعقد بين يدى احمد المنصور الذهبي ، ولقد نقل عن القاضي أبي القاسم الشاطبي ، ان احمد المنصور الذهبي كان يحفظ الجامع الصحيح من كثرة تكراره .

ويتعين منا رغم ضيق الوقت أن نتعرف للمنصور الذهبى انه كان عالما ومحبا للعلماء ومن عنايته بالسند والمحافظة عليه فى رواية الحديث انه استجاز علماء مصر ، وممن اجازه منهم الامام العارف بالله ، أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكرى رضى الله عنه ، والعلامة ابو عبد الله محمد بن يحيى المصري الشهير ببدر الدين القرافي صاحب ذيل الديباج .

وكدليل قوى على العناية بالجامع الصحيح ، فقد روى لنا التاريخ رواية صحيحة ان الجيش الذى اعده المنصور الذهبى للقاء المشركين المغيرين على بلاد المغرب فى موقعة وادي المخازن تليت عليه قبل مغادرته مراكش مائة سلكة من القرآن الكريم وختمات الامام البخاري .

ايها السادة الكرام ، اليكم الامام البخاري مع الدولة العلوية الشريفة الآن نخترق الى الرياض الاريضة الفجاج ، ونجد فى احضان ملوكنا العلويين ما به نسعد واليه نحتاج ، فهذا العصر خليق بأن يسقينا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اصفى المشارب ، ويبلغنا مما نقصد اليه او فى المآرب ، هذا العصر الذى تحلى بأمهات الفضائل ، الحكمة ، والعدل .. والعفة ، التي تشملها الأقوال والأفعال والشمائل .

فهذا الامام المولى الرشيد كان رحمه الله محبا للعلماء مؤثرا لأغراضهم مولعا بمجالساتهم محسنا اليهم حيثما كانوا ، ومن تواضعه انه بعث الى بعض علماء عصره ليحضر عنده ليتدارس معه الحديث فأجابه : بأنه يريد حضوره هو بجلالة قدره الى مجلسه فما كان منه الا انه جعل يتردد على مجلس هذا العالم مع عامة الناس وكان يحضر مجلس الشيخ اليوسي بجامعة القرويين ، وفى ايامه كثر العلم ، واعتز اهله وظهرت عليهم ابهته ، وكان سخيا كريما مولعا بالكتاب والسنة ، وقد أسس المدارس وخزائن الكتب .

واما المولى اسماعيل فلانه اشتهر ابان خلافته بحصافة الراى وقوة العزيمة فقد حضر بيعته اعيان المغرب والعلماء الافذاذ ووافق الجميع من اهل الحل والعقد على بيعته كالشيخ أبى محمد عبد القادر ابن علي الفاسي والشيخ ابي علي اليوسي ، وابي عبد الله محمد بن علي الفلالي ، وأبي العباس احمد ابن سعيد المكيدري ، وابي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي ، واخيه ابي زيد صاحب نظم العمل والقاضي ابي مدين ، وقد كان المولى اسماعيل شغوفا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولشدة اهتمامه بالجامع الصحيح ، الف جيشا عظيما بلغ قبل وفاته مائة وخمسين الفا من الجنود وسماهم عبيد البخاري وقد كان جمع الجيش فى اول الأمر ومكنه من نسخة من كتاب البخاري وقال لهم انا وأنتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتفظوا بصحيح البخاري واصحبوه دائما فى جهادكم تيمنا به ، فكل ما امر به نفعله وكل ما نهى عنه نتركه ، وجرى على هذا الجيش اسم البواخرة ، والكثير من المغاربة يقولون تشريفا لهم عبيد سيدي البخاري ، لقد قضى

يداك يد خيرها يرتجى
واخرى لأعدائها نائله

فسر جلالته للجواب ، وقال : كنت اظن انك فقيه فقط فاذا انت نحوى كذلك ، ووقع بيده الكريمة ، بعد ان سأل والدى عن اسمه ونسبه ، أعطوا ابا شعيب الدكالي منحتين واحدة لصغر سنه والاخرى لكبر فقه ، ولما رغب والدى فى الرحلة لمصر لطلب العلم كان من جملة المحظوظين الذين انعم عليهم بذلك .

اما الدروس الحديثية فقد كان للمولى الحسن العناية الفائقة بها ، وكانت الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان تدرس فيها كتب الحديث للبخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ، وموطأ الامام مالك رضوان الله عليهم . ولا تنقطع هذه الدروس حتى فى اسفار جلالته ، ويجزل العطايا والهدايا للعلماء ، وحين بنى قصره بالرباط أمر بختم صحيح البخاري .

وفى عهد المولى الحفيظ بن الحسن اخذ القوس باريها اذ كان رحمه الله هو بؤبؤها وابن بجدتها ، فهو العالم الحافظ الفقيه النحوى الشاعر الناثر الذى اشتغل بالعلم وتفرغ له قبل توليه الملك حينما كان خليفته لاخيه المولى عبد العزيز رحمهما الله ، وقد جمع العلماء من سائر انحاء مملكته وصاحب علماء شنقيط وضمهم الى مجالسه العلمية وكان يشارك مشاركة تدل على اطلاعه الواسع ، ويعنى بتفهم الحديث ، ويكتب الحواشى على نسخه ، وله عدة تآليف .

وكان من جملة العلماء الكبار الذين لا يفارقون مجالسه ، شيخ الجماعة سيدى احمد بن الخياط الزكرى والعلامة سيدى عبد الكبير الكتانى مؤلف كتاب حواشى على البخارى ، والعلامة شيخ الجماعة بالرباط سيدي احمد البطاوري ، والشريف الجليل الشيخ ابو الفيض سيدى محمد الكتانى صاحب ختمة البخارى ، والمحدث الحافظ الرحالة سيدى محمد بن جعفر الكتانى صاحب الرسالة المستطرفة وكتاب شرح ختمة صحيح الامام البخارى ، والعلامة الحاج على عواد .

واذا كان مولانا الحسن الاول هو الذى بعث والدى رحمه الله الى مصر فمكث فيها حتى نال شهادة الازهر الشريف ، واشتهر بالحفظ الواسع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغت شهرته الحجاز فبعث الشريف عونا يستقدمه الى مكة المكرمة حيث تقلد فيها اسمى المناصب العلمية وختم فيها الكتب الست مرتين وموطأ الامام مالك ومسند الامام احمد ، وافتى فى المذاهب الاربعة ، واخذ عنه جمهور من علماء الامة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها وجاور اربع عشر سنة وتزوج وولد له اولاد كنت آخر من ولد له هناك ؛ فقد استدعاه المولى عبد الحفيظ ليرجع الى المغرب ويفيد بلاده بعلمه ، وكانت ظروف الحجاز فى تلك الفترة من الزمن تشجعه على صلة الرحم بالاهل والاحباب فاجاب الدعوة وحل فى ضيافة الواعى الجليل مولاى عبد الحفيظ الذى بالغ فى اكرامه والاحتفاء به واعطاه رئاسة مجالسه العلمية التى كان يحضرها جميع من ذكرنا من العلماء الاعلام الذين شاهدوا رجلا يحفظ مائة الف حديث من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أن شيخ الجماعة العلامة الجليل سيدى أحمد بن الخياط المذكور سابقا بكى فى درس المولى عبد الحفيظ ، فلما سأله مولاى عبد الحفيظ عن سبب بكائه قال يا مولاى : ليتنى كنت فيها جذعا ، كيف لا ابكى يا مولاى وهذا البحر الفياض فى غضارة شبابه وأنا شيخ كبير اخشى ان لا اتمتع من سعة حفظه وعلمه وقد اطال الله عمر هذا الشيخ حتى عينه والدى حينما كان وزيرا للعدل والتعليم رئيسا على المجلس الاعلى بالقرويين .

ان من عناية المولى عبد الحفيظ بالحديث انه كان يستمع الى ما يستنبطه والدى من حديث يرويه الامام البخارى فيسأل مثلا عن بيت ورد فى الصحيح

يذكرني حاميم والرمح شاجر
فهلا تلى حاميم قبل التقدم

من قائل هذا البيت فيجيبه والدى عن البيت ، ويسرد له القصيدة ويطيل فى شرح الحادثة فيجيز المولى عبد الحفيظ على ذلك بهدايا وعطايا مدهشة ومن عنايته كذلك انه يأمر بأن يدرس والدى صحيح الامام البخارى فى جامعة القرويين فتمتلىء القرويين عمرها الله بالعلماء والفقهاء والطلاب وعامة الناس .

ومن عنايته كذلك طبعه لكتب الحديث ومؤلفات الفقه ، ويبتدأ بطبع كتب الحديث قبل غيرها كحواشى الشيخ التاودى ، وحاشية ابن زكرى على البخارى والنظم المتناثر لسيدى محمد بن جعفر الكتانى ، وقد

وقد عثر المتاخرون بطرابلس الغرب عام 1211 على اصـل عظيم من الصحيح بخط الحافظ الصدفي اسهبوا فى وصفه ونعتـه ، قال الحافظ ابـن عبـد السلام الناصرى فى كتابه المزايا بعد ان تكلم على نسخة ابن سعادة ، وقد عثرت على اصل شيخـه الحافظ الصدفى الذى طاف به البلاد بخطه بطرابلس فى جلد واحد مدموج لا نقط فيـه اصلا على عـادة الصدفى وبعض الكتب الا ان بالهامش منـه كثـرة اختلاف الروايات والرمز عليها ، وفى آخـره سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه ، وفى اوله كتابة بخط ابن جماعة ، والحافـظ الدمياطى ، وابن العطـار والسخاوى ، قائلا هذا الاصل هو الذى ظفر بـه شيخنا ابن حجر العسقلانى وبنى عليه شرحه الفتح ، واعتمـد عليه لانـه طيف بـه فى مشـارق الارض ومغاربها : الحرمين ، ومصر ، والشام ، والعراق والمغرب ، فكان الاولى بالاعتبار ، كرواية تلميذه ابن سعادة . ولقد بذلت لمن اشتراه فى عدة كتب من اهل طرابلس الغرب باصطنبول بثمن تافه صرة ذهب ، فابى بيعه ، وكان من مدح ابن العطار له بخطه مـا نصـه :

قد دام بالصدفي العلـم منتشـرا
وجـل قـدر عياض الطاهر السلفى
ولا عجيب اذا ابـدى لنـا دررا
مـا الـدر مظهره الا مـن الصـدف

قال ابن العطار : وقلت ايضا فى سيدنا ومولانا قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة وقد حملت هذه النسخة لمجلسه بالصالحية فى العشر الاول من رجب 802 فنظر فيها وقال : لو كتبت نسخة واضحة بخط حسن وقوبلت على هذه لكانت احسن لان كاتبها رجل جليل القدر .

راى البخاري الحافظ الصدفـي
قاضى القضاة امـام النبـل والسلف
جمال واسطة العقد الثميـن لـه
ولا عجيـب بمثـل الـدر للصـدف

وممن افاض كذلك فى هذه النسخة ابـو العباس احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن الشيـخ عبـد القادر الفاسى لانه وقف عليها بطرابلس ، وقد وصف هذه النسخة وصفا دقيقا وقد ذكر أن بآخرها مـا صورته : آخر الجامع الصحيح الذى صنفه ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى رحمـه الله ، والحمد لله على ما من به واياه اسأل ان ينفع به ، وكتبه حسين بن محمد الصدفى من نسخة بخط محمد ابن على بن محمد مقروءة على ابى ذر رحمه الله ، وعليها خطه ، وكان الفراغ من نسخـه يـوم الجمعة 21 محرم عام ثمانية وخمسمائة والحمد لله كثيرا كما هو اهلـه ، وصلواته على محمد نبيـه ورسوله صلى الله عليه وسلم كثيـرا اثيـرا وعلى ظهرها كتاب الجامع الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه ، تصنيف ابـى عبد الله محمد بن اسماعيـل بن ابراهيـم البخارى رضى الله عنه ، رواية ابى عبد الله محمد ابن يوسف الفربرى عنه رحمه الله لحسين بن محمد الصدفى .

وقد تبين ان هذه النسخة لا تزال موجودة ولله الحمد فى خزانة السنوسيين بجغبوب كما افـاد ذلك صاحب فهرس الفهارس .

— ✻ —

لقـد ابدى الامام المجاهد الذى صبر وصابر أمير المومنين المولى الحسن الاول اهتماما كثيرا بنشـر العلم وبعث البعثات للخارج وحضر مجالس العلـم بنفسه وناقش العلماء وما اقدم على امر الا استشار فطاحل العلماء فى عهده ؛ وقـد صـارت البـوادى والحواضر تتبارى فى حفظ المتون واتقان القراءات السبع والعشر ، وكانت كل أسرة تنجب ولدا يحفظ مختصر خليل أو يتقن علم القراءات تكرم وتعفى مـن الخدمات وحتى من التكاليف التي كانت تتطلبها حاجة البلاد وربما تمنح ظهير التوقير .

— ✻ —

وهنا أسوق قصة والدى رحمه الله مع مولانـا الحسن الاول فقد حفظ والدى القرآن الكريم بالقراءات السبع وحفظ مختصر خليل فى الفقه المالكى وغيـره من المتون كالفية ابن مالك وتحفة بن عاصـم وهو فى سن الثانية عشرة من عمره ، وكان عمه العلامـة الشيخ محمد الصديقى الدكالى الذى كفله بعد موت والده من العلماء الكبار ورغبة منه فى تحرير الاسرة المعروفة بالعلم والصلاح انتقل بوالدى الى رحـاب القصر الملكى بمدينة مراكش حيث اجتمع بأعتابـه الحفاظ من سـائر انحاء المملكة المغربية ؛ ولما مـر جلالة الملك راى هـذا الولـد الصغيـر السـن بين الحاضرين ، أمر بالبدء به فى الامتحان ؛ فلما امتحن فى عدة ابواب من المختصر وفى عدة سور من كتاب الله العزيز وتبين لمولانا انه حافظ ، وجه اليه سؤالا قال له قدس الله روحه : كيف تعرب الرمان حلـو حامض » فأجابه والدي فى الحين بقوله هو كقـول القائـل :

واستطاعت دار الحديث الحسنية ان تواصل عملها بتوفيق من الله عز وجل حيث تخرج منها خلال هذه المدة مائة وتسعة من الاساتذة ، وتقدم 13 منهم برسائلهم لنيل الدبلوم وكدليل على حيوية المواضيع التى حصل فيها على الدبلوم : اليكم قائمة بها :

1 — البينات او وسائل الاثبات فى الشريعة الاسلامية للسيد محمد المزغرانى

2 — الاسس الاسلامية لبناء الاسرة للسيد محمد الحبيب

3 — الصحابى ابو ذر الغفارى ونوع اشتراكيته للسيد احمد لسان الحق

4 — الحسبة فى الاسلام للسيد الوليد المرينى

5 — سيدى محمد بن عبد الله وآثاره العلمية والاصلاحية للسيد الحسن العبادى

6 — الواح جزولة والتشريع الاسلامى للسيد محمد العثمانى

7 — اصول المسيحية فى القرآن الكريم للسيد داود على الفاضل الاردنى

8 — حياة البخارى وانتماؤه الى الاجتهاد للسيد محمد الادوزى

9 — المدرسة القرآنية بالمغرب الى نهاية القرن السادس للسيد أحمد عبد السلام الكنونى

10 — رباعيات الامام البخارى للسيد يوسف الكتانى

11 — النقود والمصاريف التجارية « دراسة اسلامية» للسيد مروان القيسى الاردنى

12 — الفقيه ابو على الحسن بن مسعود اليوسى للسيد عبد الكبير المدغرى

13 — الحق الشخصى بين الشريعة والقانون للسيد ادريس أمزيان

هذه نظرة خاطفة عن دار الحديث الحسنية ، اما الدروس الحسنية برمضان المعظم فانه يستدعى لها أكابر المحدثين والعلماء من بعض الاقطار الاسلامية كتونس والجزائر ومصر والعراق والحجاز والشام ولبنان ، ويحضرها جلالة الملك الذى تقدم اليه مواضيع الدروس التى ستلقى امام جلالته ، ويختار من فطاحل علماء المغرب من يشاركون فى هذه الدروس ، وتطبع وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية هذه الدروس التى تختم فى غالب الاحيان بدرس ملكى سامى يلقيه الملك العالم الحسن الثانى أدام الله نصره وتوفيقه ، فيكون هذا الدرس الذى يدل على اتساع الافق وعظيم التفكير وواسع الاطلاع محل تعليق العلماء . ومن اهتمام جلالته بعلم الحديث انه أمر وزيره فى الاوقاف والشؤون الاسلامية باجراء مباراة فى كل سنة لحفاظ الحديث ، واعطاء قدر مهم من المال لمن يحفظ كمية وافرة من صحيح الامام البخارى او من موطا الامام مالك ، واذكر اننا حصلنا على نتائج كبيرة فى هذا الميدان فقد ظهر عندنا حفاظ من الشباب استطاع واحد مرة وكنت مشرفا على لجنة الامتحان بان يسرد لنا الفا وخمسمائة حديث بأسانيدها ، واستطاع اثنان من قبيلة زعير ان يسردا لنا الفي حديث بالرواية عن الصحابي ، ولا تقتصر هذه المباراة على حفظ السنة بل تجرى حتى فى تحصيل القراءات السبع ، ولدينا ولله الحمد ما يزيد عن اربعمائة طالب من العرب والافارقة وحتى من هذه البلاد بجامعة القرويين وكلية ابن يوسف والمعهد العلمى بتارودانت ودار الحديث الحسنية وجامعة محمد الخامس وكليات الهندسة والاحصاء وغيرها وحتى المدارس العليا السكرية كلها روافد تزود اخواننا من عرب وافارقة ومسلمين بما يحتاجون اليه من اطر ، وكل هذا بفضل جلالة الملك الهمام الحسن الثاني الذي يهيىء الآن شبابا مغاربة مزودين بتكوين مهم لينتشروا فى افريقيا ويقوموا بالواجب الذى يفرضه انهاض قارتنا السمراء .

ان الدروس الحديثية التى اسلفنا ذكرها تنقل بواسطة الاذاعة وعلى شاشة التلفزة فيشاهدها جميع المغاربة وهم فى أعلى قمة السرور والحبور .

وهكذا نجد عناية جلالة الحسن الثانى نصره الله بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصدر أمره بطبع المدارك للقاضى عياض ، وكتاب الاعلام له ايضا والتمهيد لابن عبد البر ؛ هذا بالاضافة الى المصحف الحسنى فى حجميه الكبير والصغير .

اما خزائن مولانا التى هى فريدة من نوعها فقد احتوت على ما يزيد عن اربعين نسخة من الجامع الصحيح وكل نسخة لها قيمتها التاريخية ، ولا يسعنى هنا الا أن اختم هذه الكلمة داعيا الى الله عز وجل أن يجمع كلمة المسلمين ، ويجازى جميع الاصدقاء والاحباء المخلصين .

الرباط : عبد الرحمن الدكالي

عين المولى عبد الحفيظ والدى قاضيا على مدينـــة مراكش والزمه بقبول هذا المنصب ليستفيد الناس من علمه وعدله ، ولما كان والدى داعية للسلفية فقد اعلنها حربا على البدع والخرافات سواء فى مقامـه بمدينة فاس أو مدينة مراكش بل اينما حل وارتحل ، وهكذا استمر طول حياتـه عدوا للبـدع والضلالة وعدوا للاستعمار ورافعا منار الكتاب والسنة حتى لقى الله تعالى .

لقد بويع المولى عبد الحفيظ بالملـك ، والمغرب تحيط به الاخطار ، ويتآمر عليه الاستعمار ، ورغم ذلك كله بذل المولى عبد الحفيظ كل جهوده فى سبيل انقاذ المغرب كما بذل فى سبيل نشر العلم رحمه الله واجزل له الثواب .

— * —

وفى عهـد المولى يوسـف استمـرت العنـاية بدراسة الحديث الشريف ، وبقيت مجالس جلالـة الملك حافلة بالعلماء وكان الذى يتولى رئاسة هـذه المجالس هو الحافظ ابو شعيب الدكالى وزير جلالته فى العدل والتعليم وكان يحضر هذه المجالس كثيـر من العلماء .

— * —

اما فى عهد بطل التاريخ المحـرر الاعظم سيدى محمد الخامس رضوان الله عليه ، فقـد تفجـرت ينابيع العلم والاصلاح ، ونودى فى كل انحاء المغرب حى على الفداء حى على الفـلاح وراجـت سـوق العلم والعرفان ، وجند العلماء للتعليم فى كل مكان .

وقد كانت مجالس الحديـث يترأسهـا والـدى الحافظ ابو شعيب الدكالى ، الى ان توفى رحمه الله فتولى التناوب على رئاستها فضيلة العلامة الشريف الشيخ محمد بن العربى العلوى وفضيلة شيخنــا الحافظ المحدث سيدى ومولاى المدنى بن الحسنى ، وكاتب هذه السطور الذى تشـرف بالتـناوب مـع استاذيه رحمهما الله ؛ وانى لاذكر هنا انّ شيخنـــا سيدى المدنى بن الحسنى قد ترك خمسين مؤلفا من مؤلفاته التى نرجو الله ان يمن باخراجها لتطبـــع وتنشر فهو صاحب كتاب مفتاح الصحيحين ، وكتاب مقدمة الرعيل ، لجعفل بن محمد اسماعيل وغيـره من المؤلفات فى علم الحديث والفقه والادب وسائر الفنون . وفى عهد سيدى محمد الخامس انتشر التعليم فى الحواضر والبوادى ؛ وجعل الشعب يتهيأ للوثبة الكبرى التى سيبذل فى سبيلها المهج والارواح . نعم يتهيـأ للحريـة والاستقـلال على يـد الملـك

رحم الله محمد الخامس وجزاه بأفضل ما يجازى به من قدم نفسه واهله وعرشه فداء لتحرير وطنه وبـلاده .

— * —

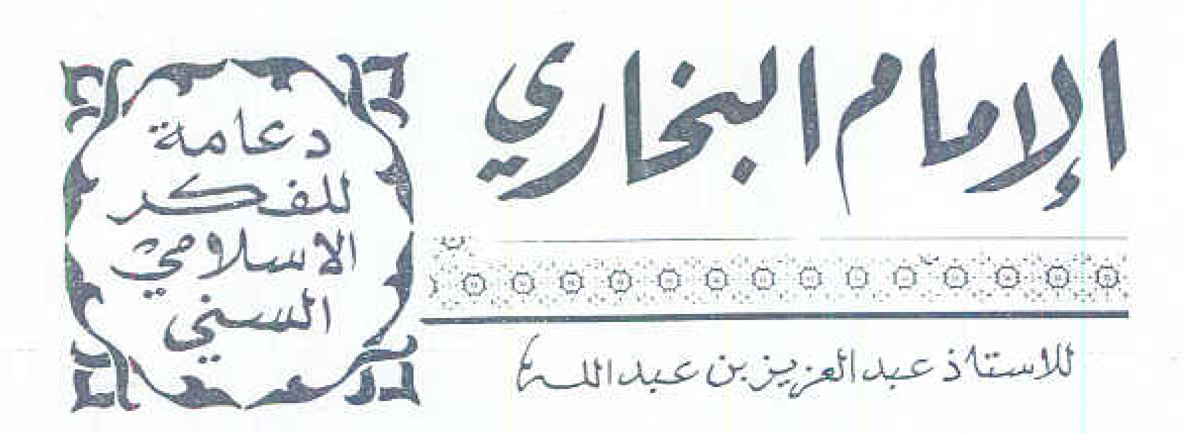
اما الامام البخاري فى عهد امير المومنين الحسن الثانى دام له العز والتمكين . هنا يجب ان اسجل امام هذا الجمع المبارك من علماء الاسـلام ان اللـه سبحانه وتعالى انعم على الامة المغربية المسلمة بملك عالم متشبث بالدين ، معتصم بحبل الله المتين .

ففى اول رمضـان بعد جلوسـه على عـرش اسلافه المنعمين ، استدعانى لقصره العامـر لالقى عليه اعزه الله وعلى الاسـرة الملكية المجيدة درسا فى تفسير حديث جبريل عليه السلام المروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه « بينما نحـن جلوس عنـد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ دخـل علينـا الحديث . وكان ذلك بعد صلاة التراويح ، وعند انتهاء الدرس امر نصره الله ان احضر الى القصر فى نفس الوقت اى : بعد صلاة التراويح فسالت جلالته عن الدرس الذى سأحضره ، فأجاب نصره الله غدا حين تحضر ستعلم ما تلقى ، فلما حضرت فى الموعد المقرر قال لى ما هو الدرس الذى القيته اليوم فى المسجـد الاعظم قلت يا مولاى هو فى تفسير قول الله تعالى : « اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ، قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى »، قال اننى اريد ان تتكلم لنا على هذه المعية لنعيش فى جو من التقرب اليه سبحانـه . وفى اثنـاء الـدرس شاهدت جلالته يبدو عليه التاثر ويتـتبع احاديـث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كنت اقررها فى الموضوع مثل حديث الافك الـخ .

وعند انتهاء الدرس وجه الى جلالته السؤال الآتى هل يظهر الآن فى المغرب محدثون أم لا ؟ فأجبتـه بقولى : أناشدك الله يـا مولاى أن تؤسـس دارا لحديث رسول الله صلـى الله عليه وسلـم حتى لا ينقرض هذا العلم ، فلما كان الغد امر اعـز الله امره بأن تؤسس دار للحديث وامرنى بأن ادشنها فى مجلسه الملكى الموقر بمحضر علماء المغرب فقررت فيها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « نضر الله وجه امرىء سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها ورب حامل فقه الى من هو افقه منه » وكان ذلك فى عام 1388 هـ 1966 .

عالما بالحديث يحفظ متونه ويتقنها وكان فقهاء العصر يرجعون اليه في الفتوى وله الترغيب في احاديث العبادات (الاعلام للمراكشي ج 8 ص 319 خ) وهو الذي نظم قراءة الحديث بمراكش في القرن السادس الهجري (الاستبصار / الاعلام للمراكشي ج 1 ص 65) وقد اختار لتأديب ابنائه عبد الله ابن سليمان بن داود ابن حوط الله الانصاري المحدث الحافظ قاض قرطبة واشبيلية ومرسية وسبتة وسلا ؛ ولابن خوط هذا « كتاب في تسمية شيوخ البخاري ومسلم وابي داود والنسائي والترمذي » نزع فيه منزع ابي نصر الكلاباذي (لم يكمله) وقد توفي بغرناطة عام 612 هـ (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 93 خ) ومن المحدثين الذين كانوا يحضرون مجالس المنصور الموحدي ابن الفرس عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي المتوفى 597 هـ وقد أجازه ابن طاهر المحدث وابن العربي المعافري وعياض والمازري وعلى بن الحسن الطبري وابن القطان وابن تطرال واشترك بالرواية في السماع مع اعلام بقايا المائة السادسة في الشرق والغرب وقد ألف « أحكام القرآن » كتابا يعتبر أجل ما صنف في بابه وقد عين المنصور الموحدي لقراءة الحديث بين يديه في مجالس حافلة بالقصر الملكي ابن القطان علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الفاسي المتوفى بسجلماسة عام 618 هـ وكان مستبحرا في علوم الحديث بصيرا بطرقه عارفا برجاله عاكفا على خدمته نافذا مميزا صحيحه من سقيمه وقد نص ابن حزم في تاليفه في أهل الاندلس ان ابن القطان هذا كانت اليه النهاية والاشارة في عصره وله مؤلفات عديدة في علم الحديث منها كتاب جمع الحديث الصحيح محذوف السند استغرق فيه قسم الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة وحده نحو 10 مجلدات ، وابن القطان هو اول شخصية مغربية ركز الدراسات الحديثية على الاساليب والمناهج المتبعة في الشرق مع نوع من الاصالة والجدة ، وممن كان يحضر مجلس ابن القطان في مراكش ابن قطرال علي ابن عبد الله الانصاري الفاسي القرطبي الذي عرض عن ظهر قلب صحيح البخاري (توفي بمراكش عام 651 هـ) (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 2 خ) واستاذ ابن القطان في الحديث هو يعيش بن علي ابو البقاء (المتوفى عام 626 هـ)وكان المامون بن يعقوب الموحدي هو أيضا محدثا حافظا ضابطا للرواية يسرد كتب الحديث وخاصة البخاري والموطأ وسنن ابي داود (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 389) على ان ملوكنا يستجلبون كبار المحدثين من العالم الاسلامي مثل ما فعل امير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني حققه الله الذي يجمع في شهر رمضان من كل سنة بعض اقطاب الفكر الاسلامي في دروس حديثية حافلة وصلت الماضي بالحاضر ، ومما امتازت به هذه الدروس أن صاحب الجلالة العالم الحسن الثاني يتوجها باملاءات قيمة ويفتح باب المناقشة الحرة بين العلماء أمام أعضاء السلك الدبلوماسي الاسلامي ورجال السياسة ويشارك شعب المغرب العربي عن طريق التلفزة في الاستفادة من هذا الحوار الاسلامي الحي في اعلى المستويات فهي عبارة عن منتدى عام تتبارى فيه رجالات الفكر وجهابذة المعرفة من الخليج الى المحيط ، ومنذ القرن السابع راينا عمر بن مودود بن عمر الفارسي المتوفى بمراكش عام 639 هـ يدرس الحديث بمراكش أيام الرشيد الموحدي بعدما جال في العراق والشام ومصر (تكملة ابن الابار والاعلام للمراكشي ج 6 ص 106 خ) وممن دخل مراكش واغمات وريكة ودرس بهما في ولاية ابي اسحاق بن ابي يعقوب يحيى بن عبد الرحمن الاصبهاني الذي ولد بدمشق عام 548 هـ وتوفي عام 608 هـ وهو متسع الرواية في الحديث واستمر سوق الحديث في نساق وانتظم بث العلم في العامة في عهد السلطان ابي سالى المريني (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 362) وكان ابو عنان فارس ابن ابي الحسن بن ابي سعيد عثمان المريني (759 هـ) عارفا بعلوم القرآن ناسخه ومنسوخه حافظا للحديث عارفا برجاله (الاعلام للمراكشي ج 8 ص 14خ) وتزعم بعد ذلك محمد الشيخ المهدي بن القائم بأمر الله السعدي (المتوفى عام 932 هـ) دراسة الحديث وضرب المثل لذلك وكان يحفظ صحيح البخاري بالاضافة الى ديوان المتنبي ثم صار المنصور السعدي يعقد مجلسا للحديث يدرس فيه صحيح البخاري الشيخ ابو القاسم بن علي بن قاسم بن مسعود الشطيبي قاضي الجماعة بمراكش (المتوفى عام 1002 هـ) الذي كان يحفظه من كثرة تكراره (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 73 خ) وقد برز في هذا العصر محمد بن قاسم القصار الفاسي محدث المغرب (المتوفى عام 1012 هـ) (مرآة المحاسن ص 148 / النزهة ص ص 192 / الصفوة ص 16 / النشر ج 1 ص 62 / السلوة ج 2 ص 62 / خلاصة الاثر للمحبي ج 4 ص 121) .

= * =



ان اول من ادخل صحيح الامام البخـاري الى الاندلس ومنها الى المغرب عمر بن الحسن الهوزني (النفح ج 3 م 385) على ان شيخ الاندلس صعصعة ابن سلام الشامي تلميذ الاوزاعي هو فى الحقيقة أول من ادخل الحديث عموما (جذوة المقتبس للحميدي ص 227 طبعة 1952) .

وقد انتقل علم الحديث من الاندلس الى حاضرة القيروان فلما اضطرب امر افريقية بعبث العرب فيها وقرطبة وآخر ملوك بني أمية رحل من هذه وتلك من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل اكثرهم مدينة فاس (شجـرة النور ص 450) . واعلى سند فى الحديث دخل الى المغرب هو سلسلة محمد بن عبد الله الرجراجي فى صحيح البخاري عن المرغيثي عن ابن طاهر عن ابن القصار عـن خروف بسنده الى الامام محمد بن اسماعيل البخاري وانفرد المغرب بروايات خاصة ، وقد صنف الشيـخ عبد الحي الكتاني « التنبيه والاشادة بمقام رواية ابن سعادة » جعله مقدمة للجزء الثاني من صحيح الامـام البخاري الذي اخذ بالفوتوغراف من رواية الحافظ ابي عمران موسى بن سعادة المتوفى عام 522 هـ وقد صدر فى الموضوع « ذيل ابن سعادة لمحمد بن مخلوف الفاسي » وقد بلغ صحيح الامام البخاري مكانة فى قلوب المغاربة جعلت طبيب المرابطين والموحدين هو الشاعر ابا بكر بن ابي مروان المتوفى عـام 596 هـ بمراكش يحفظه بأسانيده ولم يكن فى زمانه أعلم منه باللغة وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلـث لغـة العرب (ابن ابي أصيبعة ص 67 الانيـس المطـرب للعلمي ج 2 ص 180) .

ومعلوم أن الطبيب ابا جعفر بن هارون الترجالي صاحب السلطان ابى يعقوب يوسف الموحدي هـو تلميذ ابن العربي المعافري فى الحديث (ابن ابـي اصيبعة ج 2 ص 75) وكان لابي يحيى هانيء بن الحسن اللخمي الغرناطي المتوفى عام 614 هـ مشاركـة فى الحديث والاصول والطب (الجذوة ص 335) وقـد ازدهرت دراسـة الحديث فى عهد عبد المومن بن علي الذي حرف كتب الفروع ورد الناس الى قراءة الحديث واصدر بذلك مرسوما عام 550 هـ فى العدوتيـن (المغرب والاندلس) (الانيس المطرب ج 2 ص 154) وكان الذي دشن هذا الاتجاه قبله هو المهدي بن تومرت المتوفى عام 524 باصداره « محاذي الموطأ » وهـو عبارة عن موطأ مالك بن انس مجردة من الاسنـاد (طبعت بالجزائر 1903 م) ، وتوجد نسخة فى رق الغزال بنقصها قليل فى مكتبة جامعـة القروييـن ونسختان فى المكتبة العامة بالرباط (الحلل الموشية ص 89 / الاستقصا ج 2 م 73 / رسائل موحدية ليفي بروفنصال ص 132) وكان المحدثون فى طليعة بطانة الامير فهذا ابن عياش عبد الملك اليابري كاتب عبد المومن الموحدي من أهل الحديث والرواية (القرطاس/ المعجب / الذيل والتكملة) ويعقوب بن يوسف بن عبد المومن الموحدي الذي ولد عام 555 كان هو نفسـه

المكانة المرموقة التي كانت لصحيح البخاري في مدى اهتمام العلماء به شرحا وتعليقا وحفظا وتدريسا ، وهاكم صورة عن هذه اللائحة الشريفة : « كتاب الشرف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري من طرف ابي علي ابن شرف » (الاسكوريال 1832) لابن الشاط قاسم بن عبد الله ــ « ترجمان التراجم في ابداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري» (لم يكمل كما في كشف الظنون) لابن رشيد محب الدين محمد بن عمر السبتي المتوفى بفاس عام 721هـ وله ايضا « افادة النصيح بالتعريف باسناد الجامع الصحيح » (الاسكوريال 1732 ــ 1785) « والسنن الابين والمورد الامعن في المحاكمة بين الامامين في السند المعنعن » (الاسكوريال 1806) (الدرر الكامنة ج 3 ص 280 و ج 4 ص 111) (شجرة النور ص 216 / السلوى ج 2 ص 191 / درة الحجال ج 1 ص 201 / الجذوة ص 180 / بغية الوعاة ص 85 / الذيل ص 355 / الوافي بالوفيات ج 4 ص 284) ــ « مطالع الانوار في استخراج ما في حديث الاسراء من الاسرار» لمحمد بن محمد بن ابراهيم البخاري الزموري نزيل الحرمين المتوفى عام 839 هـ (الضوء اللامع ج 8 ص 301 / طبعة القاهرة 1354) ــ حاشية على صحيح البخاري لاحمد زروق البرنوسي المتوفى عام 899 هـ في عشرين كراسة اقتصر فيها على ضبط الالفاظ وشرحها (الجذوة ص 65) ــ حاشية على الصحيح البخاري في اربعة اسفار اختصرها (من فتح الباري للحافظ بن حجر) ابراهيم بن هلال بن علي السجلماسي (المتوفى عام 903 هـ) ــ « غنية البدوي وعجال القروي على ما في البخاري من الاثر النبوي » لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العياشي (شجرة النور الزكية ص 336) وهو مختصر لكتاب « معونة القارىء لصحيح البخاري » لابن الحسن المكي (المكتبة العامة 818 د) ــ « ارشاد اللبيب الى مقاصد حديث الحبيب » (المكتبة العامة بالرباط 367 / 2402 د) (المكتبة الملكية بالرباط 2171 / 5344) (المكتبة السودية بفاس لمحمد بن احمد العثماني المكناسي الفاسي) (المتوفى سنة 919 هـ) شرح فيه بعض صحيح البخاري (الدوحة ص 36 / الجذوى ص 203 النيل ص 359 / السلوة ج 2 ص 73) ــ « الكوكب الساري في اختصار البخاري » لمحمد بن عيسى بن عبد الله بن منصور بن حرزوز المكناسي ، يوجد الجزء الاول في المكتبة العامة (1782) في مجلد ضخم ونسخة اخرى (2383 د) فيها بتر ونسختان في

المكتبة الملكية (2873 / 3537) ــ « تشنيف المسامع ببعض فوائد الجامع على صحيح البخاري » (المكتبة العامة عدد 198 في 174 ص) لعبد الرحمن ابن محمد الفاسي الفهري العارف (المتوفى عام 1036 هـ) (الممتع ص 158 / الصفوي ص 134 / النشر ج 1 ص 150 / السلوة ج 2 ص 352 / مرآة المحاسن ص 147) ــ « حاشية على البخاري » للعربي بن محمد بن يوسف الفاسي (المتوفى عام 1036 هـ) توجد نسخة منها في القاهرة 159) (النشر ج 1 ص 150 / الصفوة ص 34 / الممتع ص 159 / السلوة ج 3 ص 302) ــ « زاد المجد الساري لمطالع البخاري » لمحمد التاودي بن سودة (المتوفى عام 1076 هـ) يقع في ثلاثة اسفار اطال فيه النفس خصوصا في تفاريع المذهب المالكي (طبع بفاس عام 1327 هـ ويوجد الاصل بالمكتبة السودية بخط المؤلف) ونسخة بالمكتبة العامة (463) و 24 نسخة في المكتبة الملكية من 1024 الى 2989) (الصفوة ص 159 / السلوة ج 2 ص 71 / بروكلمان ج 1 ص 159) ــ « حاشية على صحيح البخاري » لسيدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي الفهري (توفي عام 1091 هـ) (توجد نسخة في المكتبة العامة 2150 د) (السلوة ج 1 ص 309 / الصفوة ص 181 / النشر ج 2 ص 58) ــ « مجمع الفوائد بجامع الاصول ومجمع الزوائد » (المكتبة الملكية 2584) طبع بالحرمين الشريفين في مجلدين لمحمد بن محمد بن سليمان الروداني الفاسي (المتوفى بدمشق عام 1094 هـ) وهو يحتوي على الصحيحين والموطأ بالاضافة الى السنن والمسانيد والمعاجم (اي اربعة عشر كتابا في عشرة آلاف حديث) ــ حاشية على صحيح البخاري (طبعت بفاس في 200 ص) لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري (المتوفى عام 1096 هـ) وكذلك ارجوزة في اصطلاح الحديث (نسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد 182) ــ « نظم اللآل والدرر في اختصار مقدمة ابن حجر » (المكتبة الملكية 855) لمحمد بن احمد ميارة الحفيد الفاسي (المتوفى عام 1144 هـ) (النشر ج 2 ص 235 / السلوة ج 1 ص 165) ولمحمد بن احمد ميارة (شارح المرشد المعين لابن عاشر) (المتوفى عام 1072 هـ) شرح على البخاري ــ « حاشية على صحيح البخاري » مجلدان مخطوطان في (المكتبة العامة 244 / 241) مع الجزء الاول 2489د (المكتبة الملكية 7876) لمحمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي (المتوفى عام 1144 هـ) وفيها من

وفي العهد العلوي انطبع التراث الاسلامي بمزيد من الاحتفاء برضيد السنة النبوية من خلال الحديث الصحيح فظهر امير المؤمنين السلطان محمد بن المولى عبد الله بن اسماعيل الحسني العلوي (المتوفى سنة 1204 هـ) وتصدر للتجميع والتصنيف فالف كتبه .
الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد (اربعة اسفار) (نسخة بالخزانة الزيدانية بمكناس تحت عدد 1718) وله ايضا الفتوحات الالاهية في احاديث خير البرية جمع في صفراه بعض احاديث الاحكام من الصحيحين ومسندي ابي حنيفة وموطأ مالك ثم الف الكبرى بعد ما وقف على مسند الامام الشافعي ومسند الامام احمد (المكتبة العامة 1985 د ـ 1408 د (مكتبة تطوان 6 / 55 / مكتبة القاهرة 134 د / ثماني نسخ بالمكتبة الملكية بالرباط. الفتوحات الكبرى (المكتبة الملكية 8140) وطبعت بالرباط عام 1364 هـ 1945 م) .
ويوجد شرح الفتوحات للسلطان محمد بن عبد الله نفسه (المكتبة الملكية 9450) والعربي بن الصديق ابن عبد الملك بن عبد السلام بن السلطان محمد بن عبد الله يعد من كبار رجال العلم والحديث (توفي 1288 هـ) (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 531 خ) وقد جلب الملك الهمام محمد بن عبد الله الى المغرب مسانيد ابي حنيفة واحمد الشافعي وامر علماء عصره بشرح مؤلف المعاني الحديثي فشرحه الشيخ التاودي ابن سودة ورتب اوقافا لسرد الحديث واملاء نظرياته كما حبست ارباح على قراءة البخاري بشرح ابن حجر (النيل ص 179) وكان الامراء في بلاد الشام قد اتخذوا نفس البادرة فقد ذكر النعيمي (المتوفى عام 927) في كتابه « الدارس في تاريخ المدارس » (ج 1 ص 14) انه كان من شروط الوقف في دمشق قراءة صحيح البخاري في ثلاثة اشهر من السنة كما وزع السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله على علماء فاس الاربعين النووية لشرحها (تاريخ الضعيف ص 311 ـ مخطوط المكتبة العامة بالرباط) وصنف علماء المغرب كما سنرى تعاليق وشروحا وحواشي ضافية حول كتب الصحيح فلمحمد بن الحسن العمراني الجنوي الفاسي المفتي المحدث المتوفى عام 1200 هـ (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 93) تعليق على ما كتبه السلطان المولى سليمان على بعض الاحاديث (المكتبة الملكية 1766) وكان اسم رجال الحديث وخاصة الامام البخاري يتردد على الالسنة في كل مكان في مجلس العلم وفي الشارع وداخل الاسر وحتى في الجيش ؛ فممن عرف من علماء المغرب بهذه النسبة ابو عمران موسى المصمودي الشهير بالبخاري (النفح ج 7 ص 160) ولعله هو موسى بن زيري الهسكوري (درة الحجال ج 2 ص 714) ومحمد بن محمد بن ابراهيم الزموري البخاري (الجذوة ص 231) وموسى بن باكر بن ياسين بن يموسن البخاري الهسكوري (الضوء اللامع ج 8 ص 301) ومحمد بن البخاري الدرعي (المعسول لمحمد المختار السوسي ج 16 ص 342) وقد نسب جيش السلطان مولاي اسماعيل العلوي الى البخاري فكان رجاله يسمون جنود البخاري يحملون في الحروب نسخة من الصحيح تيمنا بالحديث النبوي وكانت المجالس السلطانية تتفتق عن بوادر علمية كالتقييد الذي صنفه الشيخ الطيب بن كيران (المتوفى عام 1227 هـ) بمناسبة مذاكرة جرت في مجلس السلطان المولى سليمان العلوي وكان يترأس هذا المجلس شيخ جماعة العلماء مثل محمد التهامي بن حماد بن عبد الواحد الحمادي قاضي مراكش وآخر حفاظ المغرب (المتوفى عام 1249 هـ) الذي عين شيخ مجلس الصحيح بين يدي السلطان (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 225) ومن شيوخ السلطان محمد بن عبد الرحمن الذين كانوا يترأسون مجلسه في الحديث الصادق بن محمد الهاشمي الشريف السجلماسي (المتوفى عام 1279 هـ) وكان سلطان المغرب الحسن الاول قدس الله روحه يقرأ البخاري في الاشهر الثلاثة وله رسالة كتبها لسائر الامصار حضهم على التقوى واتباع السنة ؛ وفي عام 1290 هـ اقام سنة عيد الفطر بالرباط وختم به صحيح البخاري على العادة وكان فقيه المجلس هو الشيخ المهدي بن الطالب بن سودة وقد سردت في حفلة ختم البخاري عام 1290 هـ نيف وخمسون قصيدة أجاز عنها كل الشعراء (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 57 خ) ومن ملوكنا المحدثين المولى عبد الحفيظ (المتوفى عام 1356 هـ) الذي نظم « مصطلح الحديث » (طبع بفاس في 110 ورقات) وتوجد نسخة مخطوطة في (المكتبة الملكية عدد 3635) وقد صنف الشيخ عبد الحي الكتاني كتاب المنبح المنتخب المستحسن فيما اسندناه لسعادة المولى عبد الحفيظ بن مولاي الحسن (فهرس الفهارس ج 2 ص 135) كما الف الشيخ ابو حامد محمد المكي البطاوري الرباطي (المتوفى عام 1355 هـ) كتاب « الدروس الحديثية في المجالس الحفيظية » طبع بالرباط (في 128 ورقة) وتتجلى

4) رباعيات البخاري سماها « الفوائد الابداعية من وصية البخاري الرباعية »

— « شرح على البخاري » في أربعة مجلدات لمحمد بن يحيى بن عمر المختار الولاتي الشنقيطي امتاز بالتنبيه على كل حديث تمسك به مالك في الموطأ ، وله ايضا شرح مختصر ابن ابي جمرة وهو « سلم الفقه والدراية على أجمع النهاية » في اختصار البخاري (المكتبة العامة 2056 د في 174 ورقة) (الاعلام الشرقية ج 2 ص 179 / شجرة النور الزكية / الاعلام للمراكشي ج 6 ص 263 خ) ؛ ويرى ابن خلدون منذ القرن الثامن الهجري ان علماء المغرب اكبوا على صحيح مسلم خاصة واجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه ويكفي التنظير بين ما صدر حول الكتابين للتعرف على مدى اهمية كل منهما وقد انفردت مجالس لتدريس صحيح مسلم في الحواضر والبوادي منذ القرن الاول فهذا خلف بن عمر الباجي يدرس صحيح الامام مسلم في اغمات ويحضر درسه ابن الصيقل الشاطبي (المتوفى بفاس عام 500 هـ) (التكملة والاعلام للمراكشي ج 7 ص 105 خ) كما كان علماء فاس يدرسون صحيح مسلم طول السنة وقد صدرت حول صحيح مسلم مصنفات وتعليقات وتنقيدات وشروح نذكر منها على سبيل المثال : « اكمال المعلم شرح صحيح مسلم » (المكتبة العامة بالرباط 2073 د) للقاضي عياض « ومكمل اكمال الاكمال » لمحمد بن يوسف السنوسي (الجزء الاول فيه 549 صحيفة) (الجزء الثاني 457 صحيفة) (نسختان بالمكتبة العامة 2073 و 2275) (اكمال الاكمال هو لمحمد بن خليفة الامي) ويوجد ايضا (اكمال الاكمال لمحمد بن ابراهيم الليثي البقوري الاندلسي المتوفى بمراكش عام 707 هـ) (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 243) « واكمال الاكمال على صحيح مسلم » للشريف الادريسي ابي القاسم السلاوي تلميذ ابن عرفة التونسي وقد اقتصر على ابحاث ابن عرفة واصحابه (شجرة النور ص 250) .

— شرح مقدمة صحيح مسلم لابن المواق محمد ابن يحيى المراكشي قاضي فاس (المتوفى عام 642هـ) وهو تلميذ ابن القطان وله تعقيب على كتابه الموسوم بيان الوهم والايهام الواقعي في كتاب الاحكام (اي الاحكام الكبرى لعبد الحق بن الخراط في صناعة الحديث) .

— حاشية على صحيح مسلم لاحمد بن ابي المحاسن الفاسي الحافظ (المتوفى عام 1021 هـ) (مرآة المحاسن ص 151 / الصفوة ص 45 / النشر ج 3 ص 111 / السلوة ج 2 ص 321 / الدرر البهية ج 2 ص 276) .

— ختمة لصحيح مسلم واخرى للموطأ لمحمد بن جعفر الكتاني (المتوفى عام 1345 هـ) وله « نظم المتناثر في الحديث المتواتر » (طبع بفاس 1328 هـ) والرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (مصطلح الحديث) (المكتبة العامة 85) (طبع بيروت 1332 هـ) .

— « تعليق على صحيح مسلم » (المكتبة الملكية 5456 / 5536) لعيسى بن احمد الهدبي البجاشي بن الشاط .

— « زاد المسلم بما اتفق عليه البخاري ومسلم» لمحمد حبيب الله بن مايابى الشنقيطي (المتوفى بالقاهرة عام 1363 هـ) وقد عينه السلطان مولاي حفيظ مدرسا وخطيبا بمراكش واختارته مشيخة الازهر استاذ كلية اصول الدين (الاعلام الشرقية لزكي محمد بن مجاهد ج 2 ص 158)

— تعليق على الموطأ موسوم باضرب المسالك واخر على مسلم « ختمة على صحيح مسلم » (طبع بفاس) وتعليق ثالث على البخاري او ختمة لصحيح البخاري (طبع مرتين بفاس) التهامي بن الحاج المدني جنون (المتوفى عام 1331 هـ) كما له تتميم لبترات في حاشية ابن زكري على البخاري التي لم يكملها شقيقه (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 510 خ) ويتجلى مدى اقبال علماء المغرب على ختمات البخاري في تجديد طبعاتها علاوة على تواقر تدريسها او سردها ولا يقل ما صنفه المحدثون المغاربة في شرح موطأ مالك بن انس عما الفوه حول صحيح مسلم اذ لم يكن قد اناف عليه رجال الحديث بالموطأ فرحل بعضهم لاخذ صحيحها كابن حنين علي احمد الكناني الفاسي (المتوفى عام 569 هـ)حيث سمعها من الفزالي برواية ابن بكير (الذيل والتكملة ق 5 ص 151 / السلوة ج 2 ص 349) ؛ وقد سمع يحيى بن يحيى الليثي الطنجي عالم الاندلس والمغرب في عصره (المتوفى عام 234 هـ) الموطأ من مالك وسفيان بن عيينة (التهذيب ج 11 ص 300 / النفح ج 3 ص 332 / ابن خلكان ج 2

التحقيقات العجيبة والتخريجات الغريبة ما يكل عنه الخصر وقد اولع بها المتأخرون لنفاستها واستنتاجاتها الاصيلة والفرعية غير ان نسخة المؤلف فيها بتر لتلافي ما ضاع منه ابو عبد الله المدني جنون (1302 هـ) طبع الاصل والتكملة فى خمسة اسفار بفاس عام 1328 هـ (النشر ج 2 ص 140 / السلوة ج 1 ص 155 / الاستقصا ج 4 ص 28) ـ « مقدمة على صحيح البخاري » نسختان بخط المؤلف فى (المكتبة العامة 478 د / 283 د) لمحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم جسوس (1182 هـ) (السلوة ج 1 ص 330) ـ « شرح على صحيح البخاري الامام السدوسي الفاسي (نيل الابتهاج ص 353) ـ « شرح مشكلات فى صحيح البخاري (مبتور الاول) (المكتبة الملكية 6414 / 6451) لمحمد بن يوسف الحسني ـ « رسالة فى مناسبة ابتداء البخاري » بقوله « كيف كان بدء الوحي » لمحمد بن محمد بن قدور المراكشي الاسكندري المكنى الابيض ، وله ايضا « القول المستملح فى علم المصطلح » (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 294) ـ « حاشية على البخاري » و « اختصار القسطلاني على البخاري » و «اختصار الاصابة لابن حجر » لمحمد بن احمد بن عبد الله الجزولي الايسي الحضيكي (المتوفى عام 1189 هـ) (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 82) ، وكان حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن الحاج (المتوفى عام 1239 هـ) محدثا حافظا يستحضر حديث الصحيحين لا يعزب عنه من صحيح البخاري لا حرف ولا كلمة ولا ما يتعلق به من اللغة وتعليقه للبخاري مضمنه ذكر كل ما اتفق معه فى اخراج حديثه ومناسبة كل ترجمة لما قبلها وما بعدها ومصداق كل حديث من كتاب الله وكان فى تفسيره مجتهدا لا يتغير بتفسير وقد نظم مقدمة ابن حجر وشرحها فى سفر سماه « نفحة المسلك الداري لقارىء صحيح البخاري » (نسختان بالمكتبة الملكية بالرباط عدد 4616 و 6604) كما له رسالة فى لفظة قال الواردة فى اثناء اسناد الحديث (المكتبة الملكية 6628) و (المكتبة العامة 1755 د) ـ « شرح صحيح الامام البخاري ؛ لمحمد بن محمد البناني النفزي الفاسي مفتي المالكية بمكة (1245 هـ) (فهرس الفهارس ج 1 ص 163) ـ شرح على البخاري يسمى « نوافح الورد والعنبر والمسك الداري بشرح آخر ترجمة صحيح البخاري » (اربعة كراريس ـ المكتبة العامة بالرباط 892 د) لعبد القادر بن احمد الكوهن الفاسي المتوفى عام 1254 هـ بالمدينة المنورة (السلوة ج 2 ص 169 / شجرة النور ص 397) وله ايضا « منح الاهية ومواهب اختصاصية على ترجمة بدء الوحي من صحيح البخاري » (المكتبة العامة 1746 د) « ختمة صحيح البخاري » لاحمد بن الطالب ابن سودة شيخ الحديث بفاس (المتوفى عام 1321 هـ) واسمها « عون الباري على فهم آخر ترجمة صحيح البخاري » (طبعت بالمطبعة الحجرية بفاس فى 48 صحيفة) ، وكان يسرد الصحيح فى مجلس سلطان المغرب الحسن الاول قدس الله روحه .

— شرح لآخر ترجمة من صحيح البخاري لابي الفضل جعفر بن ادريس الحسني (المتوفى عام 1323هـ) وقد طبع على الحجر بفاس فى 28 ورقة .

— ختمة الامام البخاري لمحمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني المتوفى عام (1327 هـ) (ط على الحجر بفاس ص 150 ورقة) .

— املاءات وختامات رائعة على صحيح البخاري لاحمد بن موسى السلاوي (المتوفى فى عام 1328 هـ)

— افتتاحات وختمات على البخاري لاحمد بن قاسم جسوس (المتوفى عام 1331 هـ)

— « السر الساري من ثلاثية صحيح البخاري » (طبع بالرباط فى 50 ورقة) لمحمد بن علي دينية الرباطي (1358 هـ) .

— « المدد الساري من فتح الباري فى بعض ما يتعلق بآخر ترجمة من البخاري لعبد الرحمن بن محمد بن زيد العلوي (المتوفى عام 1365 هـ) .

— « لباب القاري من صحيح الامام البخاري » لابن الموقت محمد بن محمد المراكشي (1369 هـ) اقتطف فيه بعض احاديث البخاري دون ترتيب وطبع فى كراستين بمطبعة الحلبي بمصر (1359 هـ/1940م)

— ولشيخنا محمد المدني بن الحسني الرباطي (المتوفى عام 1378 هـ) :

1) اخبار البخاري (فى كراستين)

2) الميدان الفسيح من بسملة الصحيح

3) ثالث افتتاح لاصح الصحاح (المكتبة العامة 1821 د)

— « شرح الموطأ » لعمر الورياغلي (نسخة في مكتبة جامعة القرويين)

— « شرح الموطأ » لاحمد بن نصير الداودي (نسخة بمكتبة جامعة القرويين)

وكان بعض علماء الشرق أو نزلائه من المغاربة يستهدون بقبس علماء جامعة القرويين من حملة الشريعة وحماة السنة وحفاظ الحديث ومن جملتهم الشيخ محمد بن جعونة بن مالك الفاسي المصافري نزيل الاسكندرية (توفي عام 574 هـ) التي سمع الموطا بفاس من ابن الرمانة (طبقات القراء ج 2 ص 218) ، وقد كان علماؤنا من مجتهدي المذهب المالكي يرجعون الى نصوص الحديث لنقد بعض التفريعات المالكية كما فعل المحدث الراوية عمر بن عبد الله القرشي التونسي (المتوفى بمراكش عام 598 هـ) حيث صنف مجلدا في شواذ المذهب المالكي (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 120 ج) ، ولعلي بركة التطواني (المتوفى عام 1120 هـ) كتاب في الفقه جله احاديث (تاريخ تطوان لمحمد داود ج / ص 347 / النشر ج 2 ص 104 / غاية أولى المجد ص 39 / الانيس المطرب للعلمي ص 28 و 298) ، وقد نقل الحافظ ابن حجر « في الدرر الكامنة » « عن سير النبلاء » للذهبي أن ابن رشيد كان على مذهب أهل الحديث في الصفات لا يتأولها .

الرباط : عبد العزيز بنعبد الله

من الامثال : رجل بلا جود كملك بلا جنود ، وجود الرجل يحببه الى أضداده ، وبخله يبغضه الى اولاده ، قال صالح بن عبد القدوس :

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ... ويستره عنهم جميعا سخاؤه

تغط بأثواب السخاء فانني ... ارى كل عيب والسخاء غطاؤه

وحكي ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والتسليم : أتدري لما اتخذتك خليلا ؟ قال : لا يا رب ، قال لاني رأيتك تحب أن تعطي ولا تحب أن تاخذ ...

ص 216 / جذوة المقتبس ص 359 / المغرب 2 3 ص 163 / ابن الفرضي ص 44 / الديباج ص 350) كما سمعها كل من قرعوس وشبطون زيـاد بن عبـد الرحمن الذي ادخل الموطأ الى الاندلس فالزم هشام ابن عبد الرحمن الاموي الناس بمذهب مالك حوالي 170 هـ في حياة مالك .

— ومما صنف بهذا الصدد ايضا : تفسير موطا مالك لعبد المالك بن حبيب القرطبي (238) (معجم البلدان ج / ص 323 / تاريخ ابن الفرضي ج/ ص 225 / الديباج ص 154 / تذكرة الحفاظ ج 2 ص 107 / فهرسة ابن خير ص 202 و 265 / بغية الملتمس ص 364 .

— شرح على الموطأ اسمه « الدليل » لعبد الله ابن ابراهيم الاصيلي (المتوفى عام 392 هـ) اشار فيه الى الخلاف بين الامامين الشافعي وابي حنيفة قال الدارقطني لم ار مثله (الشدرات ج 3 ص 140 .

— « القبس في شرح موطأ مالك بن انس » لابن العربي المعافري (المتوفى بفاس عام 543 هـ) ، وتوجد نسخة من هذا الكتاب في خزانة جامعة القرويين (ج 25) ومكتبتي كل من الكتاني والكلاوي الملحقين بالمكتبة الوطنية بالرباط) ولابن العربي شرح ثان للموطأ هو « المسالك في شرح موطأ مالك » .

— « مشارق الانوار على صحيح الآثار » للقاضي عياض (المتوفى عام 544 هـ) وهو تفسير غريب الحديث المختصر بالموطأ والبخاري ومسلم طبع في جزئين بفاس عام 1328 هـ (توجد نسختان بالمكتبة العامة 181 — 1972) واربع نسخ في المكتبة الملكية (4037 الى 8198) .

— محمد بن سعيد بن أحمد بن زرقون الشريشي مسند الاندلس قاضي سبتة (المتوفى عام 586 هـ) له كتاب في الجمع بين المنتقى والاستذكار (في شرحي الموطأ للباجي وابن عبد البر) (يوجد المجلد الرابع بخزانة جامعة القرويين 145) ولمحمد بن عبد الحق ابن سليمان الكومي المغربي (المتوفى عام 625 هـ) « المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار » في عشرين مجلدا (300 ورقة) (فهرسة ابن خير ص86 / الاعلام للمراكشي ج 3 ص 98 / تكملة ابن الابار ص 256) .

— « تقريب المدارك في وصل المقطوع من حديث مالك » لعلي بن محمد بن محمد الفاسي المحدث الراوية (المتوفى في حدود 610 هـ) (الجذوة ص 298)

— « غريب الموطأ » لمحمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي قاضي تلمسان (المتوفى عام 625 هـ) ونزيل فاس ومراكش (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 98)

— « جني الجنتين في فضل الليلتين » (في بلاغات الموطأ) لابن مرزوق الخطيب محمد بن احمد صاحب السلطان ابي الحسن المريني (المتوفى عام 781 هـ) (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 26)

— « بغية المسالك الى شرح موطأ مالك » في ثلاثة أسفار (نسخة بالمكتبة الملكية عدد 8380) لعلي بن أحمد بن محمد الحريشي الفاسي (المتوفى سنة 1143 هـ) بالمدينة المنورة .

— شرح على موطأ مالك اسمه « تقريب المسالك أحمد بن التاودي بن سودة (توفي عام 1229 هـ)

— « حواش وتعليقات على الموطأ » (شرح الزرقاني) للسلطان مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي (المتوفى عام 1238 هـ)

— شرح على موطأ مالك اسمه « تقريب المسالك لموطأ مالك » لاحمد بن الحاج المكي المدراتي السلاوي (المتوفى عام 1253 هـ) (ويوجد الربع الاول لهذا المخطوط بالمكتبة العامة بالرباط عدد 252) ونسختان اخريان بنفس المكتبة عدد 2319 د / 2473 د (الجزء الثاني)

— « حاشية على الموطأ » لمحمد بن المدني جنون شيخ الجماعة بفاس وقاضي مراكش (1302هـ) (طبع بفاس في جزئين في 794 صحيفة)

— تقييد على الموطأ مع ختم لها لابي حامد محمد المكي البطاوري الرباطي (1355 هـ) وله ايضا شرح « الفقيه العراقي » في مصطلح الحديث (المكتبة العامة 1821 / 1851) و « شرح البيقونية في أقسام الحديث » (المكتبة العامة 1748 د)

— « شرح للموطأ » لابن المواق

2 ـ الامام البخاري وطريقه في دراسة الاحاديث ودراسة التاريخ لابداعية ، وتنسيق الافكار الاسلامية في العصر الحديث .

3 ـ الامام البخاري مهمة علماء الدين الاسلامي امام شعبه ، والانسانية ، والمبادىء الحديثة حول الاجتهاد في سبيل الحصول على العلوم والمثل العليا ، وحول وحدة المسلمين في الكفاح من أجل السلام والتقدم الاجتماعي .

4 ـ الامام البخاري ومشاكل التقدم الاجتماعي على ضوء تعاليم القرآن الكريم والاحاديث النبوية .

5 ـ الجامع الصحيح وحصول المسلمين على العلوم والتقدم التكنيكي العلمي العصري .

6 ـ الجامع الصحيح والمبادىء الانسانية والكفاح من اجل العدالة والتساوي والصداقة بين الشعوب ، وضد اي مظهر من مظاهر الاضطهاد والعدوان .

واذا دعيت الى المشاركة في هذا الحفل المبارك بمناسبة مرور الف ومائتي عام على مولد الامام محمد ابن اسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح من احاديث رسول الله (صلعم) ، فقد رأيتني مدفوعا الى ان ادلو بدلوي اسهاما مني في ايضاح جوانب موضوع من تلك الموضوعات الستة ، فاستعرضتها جميعا لاتخير من بينها ما ارى لدي قدرة على تناوله ، فوجدت كلا منها يقترن بقضية اجتماعية وفكرية لا غنى عنها للامة الاسلامية على طول التاريخ وتطور الاحداث وتجدد الاوضاع عبر الازمنة المتوالية كلها .

ولا اكتم الحقيقة حينما اذكر انني تساءلت عند النظرة العابرة الاولى على عناوين هذه الموضوعات فقلت ما للبخاري ، وجامعه الصحيح ، ولهذه القضايا التي لم تطرا في عالم الواقع والفكر الا بعد وفاة البخاري وتاليفه لجامعه الصحيح بقرون وقرون ؟

غير ان ذاكرتي لم تلبث ـ فور ذلك ـ أن امدتني بالاجابة عن هذا التساؤل ، وذلك من خلال تجربة لي مع البخاري وكتابه الجامع الصحيح ، اثناء اعدادي لرسالتي عن : (الاقتصاد الاسلامي مذهبا ونظاما ـ دراسة مقارنة) التي حصلت بها على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة الازهر الشريف بمصر ، وتلك هي انني ـ وانا بصدد الكلام في تلك الرسالة عن عوائد الانتاج التي يقرها الاسلام ـ تعرضت للكلام عن : « الاجر » عائدا للعمل من وجهة نظر الاسلام ، حيث سطرت للكلام عن مجالات العمل : زراعة ، وصناعة ، وتجارة .

وفي كلامي عن « العمل » في مجال الزراعة ذكرت أن النبي (صلعم) لم يقتصر على مجرد بيان اباحة الزراعة ، وانما امر بها في مثل قوله (صلعم) : « من كانت له أرض فليزرعها » (1) . بل واغرى بها وشجع عليها ، فقال : « ما من مسلم يغرس غرسا ، او يزرع زرعا ، فياكل منه طير او انسان او بهيمة ، الا كان له به صدقة » (2) ، بيد اني وجدت ـ في نفس الوقت ـ ان النبي (صلعم) ، حينما رأى « السكة » (3) ببعض دور الانصار ، قال : « ما دخلت هذه دار قوم الا دخله الذل » (4) وناهيك بهذا تنفيرا من الاشتغال بالزراعة .

وحينئذ الفيت نفسي أمام تعارض في النصوص النبوية ـ وكل منها صحيح ـ اذ بينما بعضها يامر بالزراعة ويغري بها ، اذا ببعض آخر يندد بآلة الزراعة بما ينفر منها .

ولا اكتم الحقيقة ، ايضا ، اذا قلت ان وقفتي طالت كثيرا امام هذا التعارض الى ان تقدم الى الامام البخاري ـ في بصيرة العلماء التي تخترق حجب الغيب ، وتجتاز اعناق القرون ، عبر المستقبل البعيد مدركة ضرورة « كفاية » الامة ، ذاتيا ، في مجالات الاقتصاد الاساسية الثلاث ، وهي : الزراعة والصناعة والتجارة بما لا يحوجها الى اعدائها في اي منها ، فتكشف في عبارة أو عبارات قصيرة عن المنهج السوي في هذه المجالات حتى تبقى للامة قوتها ، وتدوم لها عزتها .

---

1) اخرجه احمد وابو داود والنسائي وابن ماجة ومسلم والبخاري .
2) رواه انس .
3) السكة بكسر السين المهملة مشددة بالكسر ، وتشديد الكاف مفتوحة تعني الحديدة التي يحرث بها الارض .
4) رواه البخاري .

الإمام البخاري والاقتصاد الإسلامي

مذهباً ونظاماً

للدكتور ابراهيم الطحاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبي المصطفى الامين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الاوفياء الصادقين ، الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، حربا وسلما ، عملا وعلما ، ادبا وفهما ، فكانوا فى الدنيا من الفائزين ، وفى الآخرة من الناجين الراضين المرضيين ، وعلى كل من نهج نهجهم ، فى حفظ الدين والحفاظ على الوحدة والعزة للمسلمين، من الائمة المجتهدين، والعلماء المخلصين، والعاملين المجددين .

اما بعد :

فلم تكن السنة فى عصر الصحابة ، وكبار التابعين مدونة فى الجوامع ، ولا مرتبة فى الاسانيد ، لامور ثلاثة :

اولها : لانهم كانوا فى بداية الامر قد نهوا عن ذلك ، خشية ان يختلط بعض ذلك بالقرآن الكريم.

ثانيا : لسعة حفظهم ، وسيلان اذهانهم ، وحضور ذاكرتهم .

ثالثا : لان اكثرهم كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة .

ثم حدث فى اواخر عصر التابعين تدوين الآثار، وتبويب الاخبار ، بعد ان انتشر العلماء فى مختلف الاقطار والامصار ، واحتاج الامر للرد على موجات الابتداع من الخوارج وغيرهم من منكري الاقدار .

فلما راى البخاري (رضي الله عنه) التصانيف التى صنفت قبله فى هذا المجال ، وجدها ـ بحسب الوضع ـ جامعة بين ما يدخل تحت الصحيح وغيره ، بل وجد ان الكثير منها يشمله التضعيف. ومن ثم تحركت همته لجمع الحديث الصحيح ، الذى لا يرتاب فيه. وقوى عزمه فى ذلك ما سمعه من استاذه اسحاق بن راهويه عندما قال : « لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله (صلعم) .. قال البخاري (رضي الله عنه) فوقع ذلك فى قلبي، فاخذت فى جمع الجامع الصحيح.

ويقول البخاري ، ايضا ، فى اسباب انطلاقه لتصنيف جامعه الصحيح : رأيت النبي (صلعم) وكانني بين يديه ، وبيدي مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبرين ، فقال لي : انت تذب الكذب عن رسول الله (صلعم) فهو الذي حملني على اخراج الجامع الصحيح .

وليس المقام مقام التعريف بالبخاري أو بالجامع الصحيح ، بصفة عامة ، فيكل ذلك تفيض كتب السنة والرجال ، وانما المجال متعلق ببعض جوانبهما فقط على نحو ما تضمنته قائمة الموضوعات المطروحة للكلام فى هذا الاحتفال العظيم ، وهي ستة موضوعات ، ثلاثة منها خاصة بالامام البخاري ، وثلاثة خاصة بجامعه الصحيح ، وذلك كالآتي على نحو ما اطلعت عليه :

1 ـ الجامع الصحيح للامام البخاري منبع لا ينفد للفكر الاسلامي ، والمرشد الحيوي للمسلمين فى كل زمان ، ومرجع لطلاب العلوم .

صورا صارخة لتحلل الاقتصاد فى امتنا الاسلامية .

ومن ثم فلكي تتجه جهود المسلمين ، وطاقاتهم ، وثرواتهم ، الى ميادين الانتاج جميعا ، لا بد لنا من العودة الى وصايا واحاديث رسولنا عليه وآله الصلاة والسلام لتصبح الارض لمن يزرعها فعلا ، على ان تدفع التعويضات العادلة لملاكها غير العاملين فى الزراعة ، ليتمكنوا من توجيهها ، بمعاونة الدولة ، وبارشادها لميادين انتاجية اخرى . نحن فى اشد الحاجة اليها ، صناعة وتجارة ، باعتبار ذلك ضرورة لتحقيق نهضتنا الشاملة ، وسعادتنا الكاملة .

ولا ادل على صحة وجهة النظر هذه ، فى هذا المجال ، من انه ما كادت تصدر فى مصر قوانين الاصلاح الزراعي سنة 1952 وما بعدها — بما نصت عليه من تحديد الملكية الزراعية — حتى اتجه الناس نحو توظيف اموالهم فى مجالات الاستثمار والانتاج غير الزراعة ، تصنيعا وتقدما تكنولوجيا ، وتصريفا تجاريا ، وما كان يمكن لهذه الاموال — وهي تقدر بالملايين الكبيرة — ان تجتذب الى هذه المجالات لو ان الامر استمر فى مصر — بالنسبة لحرية استثمار اموال فى الارض الزراعية واستغلالها — على ما كان عليه قبل قوانين الاصلاح الزراعي :

والمبادىء الاقتصادية الاسلامية تمدنا فى هذا المجال باغزر مدد ، فالاقتصاد الاسلامي يقر مبدء التخطيط والتوجيه ، انطلاقا من :

1 — ان ملكية المال فى الاسلام ، وظيفة اجتماعية ، وليست لمصلحة صاحبها وحده . ومن ثم فعلى مالك المال ان يستمره فى سد حاجاته وحاجات من حوله بما لا يتعارض مع مصلحة الجماعة . وعن طريق استثمار المال فى المجتمع الاسلامي وتنمية الانتاج فيه تدور عجلة الاقتصاد بما يعود بالخير على الافراد ، الذين تتاح لهم فرص العمل من جهة ، ويتسير لهم ولباقي افراد المجتمع الحصول على حاجاتهم من جهة ثانية ، ويأتي انتشار الرخاء والرفاهية بين الجميع من جهة ثالثة .

... المال اذا عطله صاحبه عن الاستثمار ، اخذا من قول الله تعالى : « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم (6) » وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى تعطل الارض المحجرة عن الاستثمار : « من أحيا ارضا فهي له ، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » .

3 — ان رفع مستوى المعيشة وتعميم الغنى بين افراد الامة هدف اسلامي اصيل ، ولن يتأتى هذا الا عن طريق تنظيم استثمار المال ، وعدم تعطيله عن اداء وظيفته فى تحقيق الخير للجميع . ومن ثم حارب الاسلام الاحتفاظ بالمال دون استثماره ، وتوعد معطله باشد انواع الوعيد فى الآخرة بقول الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون (7) » .

وبهذا يضمن الاسلام استمرار استثمار جميع الموارد الطبيعية والمالية فى المجتمع . ومن ثم يكون على صاحب المال ان يستثمر ماله ، وان يعمل على تنميته وتشغيله ، متبعا ارشد السبل فى وجوه التنمية ومستخدما الاساليب العلمية الملائمة ، مستفيدا من التقدم التكنولوجي ، مطورا أساليب العمل فى ميادينه ، بما يساعد على تطور مجتمعه وازدهاره ، حتى يؤتي المال والعمل خير الثمار بما يعود بالنفع على الفرد وعلى المجتمع ، والا يكون من حق الحاكم — اي الدولة — ان يتدخل ليوجه المال لخدمة المجتمع وخيره ، بحيث لا يتركز فى فرع واحد من فروع النشاط الاقتصادي ، كالزراعة فقط ، او صناعة فقط ، او التجارة فقط ، او اثنتين من هذه الثلاثة فقط ، او فى جانب واحد من جوانب أي من هذه الفروع كصناعة الكماليات ، والتركيز عليها ، مع الحاجة الى صناعة بعض الضروريات بما يكفي الحاجة الفعلية منها للمجتمع ، فيوجه الاستثمارات الى كل الميادين المختلفة التي يحتاج اليها المجتمع ، وبالنسبة التي تحتاجها هذه الميادين ، سعيا وراء تحقيق التوازن السليم بين أوجه ومجالات النشاط

---

5) على سبيل المثال كانت تزرع القطن لتصدر أكبر كمية منه الى مصانع الغزل فى يوكشير وأمثالها فى انجلترا .

6) الايتان رقم 34 ، 35 من سورة الحشر .

7) الاية رقم 7 من سورة الحشر .

اقول تقدم الى الامام البخاري ــ وانا فى حيرتي تلك ــ بما اخرجني من مأزقي ، حينما وضع النقط على الحروف بعنونته للباب الذي ذكر حديث « السكة » المذكورة ، ضمن احاديثه بقوله : (باب ما حذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع ، وتجاوز الحد الذي امر به) ، مما يؤكد انه استنبط من جملة احاديث الامر بالزراعة والتنديد بآلتها ما يأتي :

1) ان الامر ــ فى مجال الزراعة ــ ليس على اطلاقه ، وانما هو مقيد بعدم تجاوز الحد بما يجني على الصناعة والتجارة ، الا ووجه للتحذير من الاشتغال بشيء صدر بخصوصه نفسه امر واغراء من ذات المحذر ، الا ان يكون المراد من التحذير هو عدم الاقتصار على المامورية وحده ، دون غيره من بقية الانشطة الاقتصادية الاخرى ، التي تحتاجها الامة الاسلامية، تحقيقا لاكتفائها واستقلالها الذاتي اقتصاديا، او على الاقل عدم الزيادة فى ممارسة الزراعة على نحو يجوز على زميلتها فى القوائم الاساسية للاقتصاد ، وهما الصناعة والتجارة بالقدر الواجب .

2) ان الامر فى بقية المجالات الاقتصادية ــ صناعة وتجارة ــ يجب ان يكون كالزراعة تماما ، ملتزما بما يحقق التوازن السليم بينها جميعا ، فلا يجني الاشتغال باحدهما على ما يجب ان يكون عليه بالنسبة للاشتغال بالاخر ، بحيث تتحقق ــ بصفة دائمة ومنتظمة ــ « كفاية » حاجة الامة الاسلامية من كل منها . ومن ثم لا يكون هناك مجال لتحكم اعدائها فيها ــ سلما او حربا بسبب القصور او تجاوز الحد فى اي منها .

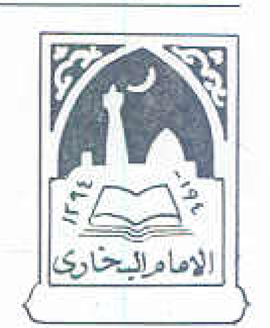
3) ان الامر ، بالنسبة لجميع المجالات الاقتصادية يعطي لولى الامر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث « السكة » ، المشار اليه ، حق التدخل بالتوجيه . . حظرا واباحة ، وتقصا وزيادة ، وتطويرا وتغيرا ــ اذا اختل التوازن السليم بينها ــ بما يحقق التوازن المطلوب فيها لصالح الامة الاسلامية .

4) ان الامر فيما يتعلق بتطبيق احاديث الامر بالزراعة والاغراء بها انما يكون فقط عندما يكون التوازن السليم متحققا بين مجالات الاقتصاد الثلاثة ، اما اذا كان مختلا ، فيكون مجال التطبيق لحديث « السكة » المنفر من الاستكثار من الزراعة والاقبال عليها .

5) ان الامر فيما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قد كشف عن معجزة ومعلم من معالم صدق نبوته صلى الله عليه وسلم ، اذ انه بحديث « السكة » المذكورة ــ قد اخترق حجب المستقبل ، وتخطى احقاب الزمان المقبل ، فرأى ان جميع الدول المتخلفة المستذلة ، هي تلك التي اعتمدت على الزراعة وحدها ، كنشاط اساسي لاقتصادياتها ، واستكثرت منها ، غير ملقية بالا الى الصناعة والتجارة بالقدر الذي تحتاجه فعلا لكفايتها الذاتية اقتصاديا ، او على الاقل بالمقدار الذي لا يدع مجالا لتحكم الغير فيها ، فهذا هو ما اكدته الاحداث فيما بعد ، حينما اقتصر معظم جهد الامة الاسلاميةعلى الزراعة وحدها ، مما كان سببا فى تعطيل المجتمع الاسلامي ، وتبديد طاقاته فى مجال يقصر ــ بطبيعته ــ عن ان يحقق « الكفاية » لجميع احتياجاته ، وادى ــ تبعا لذلك ــ الى ما يعانيه حاليا ، من التخلف فى جميع المجالات ، حتى المجال الزراعي نفسه .

وفى ضوء هذا الفهم الدقيق الملهم من الامام البخاري (رضي الله عنه) لاحاديث الاغراء بالزراعة والتنفير منها ، لو اننا تتبعنا حالة المجتمع الاسلامي الآن لوجدنا ان حاجته قد اصبحت تتمثل ــ اكثر واكثر ــ فى ضرورة توفير اكبر قدر من جهد الامة الاسلامية ، واموالها ، وتوجيهها الى مجالي الصناعة والتجارة ، حتى تتحقق لمجتمعنا فرصة التغلب على عوامل تخلفه الحالية ، والتمكن من اللحاق بركب الحضارة العالمية ، وممارسة مستوى التقدم العالمي العام على الاقل ، مما يستلزم الاقلال من الحوافز والعوامل التي كانت تغري الناس بالاقبال على استثمار اموالهم عن طريق تملك الارض الزراعية فقط، واستغلالها ، والاكثار من الحوافز التي تدفعهم الى استثمار طاقاتهم وجهودهم وأموالهم فى مجالي الصناعة والتجارة ، بما يحقق للامة الاسلامية « كفايتها » فى المجالات الثلاثة ، وما يترتب على هذه الكفاية من قوة الامة وعزتها ورفعتها ، فلا تستغل حاجتها فى اي مجال منها لما يضر بوحدتها واستقلالها، أو عزتها وكرامتها .

ولعل من المفيد ان اشير هنا الى ان المجتمع المصري كان يحتوي فيما قبل سنة 1952 على طاقات جبارة ، وأموال كثيرة ، وجهود بشرية ضخمة ، ولكنها كانت كلها ، او على الاقل معظمها ــ مركز فى شراء الارض وتأجيرها وبيعها ، دون الالتفات الى اهمية التجارة والصناعة ، مما ادى الى جعل المجتمع المصري متخلفا ، كل جهده ان يكون مزرعة



الجامع الصحيح

والمبادئ الإنسانية والكفاح من أجل السلام والعدالة ، وضد أي مظهر من مظاهر الاضطهاد والعدوان

للأستاذ محمد بنعبد الله

مدخل :

هنالك ظاهرة ذات ملامح واضحة تدعو الى التامل والاعتبار ، واثر كبير فى الثقافة الاسلامية تستدعي الاهتمام فى العصر الذى نبغ فيه الامام البخاري ، وقد تنبه لهذه الظاهرة العلامة الكبير عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الذى لاحظ فى فصل هام عقده فى مقدمته تحت عنوان فى ان « حملة العلم فى الملة الاسلامية اكثرهم العجم » ، لا من العلوم الشرعية ، ولا من العلوم العقلية الا فى القليل النادر وان كان منهم العربي فى نسبته ، فهو عجمي فى لغته ومرباه ومشيخته » لان العلوم ، كما ذكر ذلك فى فصل آخر ، من جملة الصناعات ، والصناعات من خصائص الحضر ، والحضر فى ذلك العهد ، هم العجم ، ومن فى معناهم من الموالي ، ثم قال : فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد ، فما بعد ، احتيج الى وضع التفاسير القرآنية ، وتقييد الحديث مخافة ضياعه ، ثم احتيج الى معرفة الاسانيد ، وتعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من الاسانيد وما دونه. ثم كثر استخراج احكام الواقعات من الكتاب والسنة. وفسد مع ذلك اللسان ، فاحتيج الى وضع القوانين النحوية ، وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات فى الاستنباطات والاستخراج والتنظير والقياس ، واحتاجت الى علوم اخرى ، وهي وسائل لها من معرفة قوانين العربية ، وقوانين ذلك الاستنباط والقياس ، والذب عن العقائد الايمانية بالادلة لكثرة البدع والالحاد ، فصارت هذه العلوم كلها علوما ذات ملكات محتاجة الى التعليم ، فاندرجت فى جملة الصنائع ..

ومن المعلوم ان ابن خلدون رحمه الله كان قدم فى الفصل الحادي والعشرين من الباب الخامس : « ان الصنائع من منتحل الحضر ، وان العرب ابعد الناس عنها ، فصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد عنها العرب وعن سوقها ، ثم قال ابن خلدون : والحضر لذلك العهد هم العجم او من فى معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم فى الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف ، لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس ... فكان صاحب صناعة النحو سيبويه ، والفارسي من بعده ، والزجاج من بعدهما ، وكلهم عجم فى انسابهم ، وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن اهل الاسلام اكثرهم عجم . او مستعجمون باللغة والمربى ، وكان علماء اصول الفقه كلهم عجما كما يعرف ، وكذا حملة علم الكلام . وكذا اكثر المفسرين ، ثم قال ، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم ، وظهر مصداق قوله عليه الصلاة والسلام : « لو تعلق العلم باكناف السماء لناله قوم من اهل فارس » هـ .

ويؤكد دقة ملاحظة ابن خلدون من الحركة الفكرية فى الثقافة العربية الاسلامية ما نراه من ان

الاقتصادي وفقا لخطة شاملة قائمة على دراســة مصادر الانتاج ، وتقدير الاحتياجات بالنسبة لكــل منها ، زراعة وصناعة وتجارة ، وهي مصادر الانتاج التي تتوقف حاجة المجتمع المادية على ثلاثتها معا ، ذلك أن المجتمع كما يحتاج الى الزراعة للحصول على المواد الغذائية ، فكذلك يحتــاج الى الصناعــات المختلفة في شؤونه المتعددة من ملابس ومســاكــن ومرافق متنوعة ، وبالاخص فيما يتعلق بحفظ كيان الدولة والدفاع عنها ولا سبيل الى ذلــك كلــه الا بالصناعات ، كما يحتاج ــ في نفس الوقــت ــ الى تبادل المواد الغذائية والمصنوعات مع الاقاليم والبلاد الاخرى ، مما يؤكد ضرورة الاحتفــاظ بالزراعــة والصناعة والتجارة على مستوى يحقق الاكتفاء الذاتي للمجتمع الاسلامي من كل منها ، وخاصة ان ذلــك يتفق مع المبدأ الاسلامي الذي يوجبه الاســلام على اهله ، وهو مبدأ : استقلال الجماعة الاسلامية ذاتيا ، بالنسبة لتوفير كل ما تحتاج اليه من الضروريــات والحاجيات لجميع ابنائها ، لتظل محتفظــة بكيانهــا وعزتها ، ونظمها وتقاليدها ، وخيرات بلادها . ومــن ثم فاذا كان من قضايا العقل والدين أن « ما لا يتــم الواجب الا به فهو واجب » وكانت « كفاية » الجماعة الاسلامية و « امنها » اول ما يوجبه الاسلام على اهله ، وكان ذلك متوقفا على هذه الاعمدة الثلاثة ، فان كــلا منها يكون واجبا كما ان تنسيقها وتهيئة الخبرة لهــا على الوجه الذي يحقق تلك الغاية منها ، يكون واجبا كذلك ، وبالتالي كان من واجب ولي الامر في الجماعة الاسلامية المهيمن على مصالحها وتوجيهها ، ان يعمل على تنسيقها بحيث لا يترك الاموال تتجه الى تركيــز نوع واحد منها دون سواه او تركيز جانب من فــرع تكون الحاجة الى غيره اشد منه ، كما عليه ان يحول بعضا منها الى بعض آخر ، وفقا لحاجة البلاد المبنية على تحقيق مصالحها ، على الوجه الذي يجعلها غنية بنفسها عن غيرها ، فلا يجد الاجنبي بابا للتدخل في شؤونهــا .

امــا بعــد :

فعلى بما ذكرت اخذا من الامام البخاري (رضي الله عنه) حينما عنون في جامعه الصحيح للباب الذي ضمن فيه حديث « السكة » المشار اليه بقولــه : (باب ما حذر من عواقب الاشتغــال بآلــة الزرع ، وتجاوز الحد الذي امر به) ، مستنبطا لهذا العنوان من مجموع الاحاديث النبوية في مجال الزراعة ، قد جعل بهذا الاستنباط ــ وأمثاله كثيرة ــ من جامعــه الصحيح منبعا صافيا للفكر الاسلامي ، ومرشدا حيويا للمسلمين في كل زمان ، ومرجعا فريدا لطلاب العلوم، ومركز اشعاع للمبادىء الانسانية والكفاح من اجــل العدالة والتساوي والصداقة بين الشعوب ، وضد أي مظهر من مظاهر الاضطهاد والعدوان . وما ذلــك الا نتيجة لطريقته الفذة في دراسة الاحاديث وتنسيق الافكار الاسلامية ، مما يسر مهمــة رجال الديــن الاسلامي في معالجة المبادىء الحديثة حول الاجتهاد في سبيل الحصول على العلوم والمثل العليا وحول واجب المسلمين في الكفاح من اجل السلام والتقدم الاجتماعي وتهيئهم لتحصيل كل ما يحقق لهم التقدم التكنيكي العلمي العصري على مدى الاعصر المتوالية .

فرضي الله عن امامنا البخــاري ، امامــا في الحديث ، واماما في فهم الحديث ، واماما امتد نفسه وامتدت بصيرته منذ الفي سنة ، الى ما شاء الله ، بما يفيد الامة الاسلامية في كل ما يحقق لهــا دوام النهضة والتقدم ، والعزة والسؤدد ، في جميع مجالات الانشطة الانسانية على ظهر هذا الكوكب الذي نعيش عليه منذ هبط عليه ابونا آدام وحواء ، عليهما السلام ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وسلام عليه يوم ولد ، وسلام عليه يوم مــات ، وسلام عليه كلما روى أو قرىء ، حديث من مروياته الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

د. ابراهيم الطحاوي

وانما توطنت بين اهل البلاد الذين بدأوا بعد تعلم اللغة العربية يضيفون الكثير الى الانتاج الاسلامي..

واذا كانت مدارس ما وراء النهر قد ازدهرت فى عهد الطاهريين والسامانيين حينما برزت بخارى وسمرقند كمراكز للعلم والثقافة ، فليس من شك فى ان الخطوات الاولى التى ادت الى هذا التطور قد تمت فى القرن الثاني والثالث ، فلم يكن ذلك الانبعاث نتيجة انتفاضة طارئة ، او طفرة مفاجئة ، بل كان نتاج تطور طبيعي تعاقب اجيالا ، وثمار بذور زكية غرستها ايد كثيرة مومنة مخلصة ، ثم سهرت على رعايتها ، وتعهدها بالري والسقيا ، فآتت اكلها شهيا ..

وقد انفق مسلمو ما وراء النهر جهودا كبرى بذلها ابناء هذه البلاد فى نشر العلم والثقافة الاسلامية ، ويكفي ان نشير الى ان عطاء هذه المدن كان من الوفرة والغزارة ما حفل به التاريخ الاسلامي لهذه البلدان ...

فبخارى انجبت اعظم محدث فى الاسلام ، وصاحب اصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ، وهو الامام محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ، ونيسابور انجبت مسلم ابن الحجاج صاحب الصحيح، وترمذ اعطتنا ابا عيسى الترمذي ، وسجستان أعطتنا ابا داود صاحب السنن ، ونسا انجبت النسائي صاحب السنن ايضا ، وقزوين اعطتنا ابن ماجه ، كما جادت بلاد ما وراء النهر بالامام الكبير محمد بن اسماعيل القفال صاحب محاسن الشريعة ، وولده ابي القاسم الشاشي صاحب التهذيب ، ونظام الدين الشاشي وابن الهيثم ابن سعيد الشاشي صاحب المسند فى مجلدين ، والمشهور بمحدث ما وراء النهر، وجار الله الزمخشري ، ويوسف السكاكي، وعبد القاهر الجرجاني ، وسعد الدين التفتازاني، والعلامة الشريف الجرجاني ، وشمس الدين السرخسي صاحب المبسوط ، وعلي ابن ابي بكر المرغيناني صاحب الهداية ، وعبد الله بن احمد النسفي صاحب التفسير ، وابن منصور الماتردي الذى كان يلقب « بامام الهدى » و « امام المتكلمين » و « مصحح عقائد المسلمين » و « رئيس اهل السنة » ، وابي بكر الخوارزمي الكاتب الاديب، والشطرنجي الصولي الاديب المعروف ، وابي النصر الفارابي المعلم الثاني ، وابي زيد البلخي ، وبني موسى ابن شاكر ، وابي

وعلومها ، والجوهري الذى اهدى الى الامة العربية معجمه اللغوي ... فظهر مما سقنا ان اولئك العظماء من ابناء العجم قد اصطنعوا العربية لغة علمية لهم ، والفوا فى العلوم العربية نفسها وفى العلوم الدينية ، فهم اذن عرب ، عرب بلغتهم ومؤلفاتهم ، فمن التعصب ان نعدهم غير عرب ، وقد كان اليونان يحكمون على كل من يتكلم اليونانية بانه يوناني ... فلماذا لا نحكم على كل من يتكلم العربية لغة اصيلة له بانه عربي !!

— ❊ —

وان الامة التركستانية لتفخر بعلمائها الافذاذ، وابطالها الاشاوش ، ومجاهديها الاوفياء الذين فتحوا عذارى المماليك ، وابتسلوا نفوسهم للموت، ورفعوا رؤوسهم للحياة فسجلهم التاريخ على صفحات الخلود ..

وقد حفل التاريخ بكثير من اعلام سمرقند المدينة المجاهدة التى يقام فيها هذا الاحتفال الفخم الضخم لذكرى الامام البخاري ، نذكر من بينهم : علاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء ، والذي تثقفت عليه ابنته فاطمة ، فكانت الفتوى تخرج وعليها خط فاطمة وخط ابيها ، وابا القاسم اسحاق بن محمد السمرقندي الماتريدي مؤلف كتاب : « السواد الاعظم » والمتوفى سنة 342 هـ ، وشمس الدين محمد السمرقندي الفيلسوف الاديب الذى الف نحو 1291 رسالة فى آداب البحث المعروفة بآداب السمرقندي ، وهي من اشهر الكتب فى هذا الفن ، ومؤلف كتاب « قسطاس الميزان » فى المنطق ، وابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي المعروف بالدارمي صاحب كتاب « السنن فى الاحاديث » المتوفى عام 255 هـ ، ونجيب الدين الطبيب الشهير الذي كان من اهل القرن السابع معاصرا لفخر الدين الرازي ، والذى مات مقتولا فى هراة لما دخلها التتر ، له « الاسباب والعلامات فى الطب » جمع فيه العلل وانواع معالجتها ، وعبد الرازق الكاشي السمرقندي مؤلف : « معجم فى مصطلح الصوفية » المتوفى عام 887 هـ ، وابا سعيد عبد الله بن محمد المؤرخ الذى عاش ابان القرن الثالث الهجري ، ونزح الى سمرقند وصنف عنها تاريخا حافلا ، وابا الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندى الحنفى المشهور بامام الهدى ،

الاديب المؤرخ صاحب التآليف الكثيرة كعيون الاخبار ، وكتاب المعارف ، وابو العتاهية شاعر الزهد ، وابو عبيدة معمر بن المثنى العالم باللغة والغريب واخبار العرب وايامها ، وذو النزعة الشعوبية ، والفراء ابرع الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب ، وسيبويه الامام المقدم فى النحو وتدوينه ، والكسائي احد الائمة الاعلام فى النحو واللغة والقراءات ، وهو احد اقراء السبعة ، وبشار بن برد احد المحدثين من الشعراء ، وحماد الراوية جامع المعلقات العشر ، وراوي كثير من الشعر الجاهلي ، والامام ابو حنيفة النعمان امام المذهب ، وابو عمرو الشيباني والتبريزي والجرجاني ، وواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وابو الهذيل العلاف ، والنظام ، والفارابي ، والرازي ، وابن سينا ، وابن رشد ، والطبري ، وابن مسكويه ، والبلاذري ، وابن خلكان ، كل هؤلاء ، وكثير غيرهم ممن لا يأتي عليهم الاحصاء كانوا فرسا وكان لهم اثر كبير فى الثقافة الاسلامية».

وقد كان العالم الكيماني جابر بن حيان وهو من اعظم مفكري العرب فى القرن التاسع الميلادي يقول : « خلق الله للابواب مفتاحين ، وضع احدهما عند العرب ، ووضع الآخر عند العجم فاذا ضاعت المفاتيح بقيت الابواب مقفلة .

ونحن لا نشاطر ابن خلدون الحكم فى اطلاقه ، ولا نسير معه فى ارسال الكلام على عواهنه ، وغلوه غلوا ابعده عن الصواب ، فنقص الناس اقدارهم ، وبخس العرب نصيبهم الاوفى والاوفر فى المشاركة : ذلك انالبلدان العجمية اذ ذاك كانت تزخر بالعرب الذين استقر لهم الامر ، واستدف لهم الحكم فى ما وراء النهر ، فاخذوا يمارسون الحياة الفكرية بنشاط وهمة ودؤوب واخلاص ، بيد ان العنصر العجمي كان اقدر على التدوين والتأليف ، والجمع والتبويب بلغتهم هم وآباؤهم ، فلما دخلوا فى الاسلام وتعلموا العربية ، كان تأليفهم بالعربية سهلا ميسورا ، وغلو ان يدعي ابن خلدون ان هؤلاء العلماء العرب هم عجم بالمربى ، فان المربى كان مزيجا من عرب وعجم ، فلئن كان سيبويه فارسيا ، فشيخه الخليل ابن احمد عربي ، وكذلك اشتهر من العرب فى العلوم اللغوية المازني وابن دريد والمبرد والازهري والنضر بن شميل ، بل ان الخليل بن احمد العربي القح اول من دون كتابا فى النحو املاه على تلميذه سيبويه ، واول من استنبط اوزان الشعر العربي ، ولئن كان والشافعي واحمد ابن حنبل عرب ، وليس من علماء اصول الفقه عجما ، كما يقول ابن خلدون ، فواضعه ، واول من الف فيه الشافعي وهو عربي كما هو معلوم .

بل ان ابا حنيفة تلقى اكثر علومه على حماد بن سليمان ، وحماد هذا ينتسب بالولاء الى قبيلة « أشعر » اليمنية ، وقد تلقى حماد على عربيين يمنيين هما ابراهيم النخعي وعامر الشعبي ... وان اشهر تلاميذ ابي حنيفة ثلاثة : ابو يوسف ، ومحمد وزفر ، وليس من الانصاف ان نتناسى مالك بن انس وهو اول من الف فى الفقه الاسلامي من العرب ...

ومن عجب ان بعض الباحثين شاطروا راي ابن خلدون فيما ذهب اليه منهم « بروان » فى قوله : « لو انك نزعت من العلوم العربية نصيب علماء الفرس فيها لنزعت خير نصيب ، ومنهم « فون كريمر » اذ يقول : « لقد وضع النحو العربي اجانب من الآراميين والفرس لحاجتهم الى تعلم العربية كتابة وقراءة ؛ وغالى « بول دي لاجارد » فى زعمه ان المسلمين الذين برعوا فى العلوم آريون كلهم ، وليس من بينهم سامي واحد ...

ومن عجب ايضا ان هؤلاء المستشرقين الذين اخذوا عن ابن خلدون رايه اعتمدوا على اساس قول مبتور له فى مقدمته حيث يقول : « ان العرب اعرق فى البداوة وابعد عن الصنائع » وقد تجاهل هؤلاء عن قصد بقية النص الذي يقول : « ان اسباب الحضارة والترف بالعواصم التي انشأها العرب عبر الفتوحات الاسلامية دفعت أولئك العرب من العصور الاسلامية الاولى الى استخدام ملكاتهم الفكرية لاستنباط اصناف الصنائع ومركباتها .

— * —

ولعل الفضل الاكبر يعود الى العباسيين العرب الذين مكنوا للحركة الاسلامية العميقة من ان تمضي فى سبيل نجاحها ليكتسب اقليم ما وراء النهر فى مستهل القرن الثالث طابعا اسلاميا واضحا صريحا.

والحق ان العباسيين كان لهم دور بارز فى انتشار الاسلام والثقافة العربية فى بلاد ما وراء النهر ...

وقد تبع انتشار الاسلام سير الثقافة فى طريقها المرسوم ، فلم تعد ثقافة الوافدين من العرب،

حفص السمرقندي النسفي الذى يعد من كبار فقهاء الحنفية ويلقب بمفتي الثقلين ، والعالم بالتفسير والادب والتاريخ والذي له نحو مائة مصنف ، والذي كان يقول : اروي الحديث عن خمسمائة وخمسين شيخا ، وقد ولد بنسف نخشب ثم انتقل الى سمرقند هو ابو هارون الاغماتي المغربي الاديب الذي عاش في العصر المرابطي ، وقال عنه : « قدم علينا ابو في هذا الكتاب عن عالم مغربي شهير قدم الى سمرقند هو ابو هارون الاغماتي المغربي الاديب الذي عاش في العصر المرابطي ، وقال عنه : « قدم علينا ابو هارون سمرقند سنة 516 هـ ، وهو شاب فاضل، فقيه مناظر ، بليغ شاعر ، ومحدث محاضر .. »

وقد اعجب السمرقندي بنبوغ المغربي ابي هارون وذكائه وعبقريته ، وشغوفه في اللغة والادب حتى لقد قال فيه :

لقد طلع الشمس من مغربها
على خافقيها ، واوساطها
فقلت : القيامة قد اقبلت
وقد جاء اول اشراطها

وتحدث عنه السمرقندي ايضا في كتابه السالف الذكر بقوله : « وموسى بن عبد الله الاغماتي قدم علينا سنة 516 هـ وبقي عندي اياما ، وكتب عني الكثير ولاجله جمعت كتابا سميته « عجالة النخشبي ، لضيفه المغربي » .

ومن شعره يتحرق شوقا الى وطنه ، ويرسلها تحية حارة من اقصى الشرق الى اقصى الغرب :

لعمر الهوى اني ، وان شطت النوى
لذو كبد حرى ، وذو مدمع سكب
فان كنت في اقصى خراسان نازحا
فجسمي في شرق ، وقلبي في غرب

وقد انشد هذين البيتين ابا حفص السمرقندي كما ذكر ذلك في كتابه « القند ، في علماء سمرقند »

كما ان بخارى ، وبصفة خاصة ينسب اليها خلق كثير من ائمة المسلمين في فنون شتى كأبي زكرياء وعبد الرحيم بن احمد بن نصر التميمي البخاري الحافظ المتوفى عام 461 هـ ، كما انجبت الشيخ الرئيس ابا علي ابن سينا حكيم الاسلام البخاري المتوفى عام 428 هـ ، وابا عبد الله الناتلي، واسماعيل الزاهد استاذي الشيخ الرئيس ، ومحمد بن سلام البيكندي ، ومحمد بن يوسف ، وعبد الله بن محمد المسندي ، وهارون بن الاشعث ، وهم من اساتيذ الامام البخاري ، وطاهر بن احمد بن عبد الرشيد بن الحسين افتخار الدين البخاري الفقيه الذى يعد من كبار الاحناف وصاحب « خلاصة الفتاوي » و « الواقعات » و « النصاب » توفي عام 542 هـ وعبد العزيز بن احمد بن محمد علاء الدين البخاري الفقيه الحنفي الذى كان من علماء الاصول ، وله تصانيف منها : « شرح اصول البزدوي » في مجلدين ، وشرح « المنتخب الحسامي » ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن خير الله البخاري من اعلم اهل الشام في عصره بالحديث ، اصله من مدينة بخارى سكن نابلس بفلسطين ، وتوفى فيها بالطاعون ، له « القول الجلي » في ترجمة ابن تيمية، ومحمد صالح الرضوى نسبا ، السمرقندي اصلا ومولدا ، البخاري طلبا للعلم ، المدني سكنا ومدفنا المتوفى بها عام 1263 م وهو علامة كبير ، زار المغرب اواسط القرن الثالث عشر ، وترجمته في فهرس الفهارس ، ومحمد بهاء الدين النقشبندي الذى كان رئيس طريقة لها عدد من الاتباع غفير في تركيا ، وامتدت حتى بلغت اندونيسيا ، والف كتاب «الحياة» و « دليل العشاق » وقد كان له كثير من الاتباع والمريدين ، ولد في بخارى وقضى فيها معظم سني حياته الى غيرهم من الاعلام..

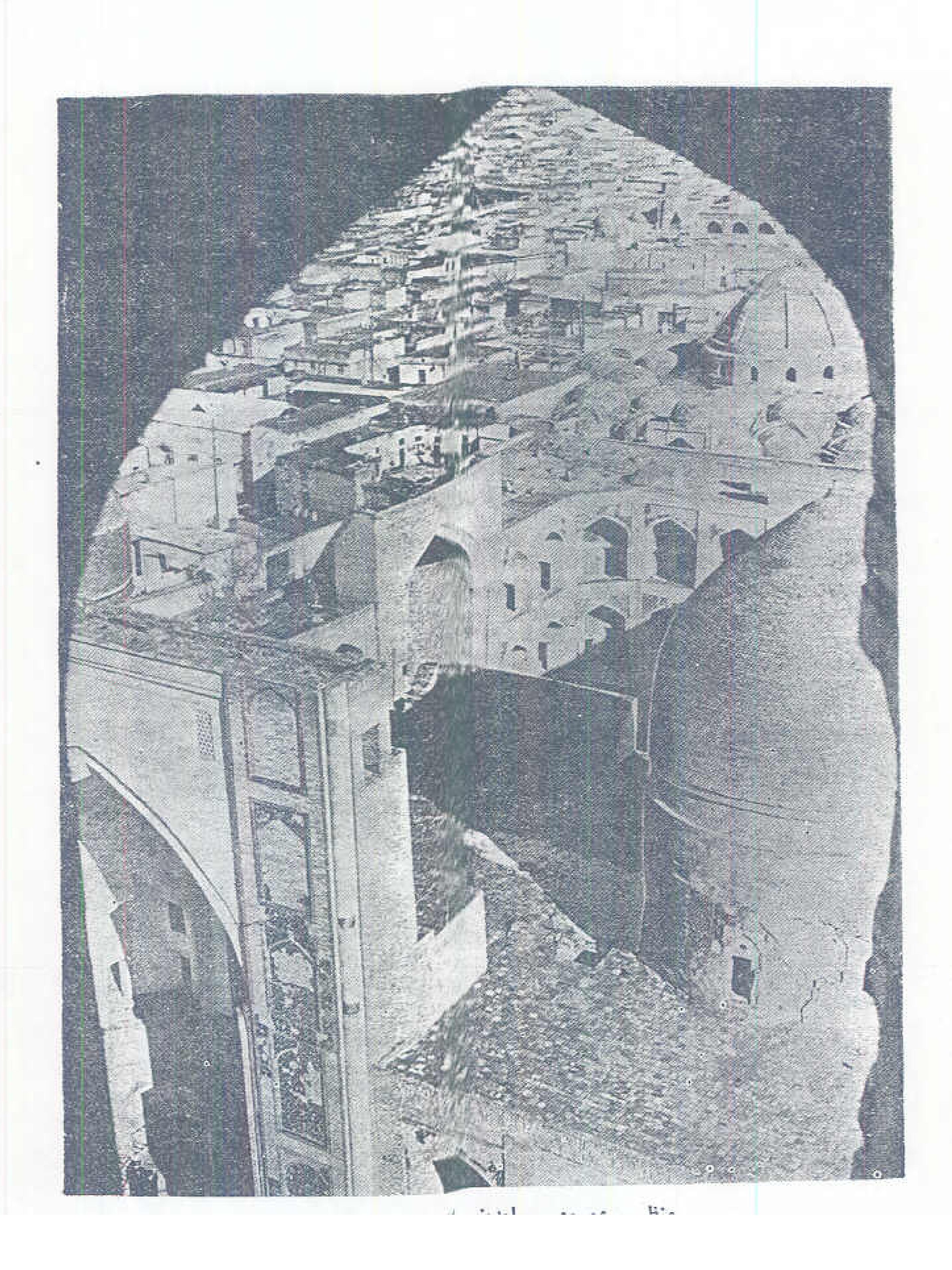
وان هذا الانتشار العلمي الشامل ليس انتشارا للعقيدة الاسلامية فحسب ، وليس مجرد صراع بين الاسلام وبين الديانات الاخرى ، وانما هو انتشار للغة العربية وثقافتها ذات الطابع الديني المعروف .

ولقد كان علماء العجم يعتزون بتعلمهم العربية وعلومها ، ويفاخرون باقبالهم على تراث العرب وحضارتهم ، ويحمدون الله الذي هداهم الى دين الاسلام ، فهذا الامام الزمخشري يقول مفتخرا :

« الله احمد ان جعلني من علماء العربية ، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية ، وابى لي ان انفرد عن صميمهم وامتاز ، وانضوي الى لفيف الشعوبية وانحاز ، وعصمني من مذهبهم الذى لم يجد عليهم الا الرشق بالسنة اللاعنين ، والمشق بأسنة الطاعنين »

— * —

ولما تولى الخلافة المتوكل كان كثير من تلك البلاد قد استقل عن سلطان الخليفة العباسي ،



لقد كان عطاء ما وراء النهر كثيرا وغزيرا وفى شتى الميادين وفى كثير من حقول المعرفة والثقافة ، ولعل ابرز هذا العطاء شخصية الامام البخاري الذى اكتمل فى هذا العام على ميلاده مرور 1200 عام . تقررت المنظمات الاسلامية بلدان فى الاتحاد السوفياتي الشاهرة على احياء التراث والامجاد، وبعث الشخصيات الاسلامية التى قامت بادوار فريدة فى تاريخ البشرية ، بما يليق بجلالهم ومكانتهم العلمية فى التاريخ القديم والحديث واقامة احتفالات دينية. وعقد مؤتمر فى هذه المدينة التاريخية العريقة .

— * —

ولقد خلف لنا الامام البخاري كتابه الجامع الصحيح ، وكله تفسير للقرآن ، وبيان من السنة للآيات البينات التي تدعو الى المحبة والتضامن الانساني وتحديد العلاقات بين افراد المجتمع البشري ، ومقاومة مظاهر الاضطهاد والتخلف والعنت والارهاق .

— * —

وان الباحث الدارس فى تاريخ الحضارة البشرية اليوم يجد آثارا جلية واضحة لحضارة الاسلام فى الغرب ، كما انه يجد كثير من الدعوات الغربية التى تدعو الى السلام ، وحقوق الانسان ، وحرية الافراد والشعوب ، قد جاء بها القرآن ، وحث عليها دين الاسلام ، وشرحتها سنة الرسول ، وسجلها امامنا البخاري فى صحيحه ، ولم تكن الا اصداء لما تضمنه القرآن من حكم غالية ، ومواعظ سامية ، ودستور عظيم فى السلوك الانساني والقواعد الاخلاقية والقوانين الدولية ..

لقد دعا الاسلام الى الوحدة البشرية ، والتضامن الانساني ، والمبادىء القويمة ، والكفاح من اجل العدالة والتساوي والصداقة بين الشعوب ، وضد اي مظهر من مظاهر الاضطهاد والعدوان منذ ما يربو على اربعة عشر قرناً ، فلم ينكر دينا من الاديان ، او يكذب نبيا من الانبياء او يفرق بين احد من الرسل ، ولم يكن حربا على عقيدة من العقائد ، وانما انكر ما فيها من تزييف وتشويه وتحريف ، ورسول الاسلام يخبرنا بانه لبنة من اللبنات التى ساهمت فى تشييد صرح الايمان ، ومعالم الحضارة البشرية ، ووضع اللمسات الاخيرة فى بناء المجتمع الانساني :

اليس رسول السلام يقول :

مثلي ومثل الانبياء قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا ، فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون له : « هلا وضعت هذه اللبنة » لا فانا تلك اللبنة ، وانا خاتم النبيئين .. »

وهكذا جاء الاسلام داعيا الى دعوة لم يتقدم لها مثيل فى تاريخ الرسل والمصلحين ، وجاء محمد بختم الرسالة فلم يكن بدعا من الرسل ، جاء بالعقيدة السامية والاصول العامة التي جاءوا بها ، ولكنه جاء مبشرا بالرشد الديني ، وبختم النبوءة ، فاشتملت دعوته على اشياء لا قبل للديانات بها من قبل، فى مقدمتها تواحيد الاسلام.. فقد نظر الاسلام الى الكون والى البشر نظرة شمولية متكاملة عامة ، واراد ان تكون هناك وحدة كونية ينسجم بها الانسان مع الكون ومع اخيه الانسان وكيفما كان وفى اي مكان وجد ، فالعالم منتظم فى وحدة واحدة ، والكون متحاب متجاذب ومتعاطف .

هو الحب اكسير الحياة بلا مرا
ولولاه ما كان الوجود كما ترى

وصدق الله العظيم : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور » .

وقد عقد الامام البخاري بابا واسعا فى مقدمة كتابه الجامع الصحيح ساق فيه عدة احاديث كلها تؤول الى شعب الايمان ومن ابرزها افشاء السلام وانه حق من حقوق المسلم على اخيه ، ومن موجبات البشر ، ومن دواعي المحبة والالفة بين المسلمين ، وهي احاديث متواترة ، رواها عن النبي (ص) ابو هريرة وعبد الله بن عمر والزبير بن العوام والبراء بن عازب وعبد الله بن سلام وابو شريح وابو الدرداء وابو امامة وجابر وابن مسعود وانس وعمران بن حصين وسيل بن حنيف وابو موسى الاشعري وعبد الله بن مغفل وابو مالك الاشعري ومالك بن التيهان والمقدام بن شريح عن ابيه عن جده ، وشيبة الحجبي عن عمه ومعاد بن انس ، ومن طرق هذه الاحاديث قد اخترنا منها حديثا اندرج تحت هذا الباب « كتاب الايمان ».

باب اطعام الطعام من الاسلام

قال الامام البخاري : حدثنا عمر بن خالد ، قال

فرأينا الدولة السامانية فى بلاد ماوراء النهر ، والدولة الصفارية تضم فارس وخراسان وسجستان وكرمان ، والدولة الزيدية العلوية فى جرجان وطبرستان .

ولم يستقل السامانيون بحكم بلاد ما وراء النهر الا فى سنة 361 هـ ، وكانوا قبل ذلك ، ومنذ عهد المامون يحكمون البلاد ، خاضعين لسلطان الخليفة العباسي وفي ظل الاستقلال اقام السامانيون فى تلك المنطقة دولة عظيمة استمرت حتى سنة 389 هـ ، حيث انتهت على ايدي سبكتكين من جهة ، والترك الخاقانيين من جهة اخرى .

وقد قدم هؤلاء السامانيون اجل الخدمات للعلوم الاسلامية واللغة العربية وآدابها .. فيقول المقدسي فى ملوك السامانيين ووصف بلاد ما وراء النهر وخراسان : « انه اجل الاقاليم ، واكثرها اجلة وعلماء ، وهو معدن الخير ، ومستقر العلم ، وركن الاسلام المحكم ، وحصنه الاعظم وملكه خير الملوك ، وجنده خير الجنود فيه يبلغ الفقهاء درجة الملوك (1)

واما ملوك السامانية فكانوا سلاطين ما وراء النهر وخراسان وكانوا احسن الملوك سيرة ومن ولي منهم كان يقال له سلطان السلاطين لا ينعت الا به ، وصار كالعلم لهم ، وكان يغلب عليهم العدل والعلم والدين .

وكان للسامانيين فضل على الحركة الفكرية واسعة النطاق فى البلاد مما ساعد على انجاب عدد لا يحصى من العلماء المتخصصين فى شتى مجالات العلم من تفسير وفقه وحديث ولغة وادب .

لقد استقى نفوذ الدولة السامانية فيما وراء النهر او فى بلاد التركستان واصبحت من اعظم الدول نظاما واكثرها استقرارا ، واوفرها ثروة فى القرن الثالث والرابع الهجري . وكان دورها فى الاحياء الفارسي اوضح الادوار ، فانطلقت من قصور امرائهم اعظم القصائد ، وحج اليهم كبار الشعراء ، وحفل عهدهم بحركة ادبية عظيمة سواء باللغة العربية التى افاض فى الحديث عنها ابو منصور الثعالبي والمقدسي ، او باللغة الفارسية التى افاض فى شرحها المؤرخ اللامع الاستاذ محمد عوفي ، بل ان ظهور الفارسية الحديثة انما يرجع الفضل فيه الى السامانيين ، فقد بعثوا اللغة الجديدة مكتوبة بقلم عربي ، واستخدموها لغة لبلاطهم وحكومتهم ، بل نجد بعض اهل الفتيا فى بلاطهم يفتي بجواز الصلاة باللغة الفارسية كاللغة العربية ..

لقد كان من اولى ثمرات الاستقلال الساماني فيما وراء النهر ، تمكن الحركة الاستقلالية من البلاد ، وانتصارها انتصارا لا تقهر من بعده ، وتمكن الثقافة العربية من البلاد ، وصيرورة الاقليم مركز اشعاع ثقافي اسلامي عظيم امتد اثره شرقا حتى الصين ، وشمالا حتى كاشغر ، وغربا حتى حوض الفولجا ..

يقول الثعالبي :

كانت بخارى فى الدولة السامانية مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع افراد الزمان ، ومطلع نجوم ادباء الارض ، وموسم فضلاء الدهر .. »

ويجمع مؤرخو هذه الفترة على ان الحركة الفكرية ، والنهضة الاسلامية الكبرى انبعثتمن مدارس ما وراء النهر ، ولاسيما فى بخارى .. ويجب التنبيه ان مستوى الرخاء ، ومظاهر الثروة ، وتشجيع العلماء ، ورجال الفكر ساعد على تشجيع الحركة العلمية ونموها ، وقد ساهم السامانيون فى هذا البعث بتشجيعهم الحركة العلمية وتقديرهم لرجال العلم ، وقد عمل اسماعيل بن احمد الساماني الذي وزر له الرئيس ابن سينا على توطيد ملكه وسلطانه فى بخارى بمعونة الفقهاء ، بل انه اعفاهم من تقبيل الارض بين يديه ، وكان يختار نخبة من فقهاء الحنفية ، ورجال العلم فى بخارى لاخذ رأيهم فى المسائل الهامة ..

وفى القرن الثالث بالذات نشطت حركة جمع الحديث ونقده ، وتمييز الصحيح من الضعيف ، وتشريح الرجال والحكم لهم او عليهم ، فكان بذلك خير العصور اذ فيه الفت اهم كتب الحديث ، وكانت الكتب المؤلفة بعده مستمدة منه ، ومبنية عليه .. وشان الحديث فى ذلك شان كثير غيره من العلوم ..

ففي هذا العصر الف الامام البخاري الجامع الصحيح ، والف مسلم صحيحه ، وفيه الفت سنن ابن ماجة ، وسنن أبي داود ، وجامع الترمذي ، وسنن النسائي ، وهي التى تسمى كما لا يخفى ، عادة الكتب الستة ، والتى عدت اصح كتب الحديث.

---

(1) احسن التقاسيم المقدسي ص 294 — وفيات الاعيان ج 4 ص 245 .

لمخاطبة الجاهل السفيه الاثيم فقال فى سورة الفرقان: «واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما ..» والجنة سميت « بدار السلام » فى قوله تعالى : « والله يدعو الى دار السلام » وقوله : « لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون » .

ويلاحظ فى جميع العبادات وانواع الطاعات انها تدريب عملي للمسلم على السلام ، مع نفسه ومجتمعه والعالم الذى يعيش فيه باعتبار ان الاسلام دين عملي لا يكتفي بالدعوة النظرية ، فهو دائما يشفعها بالتطبيق والعمل ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا : « اللهم انت السلام ، ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والاكرام » .

ونخاطب النبي اثناء التشهد فى الصلاة بقولنا: « السلام عليك ايها النبي » ، وهي تحية كريمة من الله عز وجل لعبده ورسوله المسالم الوديع الامين الذى لم يقابل السيئة بالسيئة بل يعفو ويصفح . وقد اضطر صلى الله عليه وسلم الى الحرب اضطرارا ، فكانت كلها سلاما ، لانها ما شبت الا لردع اعداء السلام ، والقضاء على كل معوقات انتشاره وسيادته على وجه الارض التي ما استخلفنا الله فيها الا لنعمرها لا لنفسد فيها ونسفك الدماء فنحقق بذلك ارادته سبحانه وتعالى :

الحرب فى حق لديك شريعة

ومن السموم الناقعات دواء

ثم ينطقنا الله بالسلام على انفسنا وعلى جميع عباده الصالحين وبذلك يرد الله على تحيتنا له وسلامنا على رسوله صلى الله عليه وسلم ... « فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة» فيقول المصلي فى التشهد : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ، ويقول الرسول (ص) : « اذا قال العبد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ، اصابت كل عبد صالح فى السماوات والارض » .

وقد جاء فى كتاب « روح الصلاة » للسيد عفيف طبارة : « وفى النطق بالسلام عند انتهاء كل صلاة تنويه واكبار من الله لشأن السلام ، والحرص على غرسه فى قلوب المؤمنين ، فالاسلام مشتق من السلام ، وهو يدعو الى السلام لقوله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » ويامر اتباعه ان يحيي بعضهم بعضا بلفظ « السلام عليكم » وما ذلك الا ليكون المسلمون دعاة سلم على الارض » .

ولم يستخدم الاسلام فى يوم من الايام القوة والعنف لنشر مبادئه ، بل لم يجعل الحرب ذريعة من ذرائع نشر الدعوة الاسلامية ، فقال فى كتابه العزيز : « وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم ، فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ ..»

فالله سبحانه اذن لم يجبر المسلمين على استخدام القوة فى نشر دينهم ، بل امرهم ان يدعوا الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلوا بالتي هي احسن .. ولم يأمرهم باستخدام وسائل البطش والتدمير والتعذيب فى معاملة اعدائهم ، وفعل الرسول بمصداق قوله تعالى : « وما انت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » .

بل ان المودة الموصولة لا يقطعها الحرب ، ولا الاختلاف فى الدين ، ويروى انه فى مدة صلح الحديبية بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا اصابتهم جائحة ، فارسل عليه السلام الى ابي سفيان زعيم الشرك فى مكة خمسمائة دينار ليشتري بها قمحا ، ويوزعها على فقراء قريش .. وقد عقد ابن تيمية فصلا فى رسالة القتال بحث فيه الباعث على القتال ، اهو اعتداء الكفار على الاسلام، ورد اعتدائهم ؟ ام الباعث على قتال الكفار كفرهم ؟ وذكر أن ثمة اختلافا بين الفقهاء ، فقرر ان جمهور الفقهاء يقررون ان الباعث على القتال هو رد اعتداء على المسلمين ، ونسب الى بعض الشافعية ان الباعث على قتال الكفار كفرهم والتمكين الدعوة الاسلامية التي هي فى عنق المسلمين اذ ان عليهم ان يدعو الى الاسلام حتى تستمر كلمة الله هي العليا ..

وفى الحق ان النصوص القرآنية تسند ذلك الراي الذى اختاره ابن تيمية وقرر انه راي جمهور الفقهاء ، ذلك لان الدعوة الى السلام فى القرآن مطلقة غير مقيدة ، بينما اباحة القتال نجدها فى كل نصوص القرآن مقيدة بانها من مقابلة الاعتداء بمثله، فالله سبحانه يدعو الى السلام فيقول : « يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين » . وقال تعالى: « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ،

حدثنا الليث عن يزيد عن ابي الخير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : اي الاسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرا السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف ...

وقد اورد البخاري رضي الله عنه هذا الحديث في ثلاثة مواضع من صحيحه هذا اولها في باب اطعام الطعام من الاسلام .

والثاني في كتاب الايمان في باب افشاء السلام من الاسلام .

والثالث في كتاب الاستئذان : باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ، كما رواه البخاري في الادب المفرد باب التسليم بالمعرفة وغيرها عن شيخه قتيبة بن سعيد بمثل اسناده ومتنه في الصحيح ، وفي باب من كره تسليم الخاصة عن عبد الله بن صالح عن الليث بمثل اسناده ومتنه ..

وقد قال عمار بن ياسر رضي الله عنه في الحديث الموقوف المروي عنه كما جاء في باب الايمان الذى عقده الامام البخاري في ابوابه الاولى : ثلاث من جمعهن فقد جمع الخير كله : انصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار ..

ويلاحظ هنا بان الشراح لم يتكلموا كثيرا عن معنى هذا الحديث ، ولعلهم لم يكتبو الا اسطرا قليلة لا تتجاوز الاصابع عدا ، تعود كلها لبيان القواعد كالنحو واللغة وما الى ذلك ، وسنحاول شرحه في ضوء الموضوع الذي اختير لهذه المحاضرة :

ايها الاخوة والسادة :

ان عالمنا اليوم يعيش حضارة قاحلة مجدبة ، خالية من المحتوى الروحي ، مجردة من معنى المحبة والتعاطف والسلام بين افراد المجموعة البشرية ، معرضة عن مقاصد الاسلام التى جعلت من وكدها بذل السلام للعالم بقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » ..

وان بذل السلام الذى ورد في الحديث الشريف والذى هو شعبة من شعب الايمان لا يدل على مجرد قراءة السلام على من عرفناه وعلى من لم نعرف ، بل ان المقصود ، وكما يوخذ من حديث

وبث الطمانينة والامن بحيث نهتم بسلام الناس اجمعين ، ونبذل ما نستطيعه من جهد وجهاد وتعاون مع ذوي النيات الحسنة ، والرغبة الصادقة حتى يحل السلام في العالم محل الحروب ، والامن الخاص والعام مكان الخوف والقلق من مصائب اليوم والغد ، فليس بالخبز وحده يحيا الانسان كما يقول السيد المسيح ، وانما يحيا بالحب والتعاون والتعاطف والتعايش والسلام ولاسيما في عصرنا الحاضر الذي انمار بالقحط الروحي الذي يعيشه اليوم عالمنا ، والرعب المخيف الفظيع الذى قد يؤدي اليوم او غدا الى فناء شامل قد ينتهي بالانسانية باكملها ..

ولا امل للحياة البشرية الا عن طريق الاسلام الذي عاشت في كنفه الملل والنحل المتباينة في أمن وحرية في ممارسة الطقوس والشعائر ، وقد ربى الاسلام من يعيش في داره من مسلمين وغيرهم على ان يتكافلوا اجتماعيا ، فاوقف المسلمون اوقافا هامة لغيرهم من ابناء الملل الاخرى ، وعاملهم ابناء الديانات الاخرى بالمثل ، وقد ظل هذا العرف ساريا في مجتمعات الشرق الاسلامي الى ان افسده بعض الحكام ممن اعمتهم الشهوات والمطامع ، وطمست على قلوبهم الاهواء لا ريب اذن في ان يربي الاسلام اهله على افشاء السلام والمحبة والاخاء بين البشر ، فهو دين الامن والسلام ، بل ان المادة اللغوية التى اشتقت منها لفظة الاسلام هي السلام ، فقد جاء في كتاب الفكر الخوالد للسيد محمد علي : « الاسلام كما تفهمه من معناه اللغوي هو الدخول في السلام ، أما المسلم فمعناه اللغوي الرجل الذى اهتدى الى الاسلام » . ومن اسماء الله الحسنى « السلام » وتحية المسلمين « السلام » وتحية اهل الجنة « السلام » .

ويحض الاسلام ، دين المحبة والاخاء على السلام، بل انه نفسه مشتق من السلام ، وقد دعا الله سبحانه وتعالى الى السلام ، وكانت ليلة القدر التي هي خير من الف شهر هي ليلة السلام بقوله تعالى :

« سلام هي حتى مطلع الفجر »

كما دعا بالسلام على الانبياء والمرسلين فقال في سورة الصافات : وتركنا عليهم في الآخرين سلام على ابراهيم ... على نوح في العالمين ... على آل

الاسلامية فى هذا القرن عن دعوة صادقة فى الرجوع الى صفاء العقيدة التى تدعو الى العمل ، وطهارة الايمان الذى يبعث على الخلاص ، وقواعد الحضارة والثقافة العربية والاسلامية التى تدعو الى الفوز والنجاة ، والحرية والاستقلال ، والمحبة والسلام .. وان هذه الهزات النفسية التى يمر بها العالم اليوم والتى كان من آثارها ان زعزعت الايمان ، واستخفت بالاخلاق ، واستهانت بالقيم والمثل العليا ليست الا رعشة عارضة عابرة فى كيان الانسانية، رعشة القلب المبهور بكشوف العلم ، وفتوحات العقل المأخوذ بروعتها ، والمشدوه بجلالها .

لقد بات عالمنا اليوم يعيش لحظة انبهار وذهول بما حققته الحضارة الغربية من انتصارات باهرة فى ميدان السيطرة على المادة ، وتألقت كشوف العلم ، واومض سناه امام الانسان ، وترافصت امامه اضواء النظريات فى عهد مزدحم بالتيارات الفكرية ، والمبادىء المتباينة ، كما زخرت دنياه بالوان معجبة زاهية استهوت الناس ، واستمالت نفوسهم ، وملكت زمام امرهم فاذهلتهم عن معاني الروح ، وصرفتهم عن لذة المحبة والسلام فغرقوا فى لجة المادية ، وغشيتهم غاشية الزيغ ، فضلوا الطريق القويم ، وتنكبوا المنهج القاصد ، وكفروا بفاطر الارض ، ومنزل الوحي ، وواهب الحياة ..

ان الاسلام يرى فى انسان القرن الثالثعشر الهجري انسانا نضجت مداركه وتفتحت ملكاته ، واتسعت آفاق نظرياته فى ملكوت السماوات والارض ، وما خلق الله من شيء ، وكل هذا جدير بأن يبلغ به يوما مبلغ الايمان الوثيق ، ويصل به الى درجات الاحسان ، ويملأ قلبه بالمحبة والسلام .

واذا وجهنا النظر اليوم الى بعض التطورات المتلاحقة فى عالم الاسلام فاننا نلاحظ يقظة دينية فكرية وسياسية ، كما نلمس نزعة طيبة ترمي الى العودة الى الاسلام ، وتهدف الى الرجوع الى تعاليمه ، حيث الدواء الناجع فى حمى الدين ، السلامة المطمئنة فى ظلال اليقين .. ومتى انتشرت هذه اليقظة .. واستعاد المسلمون ايمانهم بالله ، وثقتهم بمبادىء رسوله ، وتمسكوا بالعروة الوثقى دحروا الاستعمار ودمروا أركان الظالمين . واحلوا مبادىء المحبة والعدالة والتساوي والصداقة والسلام بين الشعوب ...

لقد امتاز القرن العشرون ، رغم ما أصاب المسلمين فيه من محن وضغوط ، واستبداد بتنبه وعي المسلمين الذين استيقظوا من سباتهم وغفلاتهم. وتحقيق استقلال البلدان الاسلامية العربية والافريقية والاسيوية التى فكت عنها قيود عقالها ، وتحررت من اسارها ، بفضل زعماء الاصلاح الذين ايقظوا راقد العزم ، وارصدوا الاهب للبعث والتطوير ، والتحرير والتنوير ، فكان لهم الفضل الاكبر فيما ظهر فى هذا القرن من اصلاح ديني ، وتجديد اخلاقي . وتطور اجتماعي .. وكذلك بفضل الدعوات المتكررة التى تدعو المسلمين الى ان يتسلحوا بالتقنية والعلوم الحديثة ، والاعتماد على النفس ، والاستقلال التام الذى يتشخص فى الاكتفاء الذاتي وتطوير العقلية لهضم مفاهيم الحياة المتطورة المتجددة ، وامتصاص ما تقتضيه متطلباتها ومستلزماتها فى نطاق الاخلاق والدين والضمير مما يدفع بهم الى حياة حرة طليقة تتضوع بأريج السعادة الراضية ، وتنتشي باستقلال تام ناجز .

ان العالم الاسلامي كما هو معلوم ، يزخر بطاقات بشرية راقية ، ويفيض بثروات مادية كبرى فى ارضه وسمائه ومائه الى جانب ثرواته الروحية العظيمة التى لا تتم السعادة والرخاء الا بها .

وما اجدره بهذا كله ان يستعيد عزته وكرامته، ويتبوأ مكانته فى المعمور اللائقة به ، وعندئذ يشهد العالم كله نهضة العالم الاسلامي التحريرية الباعثة على الاعجاب والاجلال حيث يكون لها تاثير حاسم فى تقرير مصير العالم .

الرباط ــ محمد بنعبد الله

. هو السميع العليم ، وان يريدوا ان يخدعوك فان
سبك الله ، هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين
لف بين قلوبهم ، لو انفقت ما فى الارض جميعا ما
ت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم ، انه عزيز
كيم .. » وقال سبحانه : « ولا تقولوا لمن القى
يكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا
ند الله مغانم كثيره ، كذلك كنتم من قبل فمن
ه عليكم » ويقول سبحانه : « فان اعتزلوكم ، فلم
اتلوكم ، والقوا اليكم السلم، فما جعل الله لكم
يهم سبيلا .. »وقد وردت كلمة«السلام»فى القرآن الكريم
كثر من مائة مرة ، على حين ان كلمة الحرب لم تذكر
لا فى ست آيات فقط ؛ فى سورة البقرة 279 ،
المائدة 33 ، 64 ، والانفال 57 ، والتوبة 107 ومحمد
ليه السلام 4 .

وان من مقاصد الاسلام العمل على نشر السلام
ى العالم والقضاء على الاستعمار والتسلط وايقاد
ار الفتنة والحروب ، نعم ، جاء الاسلام وفى الدنيا
نواع من الحروب ، فحرم الحرب فى سبيل المال ،
حرم الحرب لاستعباد الناس واسترقاقهم ، وحرب
لحرب لمجرد اظهار الشجاعة والاستعلاء ، وحرم
لحرب لان تكون امة هي اربى من امة او ما يعبر عنه
ليوم بالحرب التوسعية وخلق المجال الحيوي ، كما
باحها للدفاع حينما يهدد أمن العقيدة ، وهذه
لاباحة موقوتة وضرورة تقدر بقدرها ، بمعنى انه
ذا سنحت سانحة السلام وجب الاخذ بها والمبادرة
لى تطبيقها لقوله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح
لها وتوكل على الله » .

وقد عجزت كثير من المنظمات الدولية التى تدعو للسلام فى العصر الحاضر ، وفشلت لانها تحكمت فيها الاهواء والاغراض ، ففي القرن العشرين قامت المنظمات الدولية لنشر السلام ، وتجنب الحرب ، وقامت عصبة الامم والامم المتحدة من اجل السلام وتجنب ويلات الحرب ، ففشلت الاولى واصبحت اداة فى يد المنتصرين فى الحرب العالمية الاولى لارغام المقهورين على الرضوخ لشروط الصلح مما دفع المانيا الى الانسحاب من العصبة عام 1923، كما عجزت عن حماية الصين من اعتداء اليابان عليها وانشائها امبراطورية فى منشوكو ، كما عجزت عام 1935 عن حماية الحبشة من اغارة الايطاليين عليها ، ثم انتهى الامر بها الى الزوال ، وظهرت على مسرح السياسة الامم المتحدة عقب اجتماع مؤتمر يالتا بين 3 ـ 11 فبراير 1945، ثم مؤتمر سان فرانسيسكو فى 25 ابريل 1945 ، وقد استقر الراي بعدئذ على انشاء هيئة دولية عامة للمحافظة على السلم والامن لان انشاءها ضرورة لمنع الاعتداء او لازالة الاسباب السياسية ولاقتصادية والاجتماعية التى تؤدي الى الحرب ، وذلك بالتعاون الوثيق المستمر بين الشعوب المحبة للسلام كافة ..

ومما جاء فى ديباجة ميثاق الامم المتحدة: «نحن شعوب الامم المتحدة وقد آلينا على انفسنا ان ننقذ الاجيال المقبلة من ويلات الحرب التى جلبت على الانسانية مرتين فى خلال جيل واحد احزانا يعجز عنها الوصف وان نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الانسانية للانسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والاطفال والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية وان نبين الاحوال التى يمكن فى ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي وان ندفع للرقي الاجتماعي تقدما وان نرفع مستوى الحياة فى جو من الحرية افسح ، وفى سبيل هذه الغايات اعتزمنا ان تاخذ انفسنا بالتسامح وان نعيش معا فى سلام وحسن جوار وان نضم قوانا كي نحتفظ بالامن والسلم الدوليين » .

وان من يمعن النظر فى هذه الديباجة يجد ان الاسلام قد سبق الى هذا وانه دين السلام ولا يستخدم الحرب الا للضرورة القصوى وقد كان من اول الاعمال التي قام بها النبي بعد الهجرة الى المدينة ان آخى بين المهاجرين والانصار واقام حسن الجوار بين المسلمين ومن سالمهم ووقع الرسول بنفسه مع قريش فى عام الحديبية معاهدة لحقن الدماء وصيانة الحرمات وحسن العلاقات بين الجانبين وقد امر الله تعالى بحسن معاملة المسالمين فقال : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » . كما نهى عن الاعتداء والتشفي بالمثيل والتعذيب فقال : « ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » وقال تعالى : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل ، انه كان منصورا » .

ايها السادة العلماء الاجلاء : ان المسلمين اليوم يعيشون فى حاضر ملح ، يتمخض عن حادث جلل ينتظره مستقبل الاسلام ، وقد تمخضت الحركة

في عصره وتألق نجم اعلام الحديث بالمغرب وما اكثرهم ويعسر ان نتقصاهم واحدا واحدا ، وانما نلمع الى ذكر بعضهم سيما ، وقد جمعت عددا منهم في اعلام الفكر المغربي . . . وهم في مختلف الطبقات الحديثية. منهم المحدث الحجة ، ومنهم الحافظ ، ومنهم المتخصصون في الحفظ ومنهم المتخصصون في النسخ ومنهم الرجال ، ومنهم النساء ، ومنهم الاساتذة ومنهم الوعاظ ، ومنهم المحدثون المختصون ، ومنهم الفقهاء المحدثون ، منهم المؤلفون ، ومنهم غير المؤلفين . . . منهم من كان يعتمد الامام البخاري ، ومنهم من يعتمد الامام مسلم ، كما فعل المازري الصقلي الذي شرح صحيح مسلم منهم من اهتم بالاصول الحديثية ومنهم من اهتم بالمستدركات والاصطلاحات والاربعينيات والسماعات وغير ذلك علم الحديث .

اهتم المغاربة بدارسة الحديث اهتماما بالغا وبالاخص بعد ظهور كتاب مسلم حيث فضلوه على البخاري وشرحه المازري الصقلي (1) ويذكر ابن زرع قصيدة الملزوزي (2) التي تشير الى الكتب الحديثية التي كانت تدرس في عصره . ورغم شيعية الدولة الادريسية فقد غمرت فاس بفقهاء قرطبة والقيروان ذوي الاتجاه الحديثي الذي لم يخفف من حدته الا استقواء الفقهاء المرابطين من بعد ، مما ادى الى رد فعل في عصر الموحدين الذين اهتموا بالحديث ، بسبب اخذهم الظاهر ، ويقول مؤلف كتاب بيوتات فاس ان ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف من انكار الراي (3) وقد امر عبد المومن سنة 555 بتحريق كتب الفروع ، ورد الناس الى قراءة الحديث ، وكتب بذلك الى طلبة المغرب والاندلس ، والتاريخ لا يذكر تنفيذ ذلك الا في عصر يعقوب المنصور حيث خافه الفقهاء ، ويروي الحافظ ابو بكر بن الجدانة لما دخل على امير المؤمنين يعقوب اول دخلة وجده وبين يديه كتاب ابن يونس فقال له يا ابا بكر انما انظر الى هذه الاراء المتشعبة التي احدثت في دين الله ؛ ارايت يا ابا بكر المسئلة فيها اربعة اقوال او خمسة ، أو اكثر من هذا ؟ في أي هذه الاحوال هو الحق ؟ وايها يجب ان ياخذ به المقلد ، فافتتح ابو بكر ليبين له ما اشكل عليه من ذلك فقال له وقطع كلامه ، ابا بكر ليس هذا ، واشار الى المصحف او هذا واشار الى كتاب سنن ابي داود ، وكان عن يمينه أو السيف (4) وقد حمل الناس على هذا المذهب بالقوة ، وشاهد المراكشي احراق الكتب في شوارع فاس ، وكذلك اعتنى الموحدون بطلبة الحديث ، ويذكر المراكشي انهم نالوا في عهد يعقوب المنصور ما لم ينالوه في ايام ابيه وجده (5) وكان يوسف الموحدي يحفظ احد الصحيحين (6) كما كان المامون معدودا بين ـ حفاظ الحديث يسرد البخاري والموطأ وسنن ابي داود (7) وكذلك كان الامير ابراهيم بن يوسف الذي قال عنه ـ المراكشي ـ لم ار في العلماء بعلم الاثر انقل منهم له (8) ويدل على العناية بدراسة الحديث قصة امتحان ابن عات بيت الطلبة بمراكش وامتحان الواردين عليهم من اهله (9) وانتشرت في عهدهم بالخزائن المغربية من كتب الحديث الكتب الخمسة وهي صحيح مسلم وسنن ابي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي ومسند البزار وموطأ ابن تومرت واحاديث الجهاد التي امر المنصور بجمعها (10) والشهاب للقضاعي المسمى بشهاب الاخبار في الحكم والامثال والآداب من الاحاديث النبوية (11) وبظهور الفرق الصوفية ذات

---

(1) قصة الادب في الاندلس (ص 102) .
(2) الملزوزي نشرة المطبعة الملكية .
(3) العلوم والاداب والفنون لمحمد الهادي المنوني (51) .
(4) المعجب (ص 185) .
(5) المعجب (ص 188) .
(6) المعجب (ص 155) .
(7) القرطاس (ص 161) .
(8) المعجب (ص 207) .
(9) عنوان الدراية (ص 161 ونفح الطيب 369) .
(10) المعجب (ص 167) .
(11) التكملة لابن الابار (ص 1608) .



للاستاذ حسن السائح

جدير بالعالم الاسلامي ان يعتز بالامام البخاري
ي يعتبر امام المحدثين دون جدال . والذي يعتبر
حيحه الجامع لاحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام
ـاب الثاني فى الاسلام ...

وقد تسلق الامام البخاري قمة المجد الديني
ملمي عن جدارة واستحقاق لما اوتي من ذكاء حاد ،
كر متيقظ ، وعلم واسع ، ودراية شاملة ، وايمان
سخ ، ونزاهة مثلى .. فكان بذلك امام المحدثين ،
واضع المنهاج الحق لعلم الحديث وجامع احاديث
سول عليه السلام نعم ، وجد الباحثون المسلمون
علم الحديث مجالا للبحث الحر ، والتفكير المتسع
ذلك لان القرآن الكريم كتاب مقدس لا يتناول الا
فسير والاستفادة من نصوصه فى حيطة ما بعدها
طة ، اما السنة فهى مجال المناقشة اللفظية
تحليل العلمي . والاستنتاج بكل ابعاده والنقد
ريح ، حيث يجد العلماء خللا فى السند او فى
ن ولهذا فقد كان علم الحديث ميدانا متسعا
تلف المعارف ، ومجالا للمناقشة والتحليل ،
ارض الاراء وتوافقها ولهذا ترى قدر احتفاء العلماء
ب البخاري الذي وجدوا فيه ضالتهم المنشودة،
ستنتجوا القواعد الفقهية واستنبطوا الاحكام
رعية وهم من مختلف المذاهب والفرق ، يجدون
هذا الكتاب العظيم مادة خاما لعلمهم وتفكيرهم .
والموضوع الذي اتناوله هنا عن الامام البخاري
موضوع تربوي اكثر منه تاريخي ،
اذ يتناول الاسلوب الدراسي ، ولكتاب
البخاري فى المدرسة الحديثية بالمغرب التي لم تكن
بدعا بين المدارس الحديثية .. كما يتعرض لبعض
اعلام المحدثين فى المغرب دون استقصاء لهم عددا
ولا لعلمهم كيفا .

... ولعل من العسير ان يحيط الانسان فى
مقالات او فى كتاب مجهود الامام البخاري وانتاجه
بله ان يحيط فيما كتب المفكرون عنه . وهذا لا يمنع
ابدا من القاء نظرة عن قيمة الامام البخاري واثره فى
المغرب بصفة خاصة ... وذلك لان الامام البخاري
كان قدوة المدرسة الحديثية فى المغرب ، فقد شغف
العلماء والفقهاء والمحدثون بمنهاجه وجعلوه امامهم فى
التدقيق والتنسيق كما شغف المؤمنون به ، فكانوا
يحلفون بكتاب البخاري وما يزالون يقسمون به كلما
دعاهم الى ذلك سبيل ... بل ان فيلقا كبيرا من
الجيش المغربي فى عهد المولى اسماعيل حلفوا
بصحيح البخاري واتخذوا من صحيحه شعارا لهم
فكانوا يحملون نسخته بين ايديهم فى غزواتهم وعرفوا
فى التاريخ (بعبيد البخاري) وهم جند المولى
اسماعيل الذين حرروا الشواطيء المغربية ودافعوا
عن ارض الوطن مستبسلين .

واهتم العلماء المغاربة بعلم الحديث ودرسوه
دراسة موضوعية عميقة ، ويذكر ابن ابي زرع قصيدة
الملزوزي التي تشير الى الكتب الحديثية التي تدرس

التاريخ وابو عبد الله محمد بن يحيى ابن صاف المعروف بالمواق المراكشي الذي شرح مقدمة صحيح مسلم (23)، ولا يمكن استقصاء كبار المحدثين المشهورين في المغرب وتفصيل اثارهم وانما حسبي ان اذكر المشهورين فيهم كالامام ابن غازي المتوفى سنة 919 من محدثي القرن العاشر وهو اول من سن قراءة الحديث في رمضان بالمساجد، وكالمحدث سقين وابن القصار من نفس هذا العصر واشتهر (القرن الحادي عشر) بثلاثة محدثين كبار تفاوت تقدير نقاد الحديث لهم وهم المقري والفاسي والفيلالي حسب قولة محمد بن ابي بكر الدلائي المشهورة في المفاضلة بين هؤلاء الثلاثة، ومن القرن الثاني عشر نذكر ابا سالم العياشي صاحب الرحلة وابن عبد السلام بناني؛ وبعد هؤلاء تالق اسم المحدث السدراتي السلاوي والعربي الرباطي.

وكان من اشهر المحدثين في المشرق الامام العبدوسي احد اعلام الحديث في المغرب؛ زار المشرق وعلم به ويقدر الشوكاني طريقته ومهارته البيداغوجية حيث يستعمل اساليب المحدثين في تلقين العلوم الاسلامية فكان في التفسير يفتح الآية بما ناسبها من الاحاديث واخبار السلف من الصحابة والتابعين واتباعهم ثم بعد ذلك يرجع الى الآية؛ وبما ياخذ في نقل الاحاديث؛ فيقول الحديث الاول كذا والثاني كذا والى المئة ثم يبدأ المئة الثانية حتى يختمها وسلك في المدونة نفس المسلك فتذكر المسئلة فراى مالك، ثم ينزل طبقة حتى يصل الى علماء الامصار من المصريين والافارقة والمغاربة والاندلسيين وسلك في النحو نفس المسلك فبدا باصحاب سيبويه ثم السيرافي وطبقات النحاة كما اشتهر من بين كبار المحدثين في المغرب ابو بكر المولائي المتوفى سنة 1046 واحمد الغربي الرباطي المتوفى سنة 1178، والشيخ التاودي ابن سودة المتوفى سنة 1209 وابن عجيبة التطواني المتوفى سنة 1224.

على ان المدرسة الحديثية المغربية تبلورت في شخصيتين (الاولى) في القرن الخامس؛ وهي شخصية ابي الفضل عياض اليحصبي المولود سنة 476، والمتوفى سنة 530 المعروف بالقاضي عياض؛ هذه العبقرية التي كيفت شؤون الحياة بما لها من جاه وثراء (24) فتفرغت لدراسة الحديث، واهتمت به اهتماما بليغا (25) فالف فيه عدة كتب قيمة ذكر الضبي منها في بغية الملتمس كتاب الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد الاسماع وبغية الرائد في معرفة ما في حديث ام زرع من الفوائد، وحدث الضبي به عنه ابي محمد بن عبد الله، ويروي عن الفقيه ابي عبد الله التميمي وابي علي الصدفي وابي عبد الله بن حمدين وابي بكر بن العربي (26) كما الف المشارق على الصحيحين والموطأ، وشرح مسلم وكتاب الغنية وترتيب المدارك في طبقات اصحاب مالك (27)؛ وقد اصبح القاضي عياض راس علماء المغرب في الاسلام كما يقول المترجمون يعرف اسرار الاسلام العقيدية والشرعية والسلوكية كما كان (28) يوضح من المعارف ما اشكل (حسب تعبير الفتح بن خاقان) (29) واصبح القدوة التي يحتذيها علماء الاسلام في المشرق والمغرب من بعد بل نموذجا عاليا لعلماء الاسلام (30) وحسب قول عالم الهند الشيخ محمد بن مصطفى؛ فشخصية القاضي عياض كانت درسا لعلماء عصره الذين اصبحوا لا يعرفون من هذا العلم الا الاسم ولا من اصحابه الا الرسم، وقد خصص في دراسة شخصيته واثاره وعصوره المحدث المغربي في كتابه القيم ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، وتصدى لشرح اقواله

---

(23) الاعلام (ج 3 ص 242).

(24) كان القاضي عياض متمولا (تاريخ قضاة الاندلس للنباهي) تحقيق ليفي بروفنصال ص 101).

(25) جذوة الاقتباس لابي القاضي (ص 277).

(26) بغية الملتمس للضبي (ص 225).

(27) الفكر السامي (ص 59).

(28) الفكر السامي نفس الصفحة.

(29) قلائد العقيان (ص 232).

(30) مفتاح السعادة (ج 2 ص 19).

النزعة اللاهوتية اى الدراسة النظرية لا الاخلاق الصوفية ، واستفحال امرها ، وجد المرينيون انفسهم امام واجب رعاية دراسة سنية منظمة فاسسوا المدارس فى سائر المدن لتحقيق هذه الغاية والتزموا فيها دراسة الحديث كما فى الرسالة المجازة فى معرفة الاجازة لابن ميمون (12) وكانت مجالس ابي عنان وابي الحسن (13) المريني حافلة بالدراسة الحديثية ، واقتفى السعديون منهاجهم فكان بلاط المنصور السعدي حافلا بمجالس سنية لمناقشة موضوعات حديثية ، ويذكر القادري ان بالقرويين حبس خاص لكرسي يدرس عليه البخاري بابن حجر حيث كان الونشريشي احد اعلامه وقتل عليه،ولا شك ان النزعة السنية بلغت مداها فى القصر العلوي حيث اطلق المولى اسماعيل على جيشه الخاص (عبيد البخاري) متمسكا بالنزعة السنية كما التزم المولى عبد الله 1134 بحضور دروس حديثية فى قصره ، والف كتاب الفتوحات الالهية واصدر مرسوما لاصلاح التعليم على اساس الرجوع الى القرآن والحديث (14) واقتفى سيرته المولى سليمان الذي كان زعيم الحركة السلفية فى عصره ، ونعثر فى ديوان الحوات على قصائد بليغة انشدت بمناسبة ختم الدروس الحديثية وقد سار على نهجه الملك الحسن الاول والمولى عبد الحفيظ الذي نشر عدة كتب حديثية والمولى يوسف وجلالة الملك المرحوم محمد الخامس رضي الله عنه حيث كانت تلقى فى امسيات رمضان احاديث نبوية يناقشها كبار العلماء وخلفه جلالة الحسن الثاني نصره الله الذي يرعى الدراسات الحديثية ، ومؤسس (دار الحديث الحسنية) .

وكان من نتيجة العناية بالحديث ان برع فى علم الحديث فى الاندلس ابو علي الصدفي (15) الذي كان يروي السنن لابي داود ، والدارقطني ، وجامع الترمذي وتاريخ البخاري ورياض المتعلمين لابن نعيم ثم انفرد بالامامة بعده الغساني (16) الذي كان اخر المسندين بقرطبة .

وبرز فى هذا الميدان ايضا ابو العباس الخزرجي وابو الوليد الباجي وابو عامر ابن حبيب وابو عمران بن ابي تليد وابو بحر الاسدي وابو العباس ابن ذروة ، وكان محمد بن حيدرة المعافري خاتمة الحفاظ بالاندلس واعرفهم بعلله واكثر المبرزين فى صناعته ومعرفة معانيه وحفظ اسمائه (17) .

وتالق نجم الوزير ابو عبد الله محمد بن مسعود ابن فرج ابن الخضار الغافقي (18) مؤلف منهج فى معارضة المبهج ، وكان الناس يروون جميع كتبه من منظوم ومنثور (19) ، ومن كبار المحدثين بالمغرب ابن دحية السبتي الذي كان يحفظ صحيح مسلم (20) وقد امتحنه علماء مصر حفظه الحديث فذكروا احاديثه باسانيد حولوا متونها فاعاد المتون المحولة ، وعرف تغييرها ، ثم ذكر الاحاديث على ما هي عليه من متونها الاصلية (21) وعبد الرحمن بن محمد من اهل تاسنا المعروف بالمكولي (22) وابو عبد الله محمد بن عبد الله بن الطاهر الحسني الشريف الصقلي وابو الحسين علي بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ويعرف بابن القطان كان من ابصر الناس بالحديث كما ذكر ابي سعيد فى رسالته التي ذيل بها رسالة ابن حزم فى مفاخر الاندلس ، ومنهم ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المرادي الذي كان احفظ اهل زمانه ، واذكرهم

---

(12) ولد ابن ميمون سنة 854) .

(13) نيل الابتهاج ترجمة المعري الكبير .

(14) مفاخر العلويين لابن زيدان .

(15) التكملة لابن الابار (ج 1 ص 89) .

(16) ابن الابار (ج 1 ص 78) .

(17) التكملة لابن الابار (ج 1 ص 94) .

(18) قيام دولة المرابطين للدكتور حسن احمد محمود .

(19) فهرست ابن خيرص 386 و 450 .

(20) الشذرات (ج 5 ص 160) .

(21) عنوان الدراية (ص 161) .

(22) التكملة (ص 1657) .

وظهرت في علم الحديث تاليف في الجمع بين المسانيد واشهر من الف فيه من المغاربة الامام محمد ابن سليمان الروداني مؤلف صلة الخلف بموصول السلف المتوفى سنة 1094 كتاب في الموضوع سماه جمع الفوائد من جامع الاصول ومجمع الزوائد .

والف ابن القطان المتوفى سنة 628 تعليقا على ما في كتاب الاحكام الشرعية لعبد الحق الازدي الاشبيلي من الاوهام ، وابن القطان من اعلم الناس بالحديث ويقول عنه السوداني : كان من ابصر الناس بصناعة الحديث واحفظهم لرجاله واشدهم عناية بالرواية ، مع تفنن ومعرفة ودراسة كما الف من بعده الخطيب ابن مرزوق التلمساني المتوفى سنة 781 كتابا في الجمع بين الصحيحين (36) ، ومن مشاهير المسندين ابو القاسم عبد الله بن جزى الغرناطي المولود سنة 692 والمتوفى شهيدا في طريف سنة 741 وهو مؤلف كتاب الانوار السنة في الالفاظ السنية .

والف في نقد الرجال عبد الله بن خلف المستشهد في المرية سنة 542 كتاب الاعلام (37) .

كما الف ابن الفرضي القرطبي مؤلف تاريخ الاندلس الذي ذيل عليه ابن بشكوال بصلته المستشهد بقرطبة سنة 403 ، كتابا في مشبه السنة .

وبعده الف الحسن الغساني الجياني المتوفى سنة 498 ، كتابا فيما ائتلف خطه واختلف لفظه في اسماء رجال الصحيحين .

وذيل ابو العباس احمد بن مفرج الاموي المعروف بابن الرومية المتوفى سنة 637 على كتاب الكامل في العلل والرجال ، بتاليف سماه الحافل في تكملة الكامل ، كما اختصر الحافظ العراقي المشهور ميزان الحافظ الحلبي ، وترك العياشي فهرسته الحديثية ، وكذلك فعل التاجموعتي المتوفى سنة 1118 ، وكتب الشيخ التاودي ابن سودة المتوفى سنة 1209 فهرسته الحديثية كما كتب المولى سليمان المتوفى سنة 1238 فهارس واسانيد حديثية مشهورة ، اما في السيرة النبوية فقد كتب عالمان مغربيان سبتيان (الاول) هو ابو العباس احمد بن محمد العزفي اللخمي (557 ـ 633) الذي كتب الدر المنظم في مولد النبي المعظم واكمله ولده ابو القاسم وذكر فيه ما خص الله به النبي (ص) وفضل ، به وما امتن به عليه وعلى امته (38) .

و (الثاني) هو ابو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية الكلبي المعروف بابن الجميل (547 ـ 633) الف كتاب التنوير في قول السراج المنير (39) والف ابو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي 603 اللمعة في ذكر ازواج النبي واولاده السبعة (40) ، والف ابو الخطاب بن دحية كما في نفح الطيب نهاية السول في خصائص الرسول ، على ان كتاب الشفا اول من كتب في المغرب في السيرة النبوية ، وقد انتقده الذهبي كما الف الامام السهيلي المتوفى بمراكش سنة 581 كتاب الروض الانف ، وكتب (الكلاعي) البلنسي (634) كتاب الاكتفا في مغازي المصطفى شرحه محمد بناني المتوفى سنة 1163 ، ونظم ابو الفضل العراقي الفية رجزية الدرر السنية في السيرة النبوية شرحها كثير من المشارقة واشهرهم من المغاربة محمد الطيب ابن كيران المتوفى سنة 1220 .

وقد درس المغاربة السيرة بكتاب ابن اسحاق ، والف فيها سليمان الروداني ومحمد بن مبارك الافاوي واحمد الصوابي والحضيكي (41) وترجم نور اليقين الى (الشلحة) في سفرين (42) وكانت بالسوس نساء تعرض السيرة النبوية بالشلحة . على ان المغاربة لهم الفضل في نظم حياة الرسول فقد اعجب الشعراء المغاربة بسيرة الرسول حيث وجدوا فيها النموذج

---

(36) نفس المصدر (ص 15) .
(37) نفس المصدر (ص 85) .
(38) ازهار الرياض .
(39) وفيات الاعيان 483 . ونفح الطيب ج 1 ص 371 .
(40) السلوة ج 3 ص 269 .
(41) تاريخ الادب العربي بروكلمان ج 2 ص 265 .
(42) سوس العالمة ص 36 ج 1 .

... المذهبي ، والمرابطة للمالكية والمدرسة الحديثية ضد الموحدين والظاهرية كثير من المؤرخين المعاصرين على ان اشهر ما عرف به عياض هو كتاب الشفا في التعريف ببعض حقوق المصطفى وهو تحليل لحياة الرسول في اسلوب ادبي بليغ وقد ذاع في سائر الاقطار الاسلامية ، حتى اصبح خير ما يتقرب به الى الله ، وطبع مرارا وشرح عدة شروح ، ومن شروحه الفتح الفياض في شرح شفاء القاضي عياض لابي الحسن علي الحريشي ومفتاح الشفا لعبد الرحمن الفاسي كما ان المع ما الفه في فن التراجم هو ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك ، وقد نشر ابن شنب وصفا لهذا الكتاب، ويهتم بعض الباحثين بطبعه الان .

والشخصية الثانية كانت في القرن الثاني عشر وهي شخصية ابي العلاء ادريس بن محمد العراقي (1120 ــ 1183) الذي كان اشهر محدثي القرن الثاني عشر ، ومن خلال ما كتب في علم الحديث تعرف على ما بذل من جهد في نشر هذا العلم وتدقيق مباحثه ، فقد شرح شمائل الترمذي ، ويقول علماء الحديث ان الترمذي لا يشرحه الا رجل الفن القدير ، وشرح قسما من المشارق للصاغاني وشرح احياء الميت للسيوطي ، وخرج الشهاب للقضاعي ، وله : تكميل لمؤلف القاضي عياض ، وله الدرر اللوامع في الكلام على احاديث جمع الجوامع ، وفتح البصير في التعريف بالرجال المخرج لهم في الجامع الصغير .

اما المدرسة الثانية فكانت في عهد الشيخ ابي شعيب الدكالي الحافظ الحجة ولم يكن الشيخ ابو شعيب الدكالي مهتما بالاجازات متبجحا بكثرة اسماء الشيوخ والاطلاع على الفهارس والاثبات ، وانما كانت همته الدراسة ، وقد كان له من اتقان العربية اتقانا كبيرا بحفظ الشواهد والقصائد ما يساعده على الاملاء والاحتجاج بلغة الادب واللغة ، كما كان يجيد القراءات السبع ، اما حفظ السنة فذلك ميدانه الرحب ، فيملي اساس علم الحديث .

على ان المغرب يحتفظ بين اعلام الحديث المشهورين باسم الشيخ محمد بن جعفر الكتاني صاحب التآليف العديدة ، والشيخ محمد السائح والشيخ المدني ابن الحسني والشيخ العربي العلوي وقد طبعوا جميعا الدراسة الحديثية بالطابع السلفي .

اما في السند فقد احتفظ المغاربة بسندهم الحديثي الخاص وذكروه في كتب الاثبات في الفهارس والتراجم ، والسند المغربي يشمل السند الحديثي في القيروان عاصمة العلم في تونس وسند الحديث في بجاية ، وسند الحديث في فاس ومراكش وفي كتاب المنح البادية (32) ذكر للاسانيد مغربية كما في فهرس الفهارس تفاصيل عن الاسانيد المغربية ، وفي شرح البخاري لابن سودة ذكر لسنده كما في فهرسته تفصيل لاسانيد المغاربة ، ومما يقوي قيمة السند المغربي ان (الموطا) لا يعرف الا من رواية يحيى بن يحيى الليثي الاندلسي رغم ان لها عدة رواة اكبرهم رواية عبد الله بن مسلم القعنبي (33) .

وحقق موطأ مالك ابو عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي في كتاب التقصي (34) الذي جمع ما فيه من الاحاديث المرفوعة موصولة كانت او منقطعة مرتبة على شيوخ مالك ، وذاعت شهرة المغاربة بتأليف الاسانيد الحديثية ، ومن اشهرهم ابن بقي بن مخلد الاندلسي المتوفى سنة 270 وابو ميمونة دراس المتوفى 357 الذي قال عنه عياض في المدارك انه من حفاظ المغرب (35) ومن المشاهير محيى الدين ابن العربي الحاتمي المتوفى سنة 638 مؤلف مشكاة الانوار في الاحاديث القدسية ، ولمحمد بن الطيب الشرقي المتوفى سنة 1170 كتاب في المسلسلات .

وفي غريب الحديث كتب ابن حزم السرقسطي المتوفى سنة 302 واتمه ابوه بعد وفاة الابن .

---

(31) اظاهر الكمال في تتميم مناقب اولياء مراكش سبعة رجال (ص 82) ومخطوط 7 ترجمة القاضي عياض بالخزانة العامة تحت عدد 553 .

(32) انظر مخطوطة الخزانة ك 1249 .

(33) الرسالة المستظرفة ص 14 ط ، دمشق .

(34) نفس المصدر 85 .

(35) السلوة ج 1 ص 176 .

تحلتك الحب على اذ تحلتكه
احظى بحبك منك افضل التحل

فما لجلدي بتضبح النار من جلد
وما لقلبي لهذا الحشر عن قبل

اذنبت لكن عسى والفضل منك عسى
حب النبي وحب الصحب يشفع لي

واختص المغاربة بأدب الرسائل النبوية ، وهي رسائل تكتب بأسلوب منمق وتبعث الى مقام الرسول لتقرا في روضته كما فعل ابن الخطيب وغيره ، مما يدخل في هذا الموضوع الذي خصصته بدراسة

طريقة دراسة البخاري :

ان أول الكتب الحديثية التي يعتمدها المختص هي الكتب الخمسة وهي البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي ، وباضافة ابن ماجة تصبح الكتب الحديثية ستة ، وشروحها المشهورة كابن حجر والقسطلاني والعيني ، وسانقل من مصادر كتب الحديث ، طريقة تقسيم كتب الخزانة الحديثية حيث جمعت الكثير من هذه الكتب للاستفادة منها قصد تحقيق الحديث وضبطه والكشف عن جوانبه الفقهية والاجتماعية والتشريعية ، ومن حسن الحظ ان المحدثين اهتموا كذلك بالخزانة الحديثية وتركوا لنا تفاصيل عنها وعن طريقة الاستفادة منها ، وتختلف هذه الكتب حسب الموضوعات ، حيث ساروي عنهم تفاصيلها ، فقد تكون هذه الكتب في دراسة شيوخ الحديث من الحفاظ المشهورين المكثرين كاحاديث سليمان بن مهران الاسدي الكاهلي مولاهم الملقب بالاعمش لابي بكر الاسماعيلي واحاديث الفضل بن عياض التميمي اليربوعي المروزي للنسائي واحاديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري لابي عبد الله محمد ابن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري احد الحفاظ الاعيان وأمير المؤمنين في الحديث المتوفى سنة ثمان وقيل سنة اثنين وقيل سنة سبع وخمسين ومائتين وتسمى ايضا (بالزهريات) جمع فيها حديث ابن شهاب عليه وكان من اعلم الناس بحديثه .

وتوجد كتب في رواة بعض ائمة الحديث او غرائب حديثهم ككتاب تراجم رواة مالك للخطيب البغدادي ذكر فيه من روى عن مالك الامام فبلغ بهم الفا الا سبعة ، وزاد عليه غيره كثيرا ، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد لابي عمر بن عبد البر ، فانه ترجم فيه لرواة مالك في الموطأ على حروف المعجم ، مع الكلام على متونها واخراج الاحاديث المتعلقة بها باسانيده وهو كتاب كبير الحجم في سبعين جزءا غزير العلم لم يؤلف في الموضوع احد قبله ، ومن المشهور عند المحدثين ما قاله فيه ابن حزم : (لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف احسن منه ؟) وكذلك كتاب غرائب مالك في الاحاديث الغرائب التي ليس في الموطأ ، للدارقطني ، قال ابن عبد الهادي عنه : انه كتاب ضخم عامر .. ومنها كتب في تواريخ الرجال واحوالهم كتاريخ البخاري الكبير جمع فيه اسامي من روى عنه الحديث من زمن الصحابة الى زمانه فبلغ عددهم نحوا من اربعين الفا من رجل وامراة وضعيف وثقة ثم جمع الحاكم من ظهر جرحه من الاربعين الفا ، فلم يزيدوا على مائة وستة وعشرين رجلا وقد الفه وهو ابن ثمان عشرة سنة تجاه قبر الرسول في الليالي المقمرة كما يقولون، وقال الامام السبكي عنه : انه لم يسبق اليه ، ومن الف بعده في التاريخ او الاسماء والكنى فعيال عليه .
كما يذكر ذلك مؤرخو الكتب الحديثية ، اما كتب المعاجم ، أي التي تذكر الاحاديث على ترتيب الصحابة او الشيوخ او البلدان او غير ذلك ، وغالب ما تكون مرتبة على حروف المعجم كمعجم الطبراني الكبير المؤلف في اسماء الصحابة ما عدا مسند ابي هريرة فقد خصه بتاليف قال عنه : (انه اورد فيه ستين الف حديث في اثني عشر مجلدا ، وقال فيه ابن دحية : هو اكبر معاجم الدنيا وهو (المعجم) عند المحدثين فاذا اطلقوا (المعجم) فهم يعنونه ، أما الاوسط فقد الفه في أسماء شيوخه وهو قريب من الفي رجل حتى انه روى عمن عاش بعده لسعة روايته وكثرة شيوخه .

ومنها كتب الطبقات وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ واحوالهم ورواياتهم طبقة بعد طبقة الى زمن المؤلف كالاصابة ومنها كتب المشيخات ، وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف واخد عنهم او الذين اتصل بهم واجازه بمروياتهم كمشيخة الحافظ ابن يعلى الخليلي ، ومن بين الكتب الحديثية ذات التخصص ، كتب الامالي ، وكتب الامالي يراد بها ما كان يلقيه المحدث على طلابه من محاضرات فهي جمع املاء ، وقد كان الحفاظ في القديم يخصصون

فنظموا القصائد ونثروا الكلمات تعبيرا عن هيامهم ببطولة النبي (ص) . وتناقلت الجماهير هذه القصائد النبوية فرددت في المساجد في حفلات عيد المولد .

ولعل اقدم اثر نعرفه هو قصيدة عبد الله الشقراطيسي ، تلك القصيدة العصماء التي جعل الشاعر موضوعها (سيرة الرسول) فشغلت النقاد والادباء بشرحها والتعليق عليها كما اثرت تاثيرا عميقا في المجتمع الاسلامي فكانت تتردد في قصور الامراء وأكواخ الفقراء والشقراطيسية قصيدة طويلة تصل الى مائة وخمسة وثلاثين بيتا فهي دون الملحمة في عدد ابياتها ولكنها بالشرح والتعليق خليقة بأن تكون ملحمة تواكب ابياتها حياة الرسول في مولده الى حياته الحافلة بالكفاح البطولي ثم الى التحاقه بالرفيق الاعلى ، الفها ابو محمد عبد الله بن ابي زكرياء الشقراطيسي نسبة الى (شقراطيس) وهو حصن روماني قديم قرب قفصة ، وولد بمدينة توزر ودرس بالقيروان على ابي عمران الفاسي والسيوري والعطار وتوفي سنة 466 ، والشقراطيسية خمسها ابن الشباط المولود سنة 618 والمتوفى سنة 681 كما في نفح الطيب في ترجمة ابن عظيمة الاشبيلي .

كما خمسها أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف جبيش وابو عمر عثمان ابن عتيق كما في رحلة التجاني وشرحها ابن الشباط في ثلاث شروح كبير ومتوسط وصغير ويسمى الشرح الكبير صلة السمط توجد نسخة منه بخزانة تمكروت (ميكروفلم) له بخزانة الرباط ، ويذكر الزرقاني في المواهب اللدنية ان ابن شامة شرحها كما شرحها ابن جماعة في جزء واحد ، والعلامة المغربي الكبير ابن غازي في عشرة مجلدات ، وذكر ابن ناجي في معالم الايمان ان ابراهيم ابن عبد الملك بن عوانه وضع تاليفا على الشقراطيسية (43) ، كما ان ابن مرزوق التلمساني المتوفى سنة 842 شرحها في كتاب المفاتيح القرطاسية .

وتخصص ابن الشباط في هذه القصيدة حيث اشتغل بها زهاء عشرين سنة وقال عنها يئست من معارضتها الاطماع ، وانعقد على تفضيلها الاجماع فطبقت أرجاء الارض ، وأشرقت منها في الطول والعرض ، والعجيب ان ابن الشباط لم يعرف ان في نفس الشهور الذي كان يقضيها بشرح هذه القصيدة كان في مصر شاعر معاصر ينسج على منوالها قصيدة لتنافس الشقراطيسية .. بل وتحل محلها ، فقد عارضها البوصيري المتوفى سنة 681 ونسج على منوالها بردته التي كتب لها ان تغزوا (الشقراطيسية) في عقر دارها وتحل محلها ثم تعفى عليها الى يومنا هذا ، ليكن هذا تنافسا ادبيا او مبادلة ادبية ، ولكن الواقع أن (الشقراطيسية) لا تقل عن البردة في روعتها ...

ولنرو بعض ابيات (الشقراطيسية) لنرى مدى اثرها في البردة التي هي (ترديد) لانتاج افريقيا العربية :

خير البرية من بدو ومن حضر
وأكرم الخلق من حاف ومنتعل

ضاءت لمولده الافاق واتصلت واتصلت
بشرى الهواتف في الاشراق والطفل

وصرح كسرى تداعى من قوائمه
فانقض منكسر الارجاء ذامیل

خرت لبعثته الاوثان وانبعثت
ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

وفي سراقة آيات مبينه
اذ ساخت الحجر من وحل بلا وحل

عرجت تخترق السبع الطباق الى
مقام زلفى كريم قمت فيه علي

دعوت للخلق عام المحل مبتهلا
افديك بالخلق من داع ومبتهل

أعجزت بالوحي ارباب البلاغة في
عصر البيان فضلت اوجه الحيل

بريت من دين قوم لاقوام لهم
عقولهم من وثاق العري في عقل

يستخرجون خفي الغيب من حجر
صلد ويرجون غوث النصر من هبل

(43) معالم الايمان ص 104 ..

اخرى حيث ياتي بباب عن المترجم به اتى ما يعين به غيره بمناسبة لما قبله يفسر اليه بباب خاليا عن المترجم له وكان لا بد من معرفة نقاد الحديث المعروفون بنقاد التعديل والتجريح كيحيى بن سعيد القطان الذي قال فيه ابن حنبل كل حديث لا يعرفه يحي فليس بحديث ، واحمد بن حنبل ويحي بن معين ومالك بن انس وابو عبد الله البخاري وابو حاتم والدراقطني وان يعرف اسلوب تجريح الرجال ، فمن جرح عدل الرواية لا بد ان يبين السبب ولو كان من اهل الحديث ضبطا وتحقيقا للمتن .

ولا بد من معرفة طريقة رواية الرواة فابو اليمان الحكم بن نافع لا يرى الا عن شعيب ابن ابي حمزة وشعيب لا يروي الا عن الزهري وابي الزناد .

رواية الصحيح :

اعتمد المغاربة رواية اليونيني كما فعل المشارقة ، واليونيني حنبلي المذهب فلا عجب ان يتحول المغاربة وهم مالكيون الى رواية الصدفي (المولود بسرقسطة سنة 454) ورحل الى المشرق 481 .... ونظرا لان الصدفي كان من المدققين المنتسخين لامهات الكتب بعناية فائقة ، ولدرايته بعلم الحديث ولكون روايته عن البخاري تبتعد بخمس وسائط فقط ، فقد روى عن الباجي عن ابي ذرعة شيوخه الثلاثة عن القربري عن البخاري ، ولانه كانت لديه نسخة من الصحيح مقروءة على ابي ذر الهروي .. وقد ترجم للصدفي وعرف بمكانته القاضي عياض في المعجم وابن الابار في معجمه كذلك حيث تتضح مكانة الصدفي التعليمية والعلمية فقد كان استاذا وحافظا .. اخذ عن اعلام المحدثين الاندلسيين كابي داود المقري وغيره وكان قاضيا بمرسية في عهد علي بن يوسف المرابطي واستاذا لابراهيم بن يوسف ابن تاعياشت (عائشة) المرابطي ، وصديق ابن العربي .. واخذ عنه مفخرة المغرب القاضي عياض امهات الكتب الحديثية كالصحيحين ، والشهاب والجامع للترمذي ورياضة المتعلمين والاستدراكات على البخاري ومسلم والتتبع ، والالزامات للدارقطني والاربعين للاصبهاني واوهام الحاكم في المدخل لابن سعيد ، ومشتبه النسبة والمؤتلف والمختلف ، والاشارة للباجي ... والجرح والتعديل له ايضا ، والعلل ، والسنن للدارقطني وكتاب التاريخ للبخاري — كما ذكر ذلك القاضي عياض في (الغنية) .

ونظرا لدقة نسخة الصدفي ولما عليها من سماعات فقد اعتمدها ابن حجر في شرحه فتح الباري كما ذكر ذلك ابن حجر السخاوي . ورغم الطريقة الاندلسية في النسخ حيث ان خط الصدفي رقيق غير منقوط — كما ذكر ابن جماعة فان ابن حجر اعتمد عليها ، لان الصدفي يشكل بالعلامات الاعرابية الكلمات الصعبة .

وعن نسخة الصدفي اخذ ابن سعادة وهو صهر الصدفي وتلميذه وقد زكى الصدفي نسخة ابن سعادة بالكتابة عليها ... واهتم المغاربة اهتماما كبيرا بها فنسخ عنها المحدثون المغاربة وكتبوا عنها كثيرا وخصها الكتاني لمؤلفه .. التنويه والاشادة بمقام رواية ابن سعادة وظلت نسخة الصدفي معروفة في المغرب الى ان افتقدت فيه ووجدها بليبيا كثير من المحدثين كالعلامة محمد الناصري والعلامة احمد الفاسي ، ورغم خروجها من المغرب فقد ظلت معتمدة في المغرب ، ومحتسبة بخزانة القرويين الى ان ضاع الخمس الاول منها ، حيث ظهر ان ضياعها كان في القرن الثالث عشر الهجري كما يستفاد ذلك من الظهير الذي صدر بتاريخ 20 جمادى الاولى سنة 1288 والذي ينص على الامر باعتماد النسخة (الشيخة) التي نقلت بامانة عن نسخة ابن سعادة .

وزعم ليفي بروفنصال انه اكتشف المجلد الاول للخمس الثاني من الاصل للجامع الصحيح ... وكعادة المستشرقين الغرباء عن معرفة تراثنا والمتبجحين بمثل هذه الادعاءات فانه في الواقع لم يكتشف وانما عثر فقط ... اما سبب اختفاء نسخة ابن سعادة ثم ظهورها بعد ذلك فمن الاسرار التي لا يعرفها الا المتمكنون من تاريخ التراث الاسلامي .

الرباط : حسن السائح

يوما في الاسبوع ان يكون يوم الثلاثاء او الجمعـة ، ويختارون لقائلها مكانا محترما وهو المسجد الاعظم في الغالب ويملي الحافظ الاحاديث فتلتقط عنه بطريقة خاصة وهي ان يكتب المستملي في اول الاملاء هذا مجلس املاء شيخنا بجامع كذا يوم كـذا ثم يـورد بعد ذلك المملى باسانيد الاحاديث والآثر فيفسـر الغريب ويعلـق على ذلـك باستطـرادات والسرد للمتعلقات ويذكر مؤرخو علم الحديث ان الاملاآت قلت بعد موت كثير من حفاظ الحديث المشهورين ، ثم جدد ذلك الحافظ السيوطي الـذي اخذ يملـي املاآته بمصر سنة ثمانمائة واثنين وسبعيـن ، وفي كتب الحديث ذات التخصص كتب العوالي ، ككتاب عوالي الاعمش لابي الحجاج يوسف ابن خليل الدمشقي ومنها كتب الاطراف التي يقتصر فيها على ذلك طرف الحديث الدال على بقية جمع لاسانيده ، وهذا الجمع اما بطريق التقييد او بطريق الحصر ، والاستيعاب .

ومنها كتب الزوائد كزوائد سنـن ابن ماجـة للشهاب البصيري المسمى مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ، ومنها فوائد المنتقى لزوائد البيهقي الذي يضم زوائد البيهقي في سننـه الكبرى على الكتـب السـت .

ومن كتب التخصص كتب الجمع في بعض الكتب الحديثية كالجمع بين الصحيحين للصاغاني المسمى بمشارق الانوار النبوية في صحاح الاخبار المصطفوية، ومن كتب التخصص كتب الاحاديث الافراد وهي اما عن فرد مطلق اي ما انفرد به كل احد من الثقـات بحيث لم يرو تلك الاحاديث احد غيره ، واما عن الفرد النسبي اى لم يروه الا اهل بلدة كعلماء البصرة مثلا او انفرد به رواية عن راو مخصوص بأن لم يروه عـن الراوي المعروف الا راو آخر معروف مثله وقد يكون مرويا من وجوه أخرى كما ذكر ذلك في كتب الحديث.

ان مختلف هذه الكتب لا بد منها بعد ان تكـون اساس الكتب الحديثية بيد المتخصص، واساس هذه الكتب هو كتب الصحاح الست كما ذكرت وهي صحيح البخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسـائي وابن ماجة واهم الشروح كفتح الباري والقسطلاني والعيني ويسمي المحدثون كتبا لحديث المرتبة على الابـواب الفقهية بالسنن ، حيث تبدا بالايمان والطهارة الـى آخره وليس فيها الموقوف لان الموقوف لا يسمـى سنة وانما يسمى حديثا ، والسـنن المشهورة هي كتب السنن الاربع وسنن الشافعي ، وكتاب السـنن للامام احمـد .

وكذلك توجد كتب المسـانيد وهي كتب تجعـل حديث كل صحابي على حدة سواء كان صحيحـا او حسـنا او ضعيفا ويرتب حسب حروف الهجاء باسماء الصحابة حسب اسمائهم او قبائلهم او اسبقيتهم الى الاسلام او شرفهم ، وفيها من تقتصر على حديـث واحد كمسندات ابي بكر او احاديث جماعة كمسند الاربعة ، او مسند المقلين ، او العشرة ، او مسند المكثرين او من الذين نزلوا بمصر . وبجانب كتـب الحديث لن يستغني الطالب عن كتب اصطلاح الحديث او (مصطلح الحديث) كما يسمونه ، وهو مقدمة الى دراسة هذا الفن ، وكما كان على طالب النحو ان يحفظ الالفية لابن مالك فان على طالب الحديث ان يحفظ عن ظهر قلب الفية السيوطي ، والفية العراقي ، وان يكون على المام بمقدمة ابن حجر في مصطلح الحديث وقد جمعت في الالفيتين قواعد لا سبيل للاستغناء عنها على انه يمكن مناقشتها في مستوى التخصص وقد اصبحت اصطلاحات الحديث من صحيح وحسـن ومعنعـن ومسلسل وغير ذلك من اصطلاحات هذا الفن عنـد شعراء المحدثين لا تقل عن اصطلاحات الصوفية في اشعار شعراء التصوف ، وبالاضافة الى الخزانـة الحديثية كان لا بد من معرفة أساليب المحدثين في كتبهم فما يختاره البخاري في المسالة يؤخذ مـن الاشارة التي يودعها في التجربة كما اذا اطلق البخاري سفيان بعد الحميدي او علي بن المدني ، فالمراد ابن عيينة اما اذا ذكر سفيان بعد قبيصة بن عقبة فالمراد به الثوري ثم على المحدث ان يختار نسخة البخاري المصححة ومن المعروف عن المحدثين ان اليونينية نسخة مقابلة على نسخة الحفاظ والشرف اليونيني المعمول عليه في ضبط روايات البخاري ، وكان عليه ايضا ان يعرف شيوخ ائمة الحديث كأشياخ البخاري، وشيوخ معلميه واساتذته وكتب الحديث واصطلاحاتهم والرواية بالنسخة وهي عند المحدثين ان يروا الراوي عن نسخة بسند واحد جملة احاديث ولا يذكر فيها من قيد عليه السند الا في الاول منها ، ومن الاصطلاحات معرفة امراء المومنين في الحديث التي تطلـق دون شيوخ وامراء المومنين في الحديث هو ابو الزنـاد وشعبة بن الحجاج ومالـك بن انس وابو عبـد الله البخاري ، وكان على الطالب ايضا ان يعرف عـادة البخاري في صحيحه اذا اراد ان يفضل امثله عـن

ولم يكن البخاري اول من جمع الحديث ولكن خطا خطوة جديدة فى هذا الميدان فمالك بن انس جمع احاديث الحجاز وخاصة اهل المدينة . وابن جريج احاديث الحجاز وخاصة اهل مكة والاوزاعي جمع احاديث الشام ولكن البخاري سن سنة ثمن بعده من المحدثين هي الرحلة فى طلب العلم وبالاحرى لطلب الحديث فبعد ان سمع حديث اهل بلده ذهب الى بلخ وسمع محدثيها ورحل الى مرو، ونيسابور وبغداد ، والبصرة ، والكوفة ، ومكة ، والمدينة ، ومصر ، ودمشق ، وقيسرية ، وعسقلان ، وحمص، فجمع بذلك ما تفرق من الاحاديث فى الامصار واستطاع ان يتصل بكبار الائمة والمحدثين فروى بالسماع عن مالك بن انس وعن حماد بن زيد واحمد بن سهل ويحيى بن معين واسماعيل بن ادريس المدني وابن راهويه وغيرهم .

وعدد مشايخه الذين خرج عنهم فى الصحيح 289 شيخا .

ويقول عبد الله بن محمد البخاري : سمعت محمد بن اسماعيل يقول : لقيت اكثر من الف رجل من اهل الحجاز العراق والشام ومصر ، فما رايت واحدا يختلف فى هذه الاشياء ان الدين قول وعمل وان القرآن كلام الله (طبقات الشافعية ــ 2 ــ 217) .

وقال مرة اخرى كتبت عن الف وثمانين نفس ليس منهم الا صاحب حديث (هدى الساري 194 ــ 2)

ولا غرابة فى ذلك فقد صرح هو بنفسه قال كنت عند اسحاق ابن راهويه فقال لنا بعض اصحابنا لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبيء صلى الله عليه وسلم فوقع ذلك فى قلبي فاخذت اجمع هذا الكتاب وجمعته من ستمائة الف حديث .

ولا عجب ان يمكث فى جمع ما تفرق من احاديث الرسول ست عشرة سنة بعد ان عزم متابعة الاحاديث والرواة فى اي بلاد اسلامية وجدوا فيها فقد روي عنه انه قال : « دخلت الى الشام ومصر والجزيرة مرتين ، والى البصرة اربع مرات واقمت بالحجاز ستة اعوام واحصى كم دخل الى الكوفة وبغداد من مرة مع المحدثين » . وهذا من شانه ان يمكنه من التعرف على اكثر عدد ممكن من الاحاديث واختيار الصحيح منها .

فقد خطا بالحديث خطوة ثانية موفقة عندما جد فى التمييز بين الحديث الصحيح وغيره وكان الائمة قبل البخاري لا يقصرون مؤلفاتهم على الاحاديث الصحيحة بل كانوا يجمعون بين الصحيح والحسن والضعيف وسن بذلك لمن بعده من المحدثين قواعد البحث العلمي التى اعانته على الوقوف على الاحاديث الصحيحة .

وهو ان بالغ فى التحري عن الرجال والتوثق بصحة المرويات مع اشتراطه فى جمعه للاحاديث التى يصححها شروطا تسمى شروط البخاري فقد دفعه بحثه العلمي الى تتبع حتى مذاهب الرواة ونزعاتهم من خارجي ومعتزلي ومرجئي ، وشيعي ، ليتبين منها مقدار ما يحمل عليه مذهب كل واحد من القول بحديث غير صحيح او تأويل له غير راجح وبعد كل هذا التحري والتمحيص استلهم الجانب الروحي من نفسه حتى قال الفربري (وهو تلميذه) سمعت محمد بن اسماعيل البخاري يقول : صنفت كتاب الجامع الصحيح فى المسجد الحرام وما ادخلت فيه حديثا الا استخرت الله ، وصليت ركعتين وتبينت صحته .

ثم بيض تراجم جامعه واصوله فى الروضة بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ثم صار يجمع الاحاديث ويضعها فى تراجمها بين الحرمين وغيرهما من البلاد التى ارتحل اليها .

فلا عجب بعد ذلك ان اجمع العلماء على صحة كتاب الجامع الصحيح وتلقته الامة الاسلامية بالقبول واستحق ان يطلق عليه انه « اصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل » .

اما طريقة البخاري فى تأليف الجامع الصحيح فاننا نكتفي فيها بما قاله الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي فى كتاب جواب المتعنت : « اعلم ان البخاري رحمه الله كان يذكر الحديث فى كتابه فى مواضع ويستدل به فى كل باب باسناد آخر ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذي اخرجه فيه . وقلما يورد حديثا فى موضعين باسناد واحد ولفظ واحد وانما يورده بمعان متعددة » .

وقد برهن بهذه الطريقة على انه يفرغ جهده فى الاستنباط من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة

البخاري

واهتمام أهل المغرب به وبالجامع الصحيح

للأستاذ مصطفى كمال التارزي

جدير بالمسلمين فى كل زمان ان يذكروا للامام الكبير العالم الحجة ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري فضلـه على امة محمـد صلى الله عليـه وسلم .

وجدير بهم ان يقيموا مثل هـذا الاحتفـال فى مكان من العالم الاسلامي تعظيما واكبـارا للجهـود الخالدة التى قدمها صاحب كتاب الجامع الصحيح فحفظ الله به على الامة السـنة الثابتـة والحجـة البالغة .

وجدير باحفاد الامام البخاري اهل سمرقنـد وبخارى وطشقند ان يشيدوا بهذه الشمس التـي اشرقت على هذه الربوع فاضاءت دنيا الاسلام منـذ الف ومائتي سنة فلم يزل نورهـا يشـع ويضـيء الطريق لكل باحث ويهدي السبيل لكل ضال .

وفعلا فقد شاءت الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان ان تسبق بقية هيئات العالـم الاسلامي فتنظم بهذه المناسبة الكريمة هذا اللقاء الاسلامي العظيم على اعتاب ضريح خادم الملة وامام المحدثين وها نحن اولاء نستلهم من بركـات هـذه الذكرى اسمى العبر ونتقدم لشباب العالم الاسلامي بما سينجم عن هذا اللقاء الكريـم من آراء صائبـة وبحوث قيمة وتوجيه مفيد .

ولا يفوتني أن أشيد بالجهود المباركة التي يبذلها العالم الكبير ورائد المسلمين فى هذه الديار الشيخ ضياء الدين خان بن بابا خان الذى اظهر من سمـو التفكير وحسن التوجيه ما نال به اعجـاب كل مـن عرفه وشهد نشاطه وتحمسه للثقافة الاسلامية .

ايهـا السـادة :

لقد حاولت فى كلمتي هذه ان اتنـاول بعـض الجوانب من حياة البخاري وان اتعرض بجانب ذلك الى مدى اهتمام البلاد التونسية بهذا العالم .

ذلك لان البخاري من الاسماء اللامعة فى محيط الثقافة الاسلامية حتى انه اذا ذكر فى مجال العلـم والتاليف لا ينصرف الا الى مؤلف كتـاب الجامـع الصحيـح ...

الامـام البخـاري

لقد نشأ البخاري فى أخريات عهد المامـون الذهبي حين قامت الحركة العلمية على ساقها ونفقت سوقها وبرز العلماء فى مختلف انواع المعرفة ونشطت على الاخص حركة جمع الاحاديث ونقدهـا وتمييـز الصحيح من الضعيف وتجريح الرجال والحكـم لهم اوعليهم وانما تنافس رجال الدين فى حفظ السنة والذود عنها حتى تكون بمأمن من التدليس والكذب لانها لم تدون فى عصر النبيء صلى الله عليه وسلم خوف الالتباس بالقرآن لانها قد تكـون مستقلـة بتشريع الاحكام وهي كالقرآن فى تحليـل الحـلال وتحريم الحرام وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال :

« الا واني قد اوتيت القرآن ومثله معه » .

نسخة منه بالمكتبة الوطنية بتونس وتوفى بصفاقس سنة 611 هـ .

ومن ذلك التاريخ انتشرت رواية البخاري في افريقيا وتناقلها العلماء ، وتنافسوا فى اختصر الاسانيد واقربها اتصالا بالامام البخاري .

هذا وقد حافظ علماء تونس على رواية البخاري سماعا او اجازة بالكتابة او المناولة او الشرح وتنافسوا فى حفظ الجامع الصحيح وقراءته وسماعه والتبرك به جيلا بعد جيل وطبقة بعد طبقة الى يومنا هذا .

ومن الاجازات المشهورة فى تونس اجازة الاستاذ الامام العلامة المرحوم الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور المتوفى سنة 1394 فى صحيح البخاري ومسلم عن طريق الحافظ الجليل الشيخ محمد صالح الرضوي البخاري السمرقندي وعن عمر بن عبد الكريم عن محمد بن سنة عن أحمد بن موسى بن عجين اليفاني عن محمد النهرواني عن محمد الطاوسي عن بابا يوسف الهروي عن محمد بن شاذ بخت الفرغاني عن يحيى الختلاني عن محمد بن يوسف الفربري عن الامام محمد بن اسماعيل البخاري وعن الامام مسلم بن الحجاج القشيري بما فى صحيحيهما . ولا يعرف سند غير هذا السند يتصل بالامامين البخاري ومسلم رضي الله عنهما .

وبهذا السند يكون بين الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وبين رسول الله خمسة عشر راويا . وقد اجاز الشيخ بسنده هذا مئات من علماء تونس والجزائر والمغرب الاقصى وهي عادة العلماء عندنا فى تونس .

اما السند الثاني للامام البخاري المشهور عندنا فى تونس فواسطة عقده المرحوم العلامة الشيخ الطيب النيفر المتوفى سنة 1345 هـ . وقد رواه عن الشيخ ابراهيم الرياحي عن الامير محمد الصغير عن الامير محمد الكبير عن الشيخ علي الصعيدي عن محمد عقيل المكي عن حسن بن علي العجمي عن احمد بن محمد العجل اليمني عن يحيى بن مكرم الطبري عن جده محيي الدين بن محمد الطبري عن البرهان ابراهيم بن محمد ابن صدقة عن عبد الرحمان ابن عبد الاول الفرغاني عن ابي لقمان يحيى بن عمار بن عقيل الختلاني عن محمد بن يوسف الفربري عن محمد بن اسماعيل البخاري .

وكان لي الشرف بنيل الاجازة بهذين السندين عن طريق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر .

اما السند الاول فمباشرة من الشيخ محمد الطاهر بن عاشور واما السند الثاني فبواسطة أبيه الشيخ العلامة المرحوم الشيخ محمد الصادق النيفر .

كما حصلت على اجازة عامة بما فى ذلك رواية البخاري من فضيلة مفتي الجمهورية التونسية العلامة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي واجازة اخرى من فضيلة العلامة الشيخ محمد الزغواني حفظهما الله . وللمرحوم الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور سند آخر غير هذا السند روى به احاديث الجامع الصحيح للامام البخاري يعرف بسند المحمدين وهو اسناد عزيز رواه عن جده الشيخ محمد العزيز بوعتور .

عن شيخ الاسلام محمد ابن الخوجة ، عن الشيخ محمد بن التهامي الرباطي عن محمد بن عبد السلام الناصري عن محمد بن محمد بن الحسن التطاوني عن محمد بن عبد العزيز الحنفي عن محمد بن علاء الدين البابلي عن الشيخ محمد حجازي عن الشيخ محمد الخيطي عن محمد بن محمد الزنجي عن محمد الخضيري عن محمد المراغي عن فخر الائمة محمد القرقشندي عن محمد بن فديج عن محمد بن مسلم الحنبلي عن محمد بن احمد بن عبد الرحيم المقدسي ، عن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن ابي القاسم القطان عن محمد ابن محمد الحفيد عن محمد بن طاهر المقدسي عن محمد بن عبد الواحد البزار ، عن محمد بن احمد بن حمدان ، عن محمد مكي ، عن محمد بن يوسف الفربري ، عن الامام محمد بن اسماعيل البخاري .

وليس غريبا بعد ذلك ان تكون من سنن تونس اقامة الاحتفالات باختام الحديث الشريف المستمدة من احاديث صحيح البخاري . فقد عرفت هذه السنة الحميدة منذ عدة قرون حيث يحتفل التونسيون فى شهر رمضان المعظم بالخصوص فى غالب الجوامع والمساجد باقامة مجالس الحديث ويشتغلون بها عن كل ما سواها وينادي المنادي فيهم ، الا ان الختم لجامع البخاري سيكون فى موضع كذا .

ويقول فى ذلك المؤرخ التونسي الكبير الاستاذ المرحوم محمد بالخوجة فى كتابه معالم التوحيد

ويودع في تراجم الابواب سر الاستنباط وهذا امر لم يسبقه اليه غيره من المحدثين كما اعتنى في كتابه بايات الاحكام فانتزع منها احكام بعض الفروع حتى قال الامام النووي رحمه الله : « ليس مقصود البخاري الاقتصار على الاحاديث فقط بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لابواب ارادها » . ولهذا ذكروه في عداد المفسرين ومنهم المرحوم الشيخ الفاضل بن عاشور في كتابه التفسير ورجاله ، واعتقادي ان موضوع البخاري المفسر يحتاج الى دراسة خاصة وتاليف منفرد .

وقد ذكروا ان البخاري كان في أول الامر شافعيا وقد عده السبكي شافعيا في كتابه ـ (طبقات الشافعية) .

والحق انه كان مجتهدا وبذلك جزم اكثر من كتب عن الامام البخاري اذ كانت له استنباطات تفرد بها في هذا الكتاب وله آراء تدل على رسوخ قدمه في العلم وتأهله لمرتبة الاجتهاد حتى انه لا يكترث اوافقت آراؤه بعض المذاهب ام لم توافقها .

عناية المغاربة بالبخاري وصحيحه

وقد تعرض بعض نقاد الحديث ومنهم ابن الصلاح الى ان ابا علي الحافظ النيسابوري وبعض شيوخ المغاربة تفضل صحيح مسلم على صحيح البخاري ويشهد بذلك ما صرح به ابن حزم في كتبه انه كان يفضل مسلما لان الامام مسلم كان يحترز في الالفاظ ويتحرى في السياق ولا يقطع الحديث كما يفعل البخاري بل يسوق الحديث تاما باسانيده المختلفة في موضع واحد ليقربه الى الاذهان وليسهل معرفة ما بين متون الحديث وبين اسانيده من فرق .

وتفضيل بعض المغاربة هذا لم يضعف مكانة البخاري في نفوسهم لان تفضيل هؤلاء لصحيح مسلم انما كان لحسن التبويب وحسن الترتيب فهم لا ينكرون ان البخاري اصح متنا وسندا من صحيح مسلم ولذلك كان اهتمامهم به وبكتابه الجامع الصحيح لا يقل عن اهتمام المشارقة بهذا العالم الجليل رواية وحفظا وتاليفا .

لئن اشتغل علماء افريقيا في اول الامر في خلهم وترحالهم بنقل احكام الفروع والتثبت في المسائل الفقهية من مختلف رجال الفقه والحديث شرقا وغربا وتوجهوا بكليتهم الى نقل موطأ امام دار الهجرة مالك بن انس رواية وشرحا واجازة فانه لم يحل القرن الرابع الهجري حتى انتهوا من تركيز مذهب مالك، فتوجهت انظارهم بالخصوص الى بقية كتب الحديث الصحيحة فتناولوها بالدرس والتمحيص وسافروا الى الشرق للاخذ والسماع من رواتها .

فقد ثبت ان العالم التونسي ابا الحسن علي بن محمد ابن خلف المعافري المعروف بالقابسي حج سنة 352 وسمع من حمزة بن محمد الكناني الحافظ والقاضي التستري وابن زيد المروزي وابي احمد محمد بن احمد الجرجاني وهما عن الامام الفربري عن البخاري .

والقابسي هو أول من ادخل رواية البخاري الى افريقيا وسنده ابو ذر الهروي وسند من اخذ عنهما مذكور في اوائل فتح الباري على البخاري حسبما اثبته الشيخ مخلوف في كتابه « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » . وقد توفي بالقيروان سنة 403 هـ .

وجاء بعده الفقيه ابو عمران الفاسي القيرواني فروى البخاري اولا عن ابي الحسن القابسي ورحل الى الشرق وسمعه عن ابي ذر الهروي وتوفي بالقيروان سنة 430 هـ .

وجاء بعده ابو عبد الله المالكي القيرواني الذي رحل الى مكة في اواخر القرن الرابع ولقي ابا ذر الهروي واخذ عنه كتاب البخاري والف كتابا في مناقب الامام البخاري وتوفي سنة 438 هـ .

ثم جاء بعده ابو عمرو عثمان بن ابي بكر حمود الصفاقسي المعروف بابن الضابط في اوائل القرن الخامس فرحل الى الشرق واخذ البخاري عن ابي ذر الهروي ثم رحل الى الاندلس سنة 436 هـ ، وهنالك عرف اهل الاندلس بكتاب غريب الحديث للخطابي .

ثم جاء من بعده ابو جعفر احمد بن نصر الداودي فكان له كتاب في شرح البخاري سماه النصيحة توفي سنة 440 هـ .

وفي اواخر القرن السادس قام العلامة المحدث الراوية المفسر الشيخ ابو محمد بن عبد الواحد بن التين الصفاقسي فشرح صحيح البخاري وسمى شرحه هذا « المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح » وقد اعتمد هذا الشرح كثير ممن شرحوا البخاري بعده كابن حجر وهو لم يطبع الى الآن وتوجد

سلسلة السماع ، وخمسة رجال فى السند الثاني بالكتابة بالاجازة . ويقول ابن رشيد فى آخر هذه الرسالة «ذلك لان الرواية بالكتابة جائزة عند المحققين من العلماء معمول بها معتمد عليها، وقال ابو نعيم الاصفهاني فيما رويناه عنه الاجازة على الاجازة صحيحة قوية جائزة) . وقال الحافظ السلفي رحمه الله . « اعلم أن الاجازة جائزة عند فقهاء الشرع المتصرفين فى الاصل منه والفرع وعلماء الحديث فى القديم منه . والحديث ، قرنا فقرنا ، وعصرا ، فعصرا ، الى زماننا هذا يبحثون بها الحديث ويخالفون فيها المعاند المبتدع الخبيث » .

كما علي ان اشيد بالرسالة القيمة التي الفها العلامة المرحوم الذى لقي ربه منذ ايام قلائل الشيخ المحدث محمد البشير النيفر جمع فى هذه الرسالة التى لم تطبع بعد عددا كبيرا من شراح البخاري من علماء المغرب والاندلس .

ايها السادة :

هذه لمحة قصيرة عن حياة البخاري العلمية وعن عناية التونسيين به رضي الله عنه ، وبجامعه الصحيح الذى كان وما زال حتى اليوم معروفا فى تونس بين الخاصة والعامة يتبرك به بعد كتاب الله الحكيم ويستسقي الغمام بتلاوته تيمنا بما حواه من سنة سيد المرسلين عليه افضل الصلوات وازكى التسليم .

وموضوع موقف اهل المغرب بكتاب الجامع الصحيح وصاحبه ، موضوع متسع الجوانب تقل فيه المؤلفات والاسفار ولا تعبر عنه الكلمات الموجزة العابرة :

كيف ، وفضل الامام البخاري على المسلمين حيثما كانوا من المشرقين والمغربين عظيم جدير بأن يمتد فيه القول وتكثر فيه الكتب والكتابات وتتجدد اللقاءات حتى تتعدد جوانب النظر الى الرجل وكتابه وفنون السنة النبوية المطهرة التي عني بها عناية تذكر فتشكر .

واذا كنا قد سجلنا بكلمتنا فضل البخاري على هذه الرقعة المغربية من دنيا الاسلام الفسيحة الارجاء فما قصدنا بها الدراسة المستوعبة ولكن مجرد الاسهام فى مهرجانه العظيم هذا ، بقسط متواضع هو « جهد المقل » و « لقطة العجلان » وقد قيل منذ القدم : « ما لا يدرك كله ، لا يترك قله » و « لكل مقام مقال » .

تونس : مصطفى كمال التارزي

العام الهجري

حسبنا مطلع العام الهجري موقظا للشعور ، وحافزا للهمم ، وهاديا الى شرف الغاية يستقبله المسلم الذاكر ، فتعاوده ذكرى هجرة الرسول : قصيدة من قصائد البطولة القدسية لا يفتر عن انشادها الدهر ، استمدت وحيها من روح الله ، ونسجها من خلق الرسول ، وسيرها من صدق العرب، واستقرت فى مسامع الاجيال مثلا مضروبا لقواد الانسانية يلهمهم الصبر على مكاره الراي ، والاستبسال فى مواقف المحنة ، والاستشهاد فى سبيل المبدا ، والاعتقاد الصادق بفوز الفكرة

أحمد حسن الزيات

« وقد وجه العلماء كامل عنايتهم لتلاوة احاديث البخاري فهما وتفهيما قاصدين بذلك تدعيم اصول الدين وتوثيق عرى حباله المتين حتى ينتفع الخاصة بفهم اسراره ويتيمن العامة ببركة انواره .

وعلى هذه القاعدة درج ائمة السلف واقتدى بهم علماء الخلف فكانوا السابقين اللاحقين للكرع من مناهل رياضه والارتواء من سلسبيل حياضه ولم تزل بفضل الله قائمة بهذه الديار » .

ويظهر ان هذه العادة اخذت صبغتها الرسمية فى عهد الدولة الحفصية حيث اقيمت احتفالات فاخرة يحضرها الملك بجامع ابي محمد المرادي خارج باب سويقة بالعاصمة .

اما العناية بصحيح البخاري واقامة هذه الاختام الحديثية فلا تزال قائمة الى اليوم وعلى الاخص فى مسجد تونس الكبير جامع الزيتونة عمره الله وزاده مهابة واجلالا .

وقد صدر اخيرا كتاب « مجالس العرفان » للعلامة المرحوم عبد العزيز جعيط شيخ الاسلام بتونس المتوفى سنة 1389 هـ = 1970 م ، يحتوي اختام الحديث الشريف للامام البخاري التى قام بها فضيلته فى احد مساجد تونس العاصمة وقد حوت هذه المجالس من مختلف الابحاث والتحقيقات ومن شتى المعاني اللغوية والبلاغية والتاريخية والاصولية والفقهية ومن الآراء القيمة ما لا يمكن ان يستغنى معه عن الكتاب ذاته راغب فى الاطلاع كي يقدر هذا التأليف وصاحبه .

وما حدث فى تونس حدث نظيره فى الاندلس والمغرب الاقصى اذ اهتم العلماء فى اول الامر بأحاديث الاحكام ثم بموطأ الامام مالك رواية وشرحا واجازة ثم توجهوا بعد ذلك الى احاديث الجامع الصحيح للامام البخاري .

واول من سمع البخاري رواية من أهل الاندلس عن ابي زيد المروزي هو القاضي ابو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلي المتوفى سنة 353 هـ .

ثم القاضي ابو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي القرطبي المتوفى سنة 403 هـ .

ثم ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد ابن رشيق حج سنة 376 هـ وسمع عن ابي ذر الهروي.

وتولى شرح صحيح البخاري ابو الحسن بن عبد الملك بن بطال شرحا اعتمده اهل الفقه والحديث ونقل عنه غالب من جاء بعده وتوفى سنة 447 هـ .

ثم ابو جعفر احمد بن محمد بن مغيث الصدفي الذى سمع عن ابن ابي ذر الهروي سنة 459 هـ .

ثم جاء القاضي ابو علي الصدفي ويعتبر معلمة من معالم رواة الحديث وحفاظه فى العصور الاولى للاسلام وقد كان مما حرره بخطه صحيح الامام البخاري نقله من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود مقروءة على ابي ذر الهروي وعليها خطه ، وعلى هذه النسخة اعتمد الشيخ ابن سعادة فى تصحيح نسخته على صحيح البخاري .

وهذه النسخة بعينها موجودة فى مكتبة جغبوب بليبيا حسبما انبئه العلامة المرحوم الشيخ محمد الفاضل بن عاشور ، وقد استجلبها الى تونس فصحح عليها نسخة والده من المكتبة العاشورية .

ويروي الدكتور عبد الهادي التازي انه اطلع على نسخة الصدفي بالبيضاء وانها موجودة الى الآن بخزانة الاوقاف بطبرق .

وعناية اهل المغرب الاقصى بحفظ صحيح الامام البخاري وشرحه والكتابة عليه لا تقل عن عناية اهل افريقيا والاندلس فقد برز فى هذا الميدان عدد كبير من علمائهم فى مختلف العصور ، ولمعت فطاحل المحدثين يفوق عددهم الثلاثين تعرض اليهم بالتفصيل صاحب كتاب شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية وبروكلمان وكشف الظنون والاعلام للمراكشي ومعجم المحدثين الذي ظهر اخيرا لصديقنا الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

ولا يفوتني بهذه المناسبة ان اتعرض الى المخطوط الذى حققه الدكتور محمد الحبيب بالخوجة عميد كلية اصول الدين والشريعة بتونس وهو « افادة النصيح بالتعريف بسند الجامع الصحيح » لشيخ المحدثين محيي الدين ابن عبد الله بن عمران ابن محمد بن رشيد السبتي الفهري الاندلسي .

فقد روى ابن رشيد صحيح البخاري بسندين صحيحين واراد بهذه الرسالة ان يميز قيمة رجال هذين السندين لاعتقاده ان قرب الاسناد قرب الى الله عز وجل كما قال عبد الرحمان الطوسي وكان بينه وبين البخاري سبعة رجال فى السند الاول وهو

رباعيات البخاري في وصيته الادبية اعتمادا على نص الوصية نفسها والتي جاء فيها اسم الرباعيات صريحا كما قال البخاري بالحرف :

« وكل هذه الرباعيات لا تتم له الا بأربع ..... »

ورباعيات البخاري في وصيته عبارة عن جملة من المعاني تتعلق بطلب الحديث وهي شروط رباعية شرط الامام البخاري توفر طالب الحديث عليها والتزامه بها ليصير محدثا كاملا .

وهذه الوصية الرباعية تعتبر وثيقة علمية منهجية فريدة اشتملت على شروط المحدث وما ينبغى ان يلم به ويعلمه ليصبح من المحدثين الكبار .

ونظرا لاهميتها العلمية والمنهجية فسنورد نص الوصية بأكملها بالاسناد الكامل لرواتها المعتمدين وعلى رأسهم القاضي عياض ثم نفصل الكلام عنها ونناقش ما ورد فيها بعد أن نقوم بتخريج رباعياتها وتقسيمها .

ذلك ان أغلب المحدثين والذين ارخوا للامام البخاري وكتبوا عن جامعه الصحيح وآثاره استندوا له هذه الوصية الرباعية التي تضمنت شروطا وامورا لابد منها للمحدث ليصير محدثا فاضلا .

ونجد اقدم من نقل هذه الوصية ورواها باسناده الى الامام البخاري القاضي عياض وهو من اهل القرن السادس الهجري (476 — 544) وذلك في فهرسته المسماة « الغنية » (5)

في اثناء ترجمته للقاضي ابى بكر محمد بن عبدالله المعافري المعروف بابن العربي ذكرها ضمن مروياته وما اخذ عنه وعن القاضي عياض سنورد نص الوصية لكونه اقدم من رواها بالسند المتصل الى الامام البخاري فيما نعلم .

وروى هذه الوصية الرباعية وذكرها غير القاضي عياض كثيرون من مختلف العصور في القديم والحديث نذكر منهم :

المقري « في نفح الطيب » (6) والحافظ السيوطي باسناده في « تدريب الراوي » (7) في (معرفة آداب طالب الحديث) كما اوردها الامام القسطلاني في « ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري » (8) في « لطيفته » أواخر الفصل الثالث من كتابه اسندها بالرواية » عن الحافظ نجم الدين ابن الحافظ تقي الدين ابي المعالي محب الدين المكيان الى ابي المظفر محمد بن احمد بن حامد بن الفضل البخاري . . . الخ .

وعن هؤلاء نقل كثير من المعاصرين ممن درسوا البخاري وترجموا له او كتبوا عنه سواء في « الختمات » أو التراجم او الفهارس او الرسائل العلمية نذكر منهم :

الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني فقد ذكرها في « ختمة البخاري » واسندها في قوله :

وعجيب ما أوتيه من دقيق الاستنباط كما أجاب من طلب علم الحديث بان المحدث لا يكمل في محدثيه الا ان كتبها من مثلها كمثلها في مثلها عند مثلها بمثلها عن مثلها لمثلها ، ولا يتم ذلك الا بمثلها مع مثلها فيبون عليه حينئذ مثلها ويبقى بمثلها فاذا صبر اكرمه الله بمثلها في الدنيا واثابه في الاخرة بمثلها .

والاصل في هذا الرمز ما رويناه بسندنا الى كتب السيوطي عن ابي اسحاق ابراهيم السقا القاهري عن المعتمد السيد تعلب عن الجوهري عن عبدالله بن سالم البصري عن محمد بن علاء الدين البابلي عن سالم السنهوري عن الشمس العلقمي عن الحافظ السيوطي في شرح التقريب رواه بسنده الى ابن المظفر محمد بن احمد بن حامد البخارى الخ

وذكرها الشيخ محمد زكريا الكانوهلوى الهندي في كتابه : ومقدمة لا مع الدرارى على جامع البخاري (10)

وروى الكانوهلوى الهندى نفسه عن السيوطي بيتا في الفيته عن وصية الامام البخارى الرباعية قوله : (11)

---

(5) الغنية فهرست القاضي عياض 30 الى 33 وهو مخطوط .

(6) نفح الطيب « للمقري » ج 2 ص 576 ، 577 ط دارصادر بتحقيق احسان عباس

(7) وتدريب الراوي « للسيوطي » ص 182 و 183

(8) ارشاد الساري « للقسطلاني » ج 1 ص 18 و 19

(9) « ختمة البخاري » للشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني ص 94 و 95

(10) « مقدمة لا مع الدرارى » للشيخ محمد زكريا الكانوهلوى ص 7

(11) المصدر السابق نفسه ص 20



الرباعيات

مدخل

اعتنى اهل الحديث بتخريج عواليهم وتباروا فى الوصول الى ارفعها درجة واسناها طلبا للاسناد العالى ورغبة فى القرب من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ذلك لان علو الاسناد طريقة مرغوب فيها ونهج كان السلف يتزاحمون على سلوكه .

وقد كان اصحاب ابن مسعود يرحلون من الكوفة الى المدينة فيتعلمون من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويسمعون منه حتى قال الطوسى (1) : « قرب الاسناد قربة الى الله تعالى » .

ولاجل ذلك اجمع ائمة الحديث على طلب الرحلة فى سبيل علو الاسناد ليتحقق المعنى المقصود من الرواية وهو صحة المروى وذلك لا يتم الا بالاسناد العالى .

كذلك فان علو السند يبعد الاسناد من الخلل قال ابن الصلاح :

« والعلو يبعد الاسناد من الخلل لان كل واحد من رجاله يحتمل ان يقع الخلل من جهته سهوا او عمدا ففى قلتهم قلة جهات الخلل وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل وهذا اجلى واضح (2) .

لذلك قام المحدثون بتخريج عواليهم فخرجوا الثلاثيات ، ثم الرباعيات ، ثم الخماسيات ، ثم السداسيات ، ثم السباعيات ، ثم الثمانيات ، وكل ذلك تم قبل نهاية القرن السابع الهجرى ؛ ثم خرجوا فيما بعد التساعيات والعشاريات ، كما اورد السيوطي في كتابه (النادريات من العشاريات) (3) . على اننا نجد عند المحدثين عوالى اخرى اعلى مما سبق من الثلاثيات وغيرها فهناك الوحدانيات والثنائيات (4)

وقد افرد اهل الحديث عواليهم منذ الاول بكتب جمعتها وحفظتها منذ العهود الاولى للمحدثين والرواة نورد بعض هذه الكتب تأكيدا واستشهادا على اهتمامهم باسانيدهم العالية .

تعريف :

هذه الرباعيات لاتتعلق بصحيح البخارى فهي ليست رباعيات سند ولا رباعيات متن اذ لا صلة لها باسانيد الصحيح ولا بمتونه .

وهي صنف ثالث من الرباعيات استخرجناه من وصية الامام البخاري لطالب الحديث وقد سميناها

1) الفية السيوطي شرح محمد محى الدين عبد الحميد ص : 260
2) المصدر نفسه ص : 260
3) فهرس الفهارس ج : 2 ص : 95
4) الرسالة المستطرفة للحافظ محمد بن جعفر الكتانى ص : 97

صغره وفي ادراكه و (فـــي كهولته) (22) وفـــي شبابه عند فراغه وعند شغله ، وعنـد فقره وعنـد غناه ، بالجبال والبحار والبلدان والبرارى ، علـى الاحجار والاصداف والجلود والاكتاف ، الـى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وعمـن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب ابيه يتيقن انه بخط ابيه دون غيره ، لوجه الله تعالـى طالبا لمرضاتـه والعمل بما وافق كتاب الله تعالى منها ، ونشرهـا بين طالبيها ومحبيها والتاليف في احياء ذكره بعده .

ثم لا تتم له هذه الاشياء الا بأربع من كسـب العبد اعني معرفة الكتابة واللغـة و (الضبط) (23) والنحو مع اربع هي من اعطـاء الله تعالـى اعني القدرة والصحة والحرص والحفظ ، فاذا تمت لـه هذهالاشياء هان عليه اربع: الاهل (والولد والمال) (24) والوطن وابتلى بأربع : بشماتـة الاعـداء وملامـة الاصدقاء و (طعن) (25) الجهلاء وحسد العلماء ، فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله في الدنيا بأربع : بعز القناعة وبهيبة النفـس و (لذة العلـم) (26) و (حياة الابد (27) واثابه في الآخـرة بأربـع : بالشفاعة لمن اراد من اخوانه ، وبظل العـرش يوم لا ظل الا ظله ، وبسقى مـن اراد من حوض نبيه (صلى الله عليه وسلـم) (28) ، (وبجوار) (29) النبيئين في اعلى عليين في الجنة ، فقد اعلمتك يا بني مجملا جميع ما كنت سمعته من مشايخي متفرقا في هذا الباب فأقبل الان على ما قصدتني له اودع .

قال : فهالك قولـه ، فسكت متفكرا واطرقت (نادما) (30) فلما رأى ذلك مني قال (والا تطـق) (31)احتمال هذه المشاق كلها فعليك بالفقه (الذي) (32) يمكنك تعلمه وانت في بيتك قار ساكن لا تحتاج الى بعد الاسفار ووطء الديار وركوب البحار ، وهـو مع ذا ، ثمرة الحديث وليس ثواب الفقيـه (دون) (33) ثواب المحدث في الاخرة ولا عزه بأقل من عـز المتحـدث .

قال : فلما سمعت ذلك نقض عزمي في طلب الحديث واقبلت على دراسة الفقه وتعلمـه الـى ان صرت فيه (فقيها) (34) متقدمـا .

(ووقفت منه على معرفة ما امكنني من تعلمه بتوفيقى الله تعالى ومنته) (35) (فلذلك) (36) لـم يكـن عنـدي مـا امليه على هذا الصبى يـا ابـا ابراهيم ، فقال له ابو

ابراهيم : ان هذا الحديث (الواحد) (37) الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبى من الف حديث يجده عند غيـرك .

هذا هو نص رباعيات البخارى في وصيتـه كما وردت في غنية القاضي عياض مـع مقابلتهـا بالنص الوارد في ارشاد القسطلاني وبيان مـا بين النصين من اختلاف في بعض الفقرات والالفاظ وقـد نبهت على ذلك كله في الهامش .

---

(22) في الارشاد (وفي شبابه وفي كهولته) ولعلـه السيـاق
(23) في الارشـاد (والصرف)
(24) في الارشاد (والمال والولد)
(25) من الارشاد والذي في الغنيـة (وظن)
(26) في الارشاد (بلذة العلم) بزيـادة الباب
(27) من الارشاد والذي في الغنية (وحسرة) ولم ادر مـا وجهـه
(28) من الارشاد وليست في الغنيـة .
(29) في الارشاد (ومجاورة)
(30) كـذا في الغنية والـذي في الارشـاد (متادبـا)
(31) وفي الارشاد (وان لم ..)
(32) في الارشاد بدون (الذي)
(33) في الارشاد والذي في الغنية (بدون)
(34) من الغنية وليس في الارشـاد
(35) من قوله « ووقفت .... الى منته » مـن الارشاد وليس في الغنية
(36) من الارشـاد وفي الغنية (فذلك)
(37) من الارشاد وليس في الغنية

والبخاري رباعيـات * فطالب الحديث نيرات (12
كما اوردها الدكتور الحسيني عبدالمجيد هاشـم فـي اطروحته التي سـماها « الامام البخارى محدثا وفقيها » (13) فقد ذكرها بنصها دون تعليق عليها ، كما نجـد للشيخ محمد بن المدني بن الحسني رسالة حول وصية البخارى الرباعية سماها « الفوائد الابداعية من فوائد وصية البخارى الرباعية » وهى مخطوطة لم تطبع (14)

وننقل نص الوصية كما رواها (القاضي عياض) في « الغنية » (15) بسنده المتصل قال فـي اثنـاء ترجمته للقاضي ابي بكر المعافرى بعد مـا ذكر مـا قرأ عليه من الكتب واجازته له بجميع مروياته وعـن الاماكن التي لقيه بها وخاصة اشبيلية وقرطبة ثم قال :

.... « ومما كتبت عنه اى ابن العربى — ممـا حدثني به سماعا منه بلفظه ؛ نا ابو محمد هبة اللـه بن محمد الاكفاني نا عبد العزيز ابن احمد الكتانـي الدمشقي الحافظ نا ابو عصمة نوح بن نصر الفرغاني ؛ قال : سمعت ابا المظفر عبدالله بن محمد بن عبداللـه بن مت الخزرجي وابا بكر محمد بن عيسى البخـاري تكش يقولان :

سمعنا ابا ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي يقول : لما عزل ابو العباس الوليد بن ابراهيم بـن زيد الهمداني عن قضاء الرى ورد بخارى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة لتجديد مودة كانت بينه وبين ابـي الفضل البلعمي فنزل في جوارنا فحملني اليه معلمـي ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الختلـي وقال لـه :

اسالك ان تحدث هذا الصبى ، مما سمعـت من مشايخك قال : ما لي سماع ؛ قال : فكيف وانـت (فقيه) (16) فما هذا ؟ قال : لاني لما بلغت مبلـغ الرجال تاقت نفسي الى معرفة الحديث و (درايـة) (17) الاخبار وسماعهـا .

فقصـدت « محمد بـن اسماعيل البخارى » ببخارى صاحب التاريخ والمنظور اليه فى معرفـة الحديث واعلمته بمرادي وسالته الاقبال على ذلـك فقال لـي :

يا بني لا تدخل فى امر الا بعد معرفة حـدوده والوقوف على (مقداره) (18) فقلت له : عـرفني رحمك الله حدود ما قصدتك له ومقادير ما سالتـك عنه فقـال لي :

اعلم ان الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد ان يكتب اربعا مع اربع مثل اربع فى اربـع عند اربع بأربع على اربع عن اربع لأربع .

وكل هذه الرباعيات لا تتم له الا باربع مـع اربع فاذا تمت له هان عليه اربع وابتلى بأربع فـاذا صبر على ذلك اكرمه الله بأربع واثابه فى الاخـرة بأربـع .

قلت له : فسر لي ما ذكرت من احوال هـذه الرباعيات من قلب (صافي) بشرح (كافي) وبيان (شافي) (19) طلب للاجر الوافي فقال :

نعم اما الاربعة التي تحتاج الى كتبها هـي : (20) اخبار الرسول عليه السلام وشرائعه والصحابة ومقاديرهـم والتابعين واحوالهـم وسـائر العلمـاء وتواريخهم مـع اسماء رجالهـم وكناهم وامكنتهـم وازمنتهم كالتحميد مع الخطب والدعاء مع (الرسل) (21) والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات ، فـي

---

(12) الفية السيوطى
(13) الامام البخارى محدثا وفقيها « للدكتـورالحسيني ص 157 و 158 »
(14) هذه الرسالة حدثني عنها ولد المؤلف المرحوم سيدي عبد الكريم بن الحسن
(15) « الغنيـة » فهرست القاضي عيـاض ص 30 الى 33
(16) من ارشـاد السـارى للقسطلاني
(17) فى الارشـاد (وروايـة)
(18) فى ارشاد القسطلاني (تقاديره)
19) شافي وصافي وكافي كذا فى مخطوط الغنية وفى ارشاد الساري بحذف الياء فيها جميعا وهـو القيـاس .
(20) كذا فى مخطوط الغنية وفـي الارشـاد (الاربعة .... هى) بغير اما
(21) فـي الارشـاد (مـع التـوسـل) وليس الاولـى

14 — وابتلى باربع :

شماتة الاعداء ؛ وملامة الاصدقاء ، وطعن الجهلاء (39) وحسد العلماء .

فاذا صبر عليها :

اكرمه الله في الدنيا باربع :

عز القناعة ، وهيبة النفس ، ولذة العلم ، وحياة الابد .

16 — واثابه في الاخرة باربع :

بالشفاعة لمن اراد من اخوانه ، وبظل العرش يوم لا ظل الا ظله ، وبسقى من اراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبجوار النبيئين في اعلى عليين في الجنة .

وبعد ان اجاب الامام البخاري سائله عما اراد وتفصيله لشروط المحدث وما يلزمه معرفته والالمام به اخبره بان عليه ان يقبل كل ما سمعه منه واجابه اذا اراد ان يصير محدثا والا فليترك هذا الامر .

ولكأن الامر هال سائل البخاري فاطرق متفكرا متأدبا مستعظما ما ذكره الامام الذي شعر بذلك فخبره ان ثقل عليه الامر ولم يطقه ان يقبل على تعلم الفقه فذلك اهون بكثير واقل مشقة خصوصا وهو لا يكلف سفرا ولا رحلة ولا ركوب بحر واغتراب وانه ثمرة الحديث وليس ثوابه وعزه باقل من ثواب المحدث وعزه .

تعليق على الوصية الرباعية

وهذه الوصية الادبية الجليلة ، وثيقة ذات شأن ، لقيمتها التاريخية والعلمية :

فمن الناحية التاريخية :

1 — تضع بين ايدي الدارسين للامام البخاري مزيد اضاءة كاشفة عن ملامح شخصيته ، وخطواته على الطريق طالبا للعلم ، ومعلما .

2 — وتضيف الى المعروف عن كتابه (الصحيح) فكرة واضحة عما اتيح لهذا الكتاب من جهود فذة ، وآفاق رحبة ، واصالة راسخة ، وادراك عميق لجلال موضوعه ، وحرمة الامانة الصعبة التي احتملها جامع الصحيح .

ومن الناحية العملية :

3 — تأخذ هذه الوثيقة النادرة مكانها بين جهود الرواد من علماء السلف لتأصيل منهج علوم الحديث على ضوابطه الدقيقة الصارمة التي عرفها التاريخ العلمي للمدرسة الاسلامية ، في ضبط الرواية النقلية وتوثيق الاسناد والشروط التي كان ينبغي ان تتوفر لطلاب الالتحاق بهذه المدرسة .

4 — ومنها نستبين معالم الطريق التي عبدها جيل الرواد والخطة المنهجية التي تركها الامام البخاري وصية للاجيال من العلماء الذين تتابعوا على حمل الامانة ووصلوا بعلوم الحديث الى المستوى الذي يعده التاريخ العلمي من مفاخر الامة الاسلامية واجل عطائها لاصول المنهج .

واترك لاستاذي الجليل الرحالي الفاروقي بيان القيمة العلمية لهذه الوصية فقد كتب معلقا عليها قال :

انه من ابدع اللطائف وافضل الطرائف ان تكون الرباعيات التي رواها غير واحد من مشاهير المحدثين عند الكلام على القصد والاقبال على علم الحديث الشريف — ان تكون هذه الرباعيات من عصارة افكار الامام البخاري وتجربة حياته وتراث مدرسته رحمه الله ، فهي اقوم وصية واعظم نصيحة لمن اراد ان يبلغ في هذا الفن العظيم مبلغا لا يقل عن درجة الذين يتمتعون بألمها . في روايته ودرايته ، كل على حسب قدرته واستطاعته ، وهذه القصة التي تعالمها الناس من قبل ومن بعد صحيحة وثابتة من اولها الى آخرها ليس فيها ما ينكر شرعا ولا ما يعاب طبعا ، ولذلك فانه لا يخدشها ما نقله الشيخ نجا الابياري في حاشية مقدمة القسطلاني عن العلامة السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر انه قال :

منذ قرات هذه القصة وقلبي نافر من صحتها مستبعد لثبوتها ، تلوح امارة الوضع عليها والتلفيق فيها ، وانه لا يظن ان محمد بن اسماعيل رحمه الله يقول هذا ، واما قوله ان هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير من الف حديث نجده عند غيرك ، فكذب لا مزيد عليه اهـ .

قلنا لا يؤثر هذا الكلام في صحتها ولا يقدح بمجرده في ثبوتها ، لعدة وجوه :

احدها ان هذه الرباعيات قصارى امرها ان تحمل المجد على العمل بما فيها اذا اراد هذا المجد ان يكون قدوة يشار بالبنان اليه ، وتعقد الخناصر عليه ، وليس المعنى في النظر الصحيح انها تنفر عن طلب الحديث والاتصال به ، بل هي على العكس من ذلك ، تحرص على انتهاج طريقة مجدية وتبشر القوم بنهاية طيبة .

---

(39) لانه اصبح ذا نباهة وشفوف .

تخريج رباعيات البخاري من وصيته وتقسيمها :

من قراءة وصية البخاري مراجعتها ودراستها نجد القاضي عياض يرويها عن شيخه ابن العربي عن ابي العباس الوليد بن ابراهيم بن زيد الهمداني وهو الذي حدث بهذا الحديث سماعا وتلقيا من الامام البخاري وهو يتضمن رباعيات الامام وشروطه لطالب الحديث ليصير محدثا كاملا .

ونجد هذا النص يحتوي على ستة عشر رباعية كل رباعية منها تشتمل على اربعة امور .

ويبتدىء النص بعد الاسناد وذكر ورود ابي العباس الوليد بخارى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ومرافقة ابي ذر التميمي لأبي ابراهيم الختلى عند زيارته لأبي العباس الوليد وسؤاله اياه ان يحدث « الصبى » — يعني ابا ذر التميمي — بسماعه من شيوخه وجواب الوليد لأبى ابراهيم انه قصد الامام البخارى عندما بلغ مبلغ الرجال وتاقت نفسه الى معرفة الحديث ورواية الاخبار ، زائرا له ومتعلما وسائلا عما تاقت نفسه الى معرفته ثم جواب الامام البخارى لـه :

بان شرط الدخول في اى امر من الامور : هو معرفة حدوده والوقوف على مقداره .

وسؤال الوليد الامام البخارى عن بيان حدود ومقادير ما سأله عنه من معرفة الحديث ورواية الاخبار .

وجواب البخارى لـه : بان الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه حتى تتوفر فيه شروط وامور تضمنتها الوصية والتي نخرجها حسب ترتيبها وسياقها في النص مفصلة مرتبة .

1 — ان يكتب اربعا :

اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم مع شرائعه.
اخبار الصحابة ومقاديرهم
اخبار التابعين واحوالهم
اخبار سائر العلماء وتواريخهم .

2 — مع اربع

مع اسماء رجالهم ، وكناهم ، وامكنتهم ، وازمنتهم

3 — كأربع (38)

كالتحميد مع الخطب ، والدعاء مع الرسل ، والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات .

4 — مثل اربع

مثل المسندات والمرسلات ، والموقوفات والمقطوعات .

5 — في اربع :

في صغره ، وفي ادراكه ، وفي شبابه ، وفي كهولته .

6 — عند اربع :

عند شغله ، وعند فراغه ، وعند فقره ، وعند غناه .

7 — بأربع :

بالجبال ، والبحار ، والبلدان ، والبرارى .

8 — على اربع :

على الاحجار ، والاصداف ، والجلود ، والاكتاف .

9 — عن اربع :

عمن هو فوقه ، وعمن هو مثله ، وعمن هو دونه ، وعن كتاب ابيه يتيقن انه بخط ابيه .

10 — لاربع :

لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته ، والعمل بما وافق كتاب الله تعالى منها ونشرها بين طالبيها ومحبيها ، والتأليف في احياء ذكره بعد موته .

11 — ثم لا تتم له هذه الاشياء الا :

باربع من كسب العبد وسعيه : معرفة الكتابة ، واللغة ، والصرف ، والنحو .

12 — مع اربع من عطاء الله تعالى :

القدرة ، والصحة ، والحرص ، والحفظ .

13 — فاذا تمت لـه :

هان عليه اربع : الاهل ، والولد ، والمال ، والوطن .

---

(38) هذا تشبيه لايضاح هذه الاربعة بمعنى انه لابد للمحدث من مراعاة هذه الرباعيات كما انه لابد من ذكر الحمدلة مع الخطبة والدعاء مع التوسل وقراءة البسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات .

فهرس العدد التاسع

صفحة		
3	ناقية الوطن فى عافيتكم يا صاحب الجلالة	
5	كلمات من وحي الهجرة ---- ---- ---- ---- ----	دعوة الحق
7	درس من حديث الهجرة ---- ---- ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية
9	كلمة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية فى حفل جامع السنة بمناسبة طلعة العام الهجري الجديد	
11	اما ترى أمة الاسلام شاكرة لله بـراك ---- ----	للاستاذ الشاعر عبد الرحمن الدكالي
14	من دروس الهجرة ---- ---- ---- ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ عبد الله كنون
17	مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم حيال اعداء الاسلام بعد الهجرة ---- ---- ---- ---- ---- ----	للدكتور علي عبد الواحد وافي
21	ملك احبته البلاد ---- ---- ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ الشاعر محمد عبد الكبير العلوي
23	امجادنا لتاريخنا ---- ---- ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ أحمد عبد الرحيم عبد البر
27	التاميم والتعويض فى ضوء الشرع الاسلامي	للاستاذ عبد الواحد الناصر
34	ان فى قلبك العظيم وجودا ---- ---- ---- ---- ----	للشاعر مفدي زكريا
36	فى ذكرى الهجرة ---- ---- ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ عبد الفتاح امام
40	رؤية علمية وتاريخية جديدة لعلاقة المجتمعات العربية والاسلامية بالهجرة ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ ادريس الكتاني
48	الهجرة الى الله ورسوله ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ الشاعر محمد محمد العلمي
53	من مظاهر التضامن الاسلامي ---- ---- ---- ----	للاستاذ علي لغزيوي
56	اسماء لمعت فى أفق الهجرة ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ فاروق حمادة
	مع مهرجان الامام البخاري :	
63	الجامع الصحيح للامام البخاري ---- ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ عبد الرحمن الدكالي
75	الامام البخاري دعامة للفكر الاسلامي السني ---- ----	للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
83	الامام البخاري والاقتصاد الاسلامي مذهبا ونظاما	للدكتور ابراهيم الطحاوي
88	الامام البخاري والعصر الحديث ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ محمد بنعبد الله
99	الامام البخاري فى المغرب ---- ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ حسن السائح
109	البخاري واهتمام اهل المغرب به وبالجامع الصحيح	للاستاذ مصطفى كمال التارزي
115	رباعيات الامام البخاري ---- ---- ---- ---- ----	للاستاذ يوسف الكتاني

وثانيها ان هذه النصيحة التي قدمها الامام البخاري رحمه الله لمن سألها وطلبها هي ترجمة صريحة — لما حفلت به حياته من عناية ونشاط في اكتساب الحديث والاشتغال بمادته ، والبحث عن اهم قادته ورجاله وخاصة اولئك الذين اشتهروا بجمع روايته والمحافظة على سلوكه وسيرته ، او عرفوا بالرغبة في رفع اعلامه واعلاء اسناده ، والتفقه في احكامه ومعانيه ، وقد يضطر طالب الحديث الى ملازمة من هو مثله ومصانعة من هو دونه ، فيغالب نفسه ، ويحملها على الاعتراف بفضله ، حتى لا تفوت الفرصة وتضيع المتعة بسبب الترفع والتكبر الذي لا يناسب مقام العلماء عامة ومقام المحدثين خاصة ، والذي يستنكف من الاخذ عن علماء زمانه ، لا يحصل غالبا على شيء من امانيه — ولما احاط بها من خوض الامتحانات وصوغ المؤامرات ، التي تنصب على كل من بنى بنايته ، وابرز نباهته في علم ينضر صاحبه ويقصر جاهله ، وذلك من اعظم المنن واكبر النعم ، الا ان كل نابه مقصود ، وكل ذي نعمة محسود ، وهذا بحول الله من جملة الامارات التي تجعل حديث الرباعيات ، شيئا واقعا وداخلا في نطاق النصاحة المقصودة ، والصراحة المفروضة .

وثالثهما ان ائمة الحديث سلموا هذه الرباعيات بل ايدوها واكدوها ، فهذا الامام القسطلاني رحمه الله بعد ان ذكرها في مقدمة شرحه ارشاد الساري قال اثرها : وقد قال الخطيب البغدادي الحافظ : ان علم الحديث لا يعلق الا بمن قصر نفسه عليه ولم يضم غيره من الفنون اليه ، وقال امامنا الشافعي رحمه الله تعالى : اتريد ان تجمع بين الفقه والحديث هيهات اه .

فكلام الامام الشافعي ، والخطيب البغدادي رحمهما الله موافق لرباعيات الامام البخاري من حيث التحضيض على الاتجاه الى علم الحديث ، والتشمير عن ساق الجد في طلبه .

واما القول بان هذا الحديث الواحد الذي يوجد عندك خير من الف حديث يوجد عند غيرك فلا ينبغي ان يحمل على الكذب والزور بل على المبالغة في الكثرة ، كما يقول الانسان وقد كرر المجيء اليك — جئتك الف مرة — والمبالغة باب من ابواب البلاغة ، فمثل هذا الكلام يقبل ويحمل على قصد المبالغة ، والسياق يعضده ويشهد له ، وحمل كلام الناس على محمل حسن خير من حمله على شيء لا يليق به ، على ان ذلك ليس من قول الامام البخاري صاحب الرباعيات وانما هو من كلام مدرسة اسلامية ناهضة ، وعلماء مبرزين في شؤون الحديث نجد ان اطلاق الحديث الواحد عليها وهو الذي يقابل بسدد من الاحاديث مجرد اطلاق ظاهري وشكلي ، وقد تقرر ان العبرة بالمعاني لا بالالفاظ ، وبذلك ان شاء الله ينتفي الاعتراض ، فانك اذا نفذت حكم الرباعيات امكنك بمعونة الله ان تعرف او تحفظ الف الف حديث مثلا ، والوقوف على هذا العدد الكبير خير من الوقوف على الف حديث مثلا تأمل .

وبعد فان هذه الرباعيات لازمة لكل من اراد ان يسلك طريقا قاصدا لهذا العلم النبوي الشريف لزوم الحمدلة للخطبة ، والبسملة للسورة ، والدعاء للوسيلة ، والتكبير للصلاة ، واذا صبرت على ما يلقاك من المحن في سبيل تحقيق هذه المعاني الرفيعة اكرمك الله في الدنيا بعز القناعة وهيبة النفس ولذة العلم ، وحياة السادة ، واثابك في الاخرى بالشفاعة لمن اردت ، وبالسقي من الحوض لمن اخترت ، وبظل العرش يوم لا ظل الا ظله ، وبمجاورة النبيئين في الجنة وذلك فضله .

وهيهات ان يكون المحدث راسيا وراسخا في هذا العلم وهو لا يتوفر على المعاني المطوية في رباعيته ، ولا يخدمه بعزم وحزم طول حياته ، ولا يرحل الى اقتطاف انواره ولا يسرع الى اقتطاف ازهاره ، ولا يصبر على المنغصات التي تنزل بساحته .

نسأل الله العظيم ان يجمع لنا ولكم بين التنسيق والتوفيق ، وان يبيننا للطريق اليسرى ويهب لنا السعادة والحسنى ، والله سبحانه اعلى واعلم وارحم واكرم .

وبعد ، فلعلي قد استطعت ان اتقدم الى المدرسة الاسلامية ما وفقني الله اليه من عطاء هذا الموضوع الجليل الذي طالت فيه صحبتي لصحيح الامام البخاري ، ارتوي من نبعه السخي ، واتدبر منهجه واستقرىء اسانيده ، واستبين معالمه .

الرباط : يوسف الكتاني